تصحيح الرؤى

عن بيئة الشنفرى



تصحيح وتحقيق

محمد بن زياد مسفر اليوسي الزهراني

مطابع الحميضي، هاتف: ٤٥٨١٠٠٠، فاكس: ٤٥٩٢٢١٧

تصحيح الرؤى
عن بيئة الشنفرى

تصحيح وتحقيق
محمد بن زياد بن مسفر اليوسي الزهراني

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الزهراني، محمد بن زياد

تصحيح الرؤى عن بيئة الشنفرى./ محمد بن زياد بن مسفر اليوسي الزهراني.- مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ

٤٠٨ ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٨ - ٣٠٦ - ٥٨ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

١- الشنفرى، عمرو بن مالك، ت نحو ٧٠ ق.هـ ٢- الشعر العربي-نقد- العصر الجاهلي ٣- الشعراء العرب- العصر الجاهلي أ- العنوان

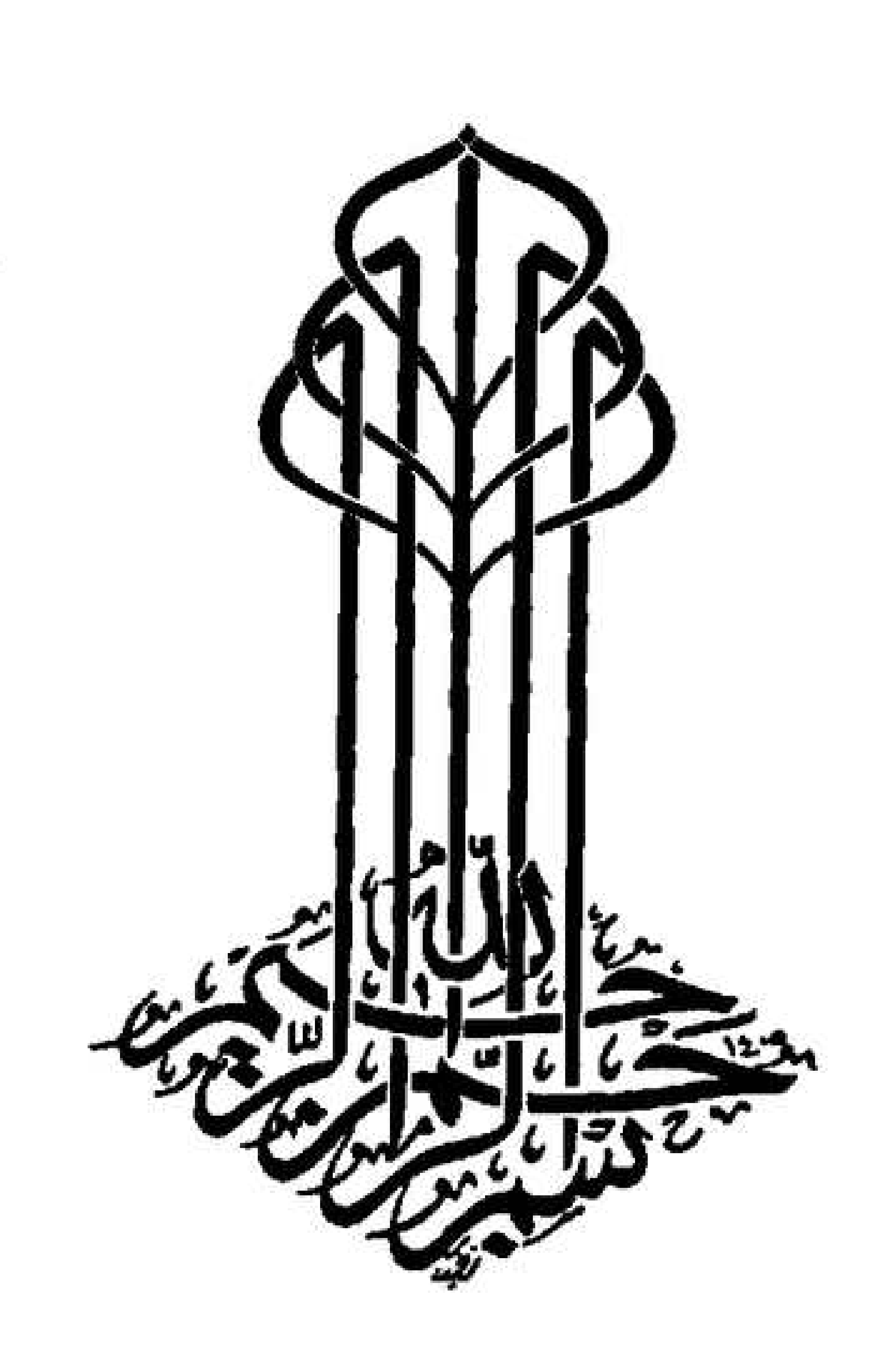
ديوي ١, ٩٢٨ ١٤٢٧/٥١٨٣

رقم الإيداع: ١٤٢٧/٥١٨٣

ردمك: ٨ - ٣٠٦ - ٥٨ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



الإهداء

إلى عشاق التراث العربي الأصيل في المملكة العربية السعودية الحبيبة موطن القداسات ومهد الرسالات السماوية والحضارة الإنسانية القديمة.

إلى الباحثين عن الحقيقة في عالمنا العربي من المحيط إلى الخليج.

إلى الرافضين لثقافة العنف والإشاعات المؤمنين بالحوار البناء سبيلاً إلى الحياة الكريمة.

اهدي هذا الجهد المتواضع...

والله المستعان،،،،،

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا وقرة أعيننا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وبعد :

لم أكن أول الباحثين أو المتحدثين في سيرة الشنفرى، ذلك الصعلوك الذي بلغت شهرته الآفـاق، وخاضت في سيرته الأقلام والأفكار من خارج بيئته التي عاش وتربى وترعرع على ترابها. ولن أكن آخرهم ذلك لان عشاق سير البارزين في التاريخ لها عشق خاص عند أهل العزم من الأدباء والمفكرين وقبل ان نبدأ علينا ان نتذكر قول الله تعالى جل شأنه في محكم التنزيل ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية (١٣٤)].

و لعظم شأنها وما حوته من توجيه رباني كريم فقد كررها ربنا تبارك وتعالى في نفس السورة [الآية (١٤١)].

من هذا التوجيه الرباني الكريم فاننا عندما نبحث في سيرة هذا الصعلوك الذي أبكت أعماله الأحداق، وقطعت النسل من الأعراق وُدكّت من ظلمه الأعناق فاننا نبرأ إلى الله ان نؤيده فيما فعل وإننا ننكره وننكر ما يقوم به صعاليك هذا العصر الذين سفكوا الدماء وايموا النساء ويتموا الأطفال دون وجه حق.

و بحكم الآية الكريمة فاننا لسنا مسئولين عما فعله أولئك الصعاليك في الأزمنة الغابرة ومن شايعهم ولا نعطي أنفسنا الحق في التنبؤ بما آل إليه مصيرهم لان علم القرون الأولى وما آل إليه مصيرهم عند الله جل شأنه

قال تعالى وهو اصدق القائلين :

﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [سورة طه].

و لكنني أود أن نتفكر في خلق الرحمن الذي خلق الإنسان على الفطرة وهي كما قال العلماء - قابليته للإيمان بالله تعالى[1].

وقال جل من قائل: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الروم آية (٣٠)].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية - يقول تعالى فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم الذي هداك الله لها وكملها لك غاية الكمال ولازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها فانه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وانه لا إله غيره - إلى ان قال - ثم يقول تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ وروى الإمام احمد عن الأسود بن سريع قال - أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزوت معه فأصبت ظفرا فقاتل الناس يومئذ حتى قتلوا الولدان فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال - ما بال أقوام جاوزهم القتل اليوم حتى قتلوا الذرية ؟ فقال رجل يا رسول الله أما هم أبناء المشركين؟ «فقال لا إنما

(١) أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري م / ٤ / ص/ ١٤٢.

خياركم أبناء المشركين ثم قال لا تقتلوا ذرية لا تقتلوا ذرية، وقال كل نسمه تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها فأبواها يهودانها أو ينصرانها»- إلى ان قال وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فإذا عبر عنه لسانه إما شاكراً وإما كفوراً"[1]

و من الصفات التي أودعها الله في الإنسان عند خلقه الأنانية وحب الذات وذلك لحكمة يعلمها سبحانه فنجد الطفل الرضيع يشاكس من هو في سنه على لعبة أو أي شيء أمامه وهو لا يـدرك بعد من أمور الدنيا شيئاً حتى انه لا يعرف من حوله ولا يفرّق بين أبيه وأمه وإذا كان من حوله بشراً أو غير ذلك وعندما يكبر ويشتد قوامه تكبر معه الأنانية وتشتد حتى انه يود أن يكون كل شيء له ويود ان يكون أفضل خلق الله فيحارب من اجل ذلك فيسلب حقوق الآخرين ويقتل في سبيل ذلك وربما اقرب الناس إليه الا من رحم الله. ولقد قالوا قديماً - انا وبعدي الطوفان - ولا شك ان ذلك كله بإرادة الله جل شانه قال تعالى وهو اصدق القائلين: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة المعارج] .

و إذا كان الشنفرى ذلك العداء الأشهر والصعلوك الأقوى هو مدار بحثي هذا وقد اختلف مع ربعه وعشيرته الذين عاش بينهم ناكراً فضلهم وفضل بيئتهم عليه فقاتلهم وقاتلوه فان ذلك بدون أدنى شك بإرادة الله

(١) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني م / ٣ / ص / ٥٤.

جل شانه ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكنه يفعل ما يريد. يقول الرحمن تبارك وتعالى في محكم التنزيل: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾. [سورة البقرة الآية (٢٥٣)].

و قد تحدث عنه الباحثون واحتوت تلك البحوث على أخطاء جسام في الزمان والمكان واللغة.ذلك لأنهم يتحدثون عن بعد فلم يشر أي من الباحثين إلى انه زار شخصيا موقع نشأته بمن في ذلك من عاش في المنطقة ولم يكلف نفسه البحث وزيارة تلك المنطقة فكان كالذي يصف ما يدور من أحداث وانفجارات كونيه على كوكب الزهرة وهو ينظر إليها من الأرض دون وسيلة من الوسائل الحديثة توصله إليها أو تقربها منه عدا الباحث القدير والعلامة الشهير الشيخ / حمد الجاسر رحمه الله الذي زار منطقة الباحة خصيصاً للبحث عن ماضيها التليد وحاضرها المجيد فجاء بحثه دقيقاً وموفقا ونتيجة إلى ما وجده من كنوز مغمورة في هذه المنطقة التاريخية فقد حث أبناءها على عدم الاكتفاء بما توصل إليه ودعا أهلها والجامعات والمختصين في التاريخ لنفض الغبار المتراكم على وجهها وإبرازه ليكون وضاء ومشرقا كما كان في سالف الأزمنة الماضية.

و كم نحن بحاجة إلى من ينظر إلى تاريخنا من قرب كما فعله لا ان ينظر من بعد كما فعل غيره.

و حيث ان هذا البحث المتواضع يأتي من قبل ابن من أبناء هذه البيئة التي عاش فيها الشنفرى وهو أدرى من أي باحث آخر من خارج هذه البيئة فانه سيأتي بإذن الله محققا ومصححا لما اعترى تلك البحوث التي اطلعت عليها من أخطاء متواترة في الزمان والمكان واللغة مصححا للرؤى الخاطئة عن هذه البيئة وأمم ذات صلاح وفلاح عاشت فيها قبل الإسلام وبعده وذلك من اجل إزالة الغشاوة التي اعترت عيون بعض الباحثين فكانوا اقرب إلى الظلم من الحق والعدل.

ولا ادعي بأي حال من الأحوال الكمال فهو صفة لا يتصف بها الا واحد احد ومن نازعه في ذلك خاب وخسر.

يقول العالم الجليل والباحث القدير الشيخ / حمد الجاسر رحمه الله رحمة الأبرار في استدراكاته في مؤلفه - في سراة غامد وزهران - مهما بذل المرء من عناية وجهد في تأليف أي كتاب فقد تفوته أشياء كثيرة -. وهذا قول صحيح ينم عن خبرة واسعة في مجال البحث والتأليف.

وقال رحمه الله تعالى تحت عنوان - السراة معاقل الضاد - لا أريد الاسترسال في الموضوع لكنني ذكرت هذا للفت أنظار المعنيين بدراسة اللهجات بأنهم سيجدون في السروات أخصب مكان لأبحاثهم وحبذا لو عني أبناء السراة أنفسهم بتسجيل لهجاتهم فان في ذلك خدمة جلّى لا للبلاد وحدها بل لكل من يعنى بدراسة اللهجات العربية.

فله الشكر بعد شكر الله جلت قدرته وله منا الدعاء بالرحمة والغفران على ما بذله من جهد ومشقة لم يسبقه احد إليه من خارج المنطقة فخدم به هذه المنطقة كما خدم مواقع أخرى في الجزيرة العربية وما ذاك الا

بدافع وطنيته وانتمائه العربي وخطوة تستحق الإشادة انه يدفع أبناءَنا في الوطن العربي كافة للبحث عن تراثهم ونفض الغبار عنه وأخراجه للعالم في صورته الحقيقية التي تدل على عراقته وسبقه الحضاري.

لا شك ان الباحث في مثل هذه الأمور كالرحالة الذي يمتطي قدميه ويسيح في أرض الله فينزل واديا ويمر بسفح ويصعد جبلا وتغوص قدماه في صحراء حارة فيجف ريقه وينتهي زاده فيوشك على الهلاك ثم يمخر بحرا وقد ينجو وقد لا ينجو.

انه يقابل الملوك والأمراء فيغدقون عليه بالاوسمه وما يعينه على مواصلة مشواره مقدرين له جهده لإدراكهم بأهمية ذلك ويقابل آخرين فيكبر بعضهم عمله دون تقديم مساعدة تذكر ثم يمر بأقوام لا يدركون عمله فيستصغرونه ويجلدونه بسياط ذمهم ومع ذلك يواصل رحلته غير آبه لان التاريخ لا يقبل المحاباة كما قال شيخنا علامة الجزيرة العربية . وما ابن بطوطة الرحالة العربي والمستشرق فلبي عنا ببعيد.

إن هذه الخطوة المتواضعة تندرج تحت هذا المفهوم وهي استجابة لتلك الدعوة.

و أتمنى أن يتبعها خطوات وبحوث من أبناء هذه المنطقة فهي كما قلت ذات تاريخ مشّرف تضرب بجذورها في أعماق التاريخ وقد قسمت بحثي الى خمسة اقسام على النحو التالي :

القسم الأول : الشنفرى على مفترق الطرق.

القسم الثاني : رؤيتي حول اسمه، لقبه، نشأته، بيئته.

القسم الثالث: اعلام من بيئته قبل الاسلام ومخضرمون ومعاصرون.

القسم الرابع : كلمات لا زالت حيه في بيئته أوردها من شعره.

القسم الخامس: قرى وأوديه في بيئته لازالت في ذاكرة التاريخ ذكر بعضها في شعره ومر بأخرى ولم يذكرها.

ثم الخاتمة وملحق صور لمعالم طبيعية، أثرية، بنية تحتية لنهضة شاملة والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المؤلف

محمد بن زياد مسفر اليوسي الزهراني.

القسم الأول :

الشنفرى على مفترق الطرق...

قبل ان اتحدث عن اسمه ونسبه ونشأته وبيئته أود أن أطل إطلالة سريعة على كتابين وقعا في يدي تحدثا عن هذه الشخصية ولكي نعرف إلى أي مدى وصلا في بحثيهما عن حقيقة اسمه ومكان مولده وعما إذا كانا أنصفا أو أجحفا في حق بيئته ومجتمعه الذي تربى فيه وترعرع وحارب خصومه وأوجع.

الأول : (ديوان الشنفرى) جمع وتحقيق وشرح الدكتور إميل بديع يعقوب الذي صدرت طبعته الأولى في عام ١٤١١هـ الموافق ١٩٩١م عن دار الكتاب العربي بيروت.

الثاني : (الشنفرى الأزدي) لمؤلفه الأستاذ مصطفى عيد الصياصنه صدرت طبعته الأولى في عام ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٥م عن دار المعراج الدولية للنشر وقد أشير في خارج الغلاف الأخير انه طبع في بيروت بإشراف دار حزم.

و مما لاحظته على هذين الكتابين ما يلي :

١- اقتراب صدورهما من بعض فالأول صدر في عام ١٤١١هـ والثاني بعده بثلاث سنوات تقريبا في عام ١٤١٥هـ وهذا دليل على ان الأدباء والمهتمين بالتراث لازالوا يتناولون سيرته بين حين وآخر.

٢- اقتراب حجميهما من بعض فالأول بلغت صفحاته بما في ذلك الفهارس وصفحات المراجع مائة وتسعة عشر صفحة والثاني بلغت مائة وخمسة عشر صفحة شاملة المراجع والفهارس والسبب الذي أراه في اقتراب حجميهما هو شح المصادر عن المبحوث عنه وما وجد منها كان مكررا تناقله الباحثون ولم يأت أحد بجديد.

٣- تنوع مصادر بحثيهما فقد رجع كلٌ منهما إلى مصادر تختلف عن الآخر أحياناً وقد يتفقان في الرجوع إلى مصدر واحد عندها يختلف النقل من واحد إلى آخر وهذا بلا شك ظاهرة صحية تنم عن جهد الباحث لكي يأتي في بحثه بما لم يأت به من سبقه. وكما جرت به العادة فقد أوضح كلٌ منهما في نهاية بحثه المصادر التي رجع إليها.

٤- الكتاب الأول أكثر شرحا لمعاني الكلمات وتخريجها في الحاشية مما يتفق في كثير من شرحه مع ما يتخاطب به أهل السراة في بيئة الشنفرى " **ديار بني سلامان التي تربى فيها** ".

٥- جميع المصادر التي رجع إليها الدكتور اميل بديع قديمة مما يدل على انه غير متابع لما يستجد من بحوث حول هذه الشخصية. بينما مصطفى عيد الصياصنه أورد ضمن قائمة المصادر مجلات ودوريات حديثة تعرضت لحياته. مما يدل على انه متابع لما يستجد في أمره.

٦- لم يثبت الدكتور اميل بديع يعقوب في كتابه ديوان الشنفرى مكان مولده على نحو قاطع مثلما فعله الباحث مصطفى عيد الصياصنه الذي قال :

(و نحن لا يهمنا في شيء من أي البطنين هو الشنفرى بقدر ما يهمنا ان نثبت نسبته إلي بني شهر) وأورد خريطة[1] تحتها عبارة (مصور يوضح بلاد الحجر التي ولد فيها الشنفرى) مؤكداً بذلك مكان مولده رغم انه لا يعتبر دليلاً قاطعاً على ذلك.

---

(١) انظر ديوان الشنفرى الازدي للأستاذ / مصطفى عيد الصياصنه صفحة (٦٥) و الخارطة صفحة (٣٢).

٧- لم يتعرض الدكتور بديع لبيئته بخير أو شر واكتفى بما توصل إليه من معلومات في بحثه من اختلافات في نسبه ونشأته وشيء من شعره بينما ظهر الباحث مصطفى أكثر تعرضاً لبيئته وأكثر تحليلاً لشخصيته من سابقه كما سنرى فيما بعد.

تأملات سريعة في مقدمتي الكتابين

في مقدمة الكتاب الأول (ديوان الشنفرى):

١- لا أدري إذا كان الباحث مسلما أو لا فقد خلت المقدمة من ذكر الله كالبسملة والثناء على من علم بالقلم علَّم الإنسان ما لم يعلم كما تعودنا من الكتاب المسلمين في تصديرهم لكتبهم ومؤلفاتهم كما خلت من الصلاة على خير خلق الله محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم عندما ذكر الحديث النبوي الشريف ((علموا اولادكم لامية العرب فانها تعلمهم مكارم الاخلاق))[1] كما خلت بقية الصفحات من ذلك عدا صفحة (١٩) عندما قال ان لامية العرب ترتفع إلى منزلة لامية كعب بن زهير - بانت سعاد - التي انشدها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ومهما يكن فان الحمد لله والشكر له أمراً مطلوبا في مثل هذه الأمور حتى يوفق الله الكاتب فيما يكتبه ويسدد قلمه لقول الحق. وعلى كل حال فان هذا من شانه هو وحتى لا يذهب فكر القارئ بعيدا فان سبب إيراد هذه الملاحظة هو اتزانه في بحثه. وللمقارنة بين سلوكنا نحن العرب الذين نعالج الأمور بحدة والغربيون من ذوي الدماء الباردة الذين يعالجون الأمور بهدوء وهذه حقيقة أثبتتها الأحداث وليس

(١) راجع ديوان الشنفرى للدكتور / اميل بديع يعقوب صفحة (١٨).

بعيب ان نعترف بعيوبنا ولكي نصححها بينما العيب ان نبقى كما نحن لا تبديل في طريقنا إلى بلوغ غاياتنا إلا العنف والحدة مما يفقدنا كثيرا من مكاسبنا في الحياة ويفوز بها الآخرون.

٢- ابتدأ بترجمة للشاعر الصعلوك فذكر الآراء في اسمه ونسبه ونشأته ومولده واختلاف الآراء حول ذلك وهذه بلا شك طريقة في البحث سليمة وحتى لا يتوه القارئ فلا يعرف الشخصية التي يقرأ عنها خاصة إذا كان لأول مرة يقرأ عنه فليس كل القراء والمؤرخون يعرفون الشنفرى.

٣- ذكر الحديث الشريف (علموا أولادكم لامية العرب فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق) [١]. ولم يخرج الحديث بل قال في الحاشية انه عن الروائع فحيَّر القارئ ومما زاد من حيرته قوله (فإذا صح هذا الحديث كانت لامية العرب جاهلية وسقط ادعاء نسبها إلى خلف الأحمر الذي عاش في القرن الثاني الهجري).

هنا نجد ان الباحث لم يهتم بجوهر الحديث وقيمته التوجيهية والبيئة التي ولدت فيها هذه الرائعة وإنما اهتم بنسبتها للشنفرى دون خلف الأحمر ونحن نرجح رأيه بأنها للشنفرى كما سيرد فيما بعد ان شاء الله. وكنت أتمنى لو اكتملت الصورة بتخريج الحديث وسنده ثم الاهتمام بجوهره والبيئة التي قيلت فيها فقد كانت بيئة أدب وشعر ولولا أن البيئة هذه كذلك لما جاءت هذه الرائعة على هذا النحو.

٤- بدأ في مناقشة الثلاثة الأمور الشائكة هي اسمه، نسبه، نشأته وكان هادئاً متزناً فلم يتطرق إلى بيئته وما كانت عليه من صلاح أو طلاح

---

(١) راجع ديوان الشنفرى للدكتور / اميل بديع يعقوب صفحة (١٨).

لإدراكه وبعد نظره ان مجتمعات العالم كلها منذ خلق الله الأرض ومن عليها تختلف من مجتمع إلى آخر ومن شخص إلى آخر بل ومن أب إلى ولده وأخا لأخيه. وان الأمم لا تؤخذ جميعها بجريرة شقي منها باع نفسه للشيطان.

٥- دعم بحثه بأقوال الأدباء من داخل الوطن العربي وخارجه من المستشرقين الذين جابوا البلاد العربية وكتبوا عنها في الأزمنة الماضية فتركوا لنا أدباً يختلف أيضاً من مستشرق يبحث عن العيوب وآخر يبحث عن الحقيقة. فابعد نفسه عن حرج كان في غنىً عنه.

ثم أنهى بحثه بقوله (و بعد لا أهدف من عملي المتواضع هذا سوى خدمة تراثي فان وفقت فالخير أردت والا فحسبي أنني حاولت. والله ولي التوفيق).

هذا وفي إطلالة سريعة على المتن - القسم الثاني - الديوان الذي افرد له صفحة خاصة - (ص / ٢٥) وما بعدها نجده أورد قصائد مرتبة قوافيها هجائياً.

وفي مقدمة الكتاب الثاني (الشنفرى الازدى):

١- بدأ بحمد الله وأثنى عليه وصلى وسلم على خير خلق الله محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وطلب من الله العون وهذا أمر يشكر عليه ويحسب له وقد عودنا الكتاب المسلمون على هذا الأسلوب الواجب إتباعه. بعد ذلك تناول الموضوع فقال :

(للشنفرى ملحمتان - ملحمة شعرية إبداعية وأخرى دموية مأساوية).

و مما قاله عن الملحمة الشعرية الإبداعية ما يلي :

(تتمثل ملحمته الإبداعية الشعرية في رائعته المسماة لامية العرب وهي التي اشتهرت وذاعت وتناقلتها الأجيال على امتداد تاريخنا الأدبي جيلاً بعد جيل وعني بدراستها وتوجيه النظر إليها ماضياً وحاضراً الباحثون على مختلف أوطانهم وأجناسهم وتوجهاتهم). إلى ان قال (و بهـذه اللامية التي القينا بعض الأضواء عليها في دراسة خاصة توجناه أميراً على كافة الشعراء الصعاليك في عصره).

٢- بعد ان شرح الملحمة المأساوية الدموية وانعكاساتها على شخصيته قال :

(قاوم الحماءة التي يرتكس بها قومه وهم يرفعون راية العصبية ويفرقون بين البشر بحسب ألوانهم أو مستوياتهم المادية أو أصول أنسابهم) إلى ان قال :

(حاول ان يقهر كل ذلك الا ان تأصل الداء واستشراء العلة كان اكبر من وسعه وطاقته) ثم استطرد قائلاً :

(ان قصة حياة الشنفرى تذكرنا بقصة ذلك الإسرائيلي الذي قتل من الأنفس مائة ثم راح يبحث عن مخرج يخرجه من أزمته ويعيد لضميره راحته ولنفسه الأمان والاطمئنان. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا. فسأل عن اعلم أهل الأرض فدل على راهب فاتاه فقال : انه قتل تسعا وتسعين نفسا فهل من توبة ؟ قال : لا. فقتله وكمل به المائة. ثم سأل عن اعلم أهل

الأرض فدل على عالم فقال : انه قتل مئة نفس فهل من توبة ؟ فقال : نعم من يحول بينك وبين التوبة ؟ انطلق إلى ارض كذا وكذا فان بها أناس يعبدون الله فاعبد معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها ارض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه ملك الموت فاختلفت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً إلى الله. وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط. فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له. فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة[1]).

بعد ذلك استمر في المقارنة فقال :

(ان كلتا القصتين - مع الاحتفاظ بالفارق - تكشفان الغطاء عن طبيعة النفس الإنسانية وتوضحان الأثر الذي يمكن للبيئة ان تلعبه في توجيه مسار الإنسان وتحديد هويته في هذه الحياة. فالاسرائيلي والشنفرى كلاهما قتل مائة نفس جناية وظلماً وعدواناً. وأصل البيئة التي عاش فيها كلا منهما ذات طبيعة واحدة وهي التي دفعت بهما إلى ما ذهبا إليه من قتل وانتقام وسفك دماء وترويع آمنين). إلى هنا نستطيع القول ان هذا القول منطقياً وفيه شيء من التوازن بين البيئتين وان لم يكن كاملاً. لكنه استرسل فقال :

(وبعد هذه الأرضية المشتركة أخذت المسألة تتخذ بالنسبة لكل منهما

---

(١) راجع الشنفرى الازدي لمصطفى عيد الصياصنه صفحة (٦ ، ٧).

أما سند الحديث عنده ، البخاري (٣٤٧٠) في الأنبياء ، مسلم (٢٧٦٦) في التوبة ، ابن ماجه (٢٦٢٢) في الديانات ، ابن حبان ٢ / ٧ واحمد (٣ / ٢٠ / ٤٢).

توجهاً ومساراً مختلفين) هنا بدأت تظهر عناصر التباين.
و لعل القارئ الكريم يدقق النظر قليلاً فقد بدأ هو الآخر يتخذ مساراً آخر نحو التحيز إلى جانب دون الآخر فيما يتعلق بالبيئة على وجه الخصوص ثم الشخصين مدار الرواية والمقارنة. حيث قال:
(فرجل بني إسرائيل بعد ان قتل المائة تاب وأناب وصلح حاله. لقد وفر له من الظروف ما ساعده على التوبة وشجعه على الإنابة وأخذ بيده إلى طريق الخير والصلاح فقد وجد عالماً يرشده إلى موطن الفضيلة ويدله على الخير كما وجد أرضاً فيها قوم صالحون يعبدون الله يلتجئ إليهم ويلوذ بكنفهم ليستقيم أمره وتستتب خطاه. أما الشنفرى فانه لم يقع له ما وقع لصاحبه).
و قبل ان نواصل بقية المقارنة نتساءل أين مكمن الخطأ هنا هل هي البيئة أم الشخص نفسه ؟ لعل القارئ يشاركني الرأي إن الخطأ واضح وصريح وهو أن الخطأ والصواب يعود للشخصين فالإسرائيلي تاب وأناب وذهب يبحث عن سبل التوبة رغم أن بيئته وأرضه أرض سوء كما جاء في الحديث الشريف فوجد بيئة أخرى صالحة فعاش فيها يعبد الله مع بقية المؤمنين في عصره. أما الشنفرى فلم يبحث عن عالم وبيئة صالحين ولو بحث لوجد فالمؤمنون الصالحون موجودون في ديار العرب وغيرهم منذ ان خلق الله الأرض ومن عليها ودليلي على ذلك أن الناس كانوا يعبدون الله ويحجون البيت الحرام قبل الإسلام ولكنهم يشركون مع الله غيره فما قبل ذلك منهم رب العزة والجلال فهو المتفرد بوحدانيته ومن أشرك معه غيره تركه وشركه لأنه غني عنه كما ان قصة أصحاب

الأخدود معروفة وكان سبب تعذيبهم أنهم كانوا مؤمنين بالله فقد وصفهم الرحمن جل في علاه بالمؤمنين عندما قال جل من قائل :

﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ ﴾ [سورة البروج الآية (٤ إلى ٧)] . ثم أكد جل شانه إيمانهم في الآية التي تليها حيث قال :

﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ﴾ [سورة البروج]. قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ﴾ أي لعن الله أصحاب الأخدود وجمعه أخاديد وهي الحفر في الأرض هذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل فقهروهم وأرادوا ان يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم فحفروا لهم في الأرض أخدوداً وأججوا فيه ناراً واعدوا لها وقعدوا يسعرونها به ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها...... الخ) [(١)].

و لو كان الشنفرى فيه خيرا لضرب أكباد الإبل ليبحث عن مثل أولئك المؤمنين بعد أن قتل وأوفى بنذره فكان عليه أن يتوب لكنه لم يفعل كما فعل الإسرائيلي ولم يهده الله لأمر لا نعلمه نحن. خاصة إذا علمنا أن نجران التي وقعت فيها هذه الواقعة وديار بني سلامان التي تربى فيها الشنفرى وخاض فيها معاركه مع خصومه تقعان في منطقة واحدة وهي ما يسمى اليوم في التقسيم الإداري الجنوب.

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني م / ٣ / ص / ٦٢٣ و ما بعدها.

ثم استطرد في مقارنته فيقول :

(الإسرائيلي وجد بيئة صالحة يلوذ بها والشنفرى العربي ما أتيحت له هذه الفرصة بل وجد بيئـة تشجعه أكثر من الأولى على سلوك طريق الإجرام وتدفعه إليه دفعاً حتى أنه لم يعد فاتكاً ضارياً إلا بعد حلوله بها وتعرفه على أهلها).

هنا يمكن الرد عليه فنقول نعم كان هناك في المجتمع الإسرائيلي بيئة صالحة وهم الذين هدى الله الإسرائيلي التائب للذهاب إليها وأخرى فاسدة تشابه بيئة الصعاليك التي آوت الشنفرى وشجعته.

و في المجتمع العربي أيضا. بيئة مؤمنة لم يوفق الله الشنفرى إليها لسوء نيته وتأصل الشر في نفسه وزمرته الفاسدة من شذاذ الأفاق وبيئة فاسدة تشابه بيئة بني إسرائيل التي وردت في الحديث. وهنا نود ان نستضيء بنور الآيتين الكريمتين الأولى قوله جل من قائل في محكم التنزيل: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة يونس آية (٢٥)]. وقال جل من قائل في آية أخرى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [سورة القصص آية (٥٦)].

ثم استرسل استرسالاً لا أرى له داعياً لأن الموضوع يتعلق بسيرة رجل شاعر صعلوك ظالم وليس تحليلاً لسلوكيات مجتمع وبيئة بأسرها فيقول :

(الإسرائيلي وجد عالماً يرشده إلى طريق الخير ومواطنه والعربي ارتحل باحثا) هنا توقف الباحث عن مواصلة الحديث فليته واصل الحديث لعرفنا باحثاً عن ماذا ؟ لكنه استرسل قائلاً : (فوقع علي تأبط شراً بدل

ان يقع على مثل ذلك العالم) ان هذا القول يؤكد ما سبق أن قلته ان العيب في الشخص نفسه وليس في البيئة فلو بحث عن الخير لوجده ولكنه بحث عمن يشابهه فكان تأبط شراً. هنا تتجلى الحكمة العربية التي تقول " الطيور على أشكالها تقع ". ثم يواصل فيقول :

(شتان بين من يستضيء ببصيرة عالم وبين من يسترشد بشيطانيات تأبط شراً) ونحن نتفق معه في هذا القول. ثم يقول مضيفاً :

(و البيئة الفاسدة والمجتمع الظالم الآسن الوبي هو دافع الإجرام لدى الرجلين. إلا أن الأول استطاع ان يتحول عن هذه البيئة وهذا المجتمع إلى ما هو أطهر وأنقى وأزكى. بينما ارتطـــم الآخر بالاسواء والآسن والأنتن). ولا شك أنها عبارات قاسية وظالمة أستشف منها وقد يشاركني القارئ ان في نفس الباحث شيء يلمح به ولا يستطيع ان يصرح عن بيئة الشنفرى لكن القارئ الفطن يستشف ما وراء السطور ولا تنطلي عليه مثل هذه الإيماءات والاصطياد في الماء العكر.

و هنا تحضرني قصة يتداولها الناس عن شخصين سافرا إلى خارج الديار السعودية سائحين وعندما وصلا البلد المقصود سكنا في سكنين منفصلين لاختلاف توجهاتهما وقصد كل منهما الهدف الذي سافر من اجله فكان الأول لا يخرج من سكنه تأتي طلباته إليه فظن ان أهل هذا البلد كلهم فاسدون وعندما عاد إلى وطنه وسأله أصدقاؤه قال بلد فاسد وأهله كلهم فاسدون. أما الثاني فيخرج كل يوم من مسكنه عند طلوع الشمس ولا يعود إليه الا بعد منتصف الليل للنوم فقط يزور المكتبات والآثار الإسلامية والجامعات والمساجد الأثرية وكلما حل موعد الصلاة أخذ

مكانه في الصف الأول وإذا لم يسارع لم يجد له مكاناً مناسباً لكثرة الصالحين والمؤمنين وعندما عاد إلي بلده قابله أصحابه يسألونه عن رحلته قال بلد علم ومكتبات وآثار إسلامية قيمة وتلاوة قرآن وصلوات ودعاء.

لا شك ان هذه قصة حقيقية يتحدث بها الناس والعبرة فيها إن كلا من السائحين نظر من زاويته التي تحققت منها أهدافه رغم ان ذلك البلد وبلاد العالم قاطبة والبيئات في الدنيا جميعها فيها الصالح والطالح وفيها المستقيم والمنحرف. وهنا تتحقق المقولة التي تقول - كل إناء بما فيه ينضح -.

ثم أعود إلى مقارنته وتصوراته فيقول :

لو تصورنا أرضاً خلت من أولئك الناس الذين يعبدون الله الذين دل عليهم الرجل الإسرائيلي فاننا لا نملك الا ان نتخيل مجتمعاً بهيمياً ساقطاً بكل معاني البهيمية والسقوط مجتمعا لا تجد فيه خيرا ولا تشم في سراديبه رائحة فضل أو صلاح). عبارات أخرى فجة مستبذلة مستكرهة تصيب القارئ والباحث بالغثيان لفحشها وسوئها صادرة ممن يدعي انه أديب وباحث.

٢- أما عن قوله ان تأصيل الداء واستشراء العلة كان اكبر من وسعه وطاقته فهو قول غـريب حقاً فهل كان الباحث ينتظر من صعلوك عثا في الأرض فساداً وقتل الأبرياء من نساء وأطفال وشيوخ دون وجه حق أن يجر مجتمعا بأكمله فيه القادة والشرفاء والملوك وأهل الصلاح إلى تأييد أفعاله والسير خلفه حتى يمتدحهم ولا ينخلع منهم وأن يصلح مجتمعا هو في الأصل أصلح منه. هنا تتحقق المقولة التي تقول - فاقد الشيء لا

يعطيه - فمن فقد الصلاح والاستقامة في نفسه فانه يتعذر عليه بل يستحيل ان يصلح غيره.

و هنا كنت أتمنى أن تكون قدوة الباحث سيد الخلق صاحب الخلق العظيم محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم الذي امتدحه ربه جل شانه فقال جل من قائل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة القلم آية (٤)]. وكان الأولى ان يستنير في بحثه بقوله جل شانه في محكم التنزيل : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [سور ة آل عمران آية (١٥٩)].

لقد كان الشنفرى فظاً غليظا لا تعرف الرحمة إلى قلبه طريقا فطارده الشرفاء من قومه الذين يرفضون أفعاله فتمكنوا منه فقتلوه شر قتله فحبال الظلم والكذب والخداع قصيرة والقاتل وسفاك دماء الأبرياء بإذن الله يجد نفس المصير فيُسفك دمه وتُزهق روحه كما فعل ذلك بغيره.

ثم يستطرد الباحث فيقول : (ان مجتمع قوامه بمثل هذه الطائفة وصلاحه واستقامته مرتهنان بمدى وجودهما فيه وانتشار خلاياه في أعماق حناياه فهو حي بحياتها مشرق بإشراقها مستمر البقاء متواصل النماء باستمرار وجودها وتواصل نمائها. أما إذا نفض يده وجحد فضلها وتبرأ من فكرها وكفر بدورها ورسالتها فانه لم يعد بلا أدنى شك أمام البوم والغراب من مانع يصده على ان يأخذ طريقه مرتاحا ولينعق في ديار القوم يندب صباح مساء) ثم يتساءل:

(و هل هلكت الأمم إلا بفسادها وانعدام وازع الخير فيها وانتفاء مظاهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين ظهرانيها. هذه رحاب الأرض بكل حضاراتها المتعاقبة لا تشهد الا بهذه الحقيقة الساطعة).

هذه حقيقة نتفق معه فيها فان الأمم حقا لا تهلك الا بفسادها. لكن التعميم بالفساد والصلاح للناس كلهم أمر غير مقبول يرفضه العقل السليم وتأباه الشرائع السماوية.و الدليل على صحة هذا القول ما ورد في القران الكريم عندما كفر بعض بني إسرائيل فلعنهم الله فاللعن من رب العزة والجلال لم يصبهم جميعا برهم وفاجرهم صالحهم وشقيهم. قال تعالى وهو أصدق القائلين والمتصرف في شئون عباده الصالحين والفاسدين لا يسأل عما يفعل ويريد : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [سورة المائدة (٧٨، ٧٩)] . قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية الكريمة - قال الإمام أحمد عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم ووآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داوود وعيسى ابن مريم ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً فجلس فقال (لا والذي نفسي بيده حتى تاطروهم على الحق أطرا) [1].

---

(١) مختصر كفيرني كثير للصابوى م/ ١/ ص/ ٥٣٨.

والذي نستنتجه من قتال الشنفرى مع قومه عدم رضاهم عما قام به من فتك وظلم فطاردوه حتى قتلوه وتخلصوا منه كما قتلوا الصعلوك حاجز الزهراني الذي هام على وجهه نتيجة مطاردته من قبل أولئك الذين فتك بهم فمات ولا يعلم كيف مات وأين مات ؟

إن ما فعله بنوا إسرائيل بالأمس يتمثل في تصرفاتهم اليوم في أرض فلسطين السليبة وما ترتكبه العصابات الصهيونية من قتل وهدم للمنازل وتشريد النساء والأطفال والشيوخ في العراء وسلب ممتلكاتهم وابتزازها ورمي رجالهم الرافضين الظلم في غياهب السجون والمعتقلات. عند كتابة هذا البحث لم تكن دماء اللبنانيين قد جفت نتيجة للإعتداء الظالم من قبل صعاليك هذا الزمان العصابات الصهيونية فقد دمروا المنازل وقتلوا الأطفال والنساء في جريمة قانا الثانية دون مبرر يذكر.

و لم ترتفع الأصوات لإنكار ذلك المنكر بل وصفوهم برجال السلم كما فعل رئيس الولايات المتحدة بوش حينما أطلق على شارون صاحب مجزرة صبرا وشاتيلا التي لن ينساها التاريخ برجل السلام. وان ارتفع صوت مهزوز خائف مرعوب أخمدوه بالحديد والنار. ثم يعود ثانية فيقول:

(إن الذي ألح على الشنفرى أن يحيا صعلوكا فاتكا ويموت كما عاش صعلوكا فاتكا إنما هي البيئة الضالة الأسنة المتردية التي كان يصطدم بها أينما توجه وأبعد).

هنا أود أن أتوقف قليلاً عند قوله - أينما توجه وأبعد - وفي هذا بلا شك تعميم غير مقبول. فالحكمة العربية تقول - رب كلمة قالت

لصاحبها دعني - وفي الفقرة التالية يتحدث عن العلاقة بين الفرد وبيئته فيقول (العلاقة بين الفرد وبيئته علاقة متبادلة تصلحه ويصلحها أو تفسده ويفسدها ولا صلاح لحال شعب أو امة أو مجتمع الا بصلاح طرفي المعادلة. كما أن كل صلاح هو بحاجة إلى نزع فتيل الجاهلية من كلا الطرفين فالجاهلية داء مستتر ووباء وبيل إن تمكن في الفرد عله وهده وحطمه ثم انتقل منه إلى جاره لينشر شره وينفث سمه وهو إن تمكن في المجتمع وفرخ وباض ، وجعل جوه فاسداً وريحه عقيما وأرضه يبابا وقيمه عليلة وأخلاقه منتنة فلا يستنشق فرده الا فاسد الهواء ولا يأكل الا من حرام ولا يعاشر الا أشقياء فمن أين له أن يصلح ويستقيم ؟).

هنا أرى أن الباحث لم يأت بجديد والذي نبحث عنه وهي حقائق لا تخفى على الإنسان العادي فضلاً عن المتعلم الفطن وأخيراً توصل إلى أمر يرى انه زبدة بحثه وهو قوله : (ان ظاهرة الصعلكة وليدة بيئتها المنتنة والوبيئه. وان الشنفرى لم يكن بحال الا ابن مجتمعه ونبت حماءته وشجرة دمنته. ونحن إن درسنا الصعلكة والصعاليك فمن هذا المنطق بدأنا. ونحن إن درسنا الشنفرى ولاميته فاننا ما درسناه الا لمثل هذه العبرة نخص بها أنفسنا ونلفت إليها نظر القائمين على أمر قيادة السفينة فينا وكذلك الذين بيدهم زمام صياغة جيلنا وصناعة فكره حتى لا تتفتح أعيننا ذات يوم وقد وجدنا أرضنا تعج بميئات بل آلاف (الشنفرى) انتهى. هنا يظهر الباحث متناقضاً فكيف يحذر من وجود أمثاله في مجتمعنا طالما أنه كريم، عزيز نفس، وخيره يغلب شره وأهل للقياده.

من المقدمتين نستخلص الأمور الآتية :

١- ظهر الدكتور اميل بديع يعقوب في طرحه متزناً.

٢- خلت المقدمة بل الكتاب كله من عبارات النتن والأسن فجاء بحثه شيقاً مفيداً. اتضح من خلاله أن هم الباحث إلقاء الضوء على بعض من جوانب هذه الشخصية الغامضة.

٣- لم يتطرق إلى بيئة هذا الصعلوك الشاعر لإدراكه كما سبق ان قلت إن المجتمعات والبيئات في الأرض قاطبة فيها الصالح والطالح فآثر الابتعاد عن الخوض في هذه الأمور الحساسة.

٤- لم يصل في مقدمته إلى الحقيقة التي يتطلع إليها الباحثون وهي إسمه الحقيقي وإسم أمه وأباه ومسقط رأسه وهي الأمور التي استعصت عليه وعلى غيره نتيجة لما يكتنفها من غموض. وستظل عصية كما أرى لبعد المسافة وتذبذب الروايات وندرة المصادر .

٥- ظهر الأستاذ/ مصطفى عيد الصياصنه منفعلاً متشنجاً هائجاً مائجاً متوتر الأعصاب ناقم على بيئة الشنفرى ومجتمعه.

٦- تطرق إلى بيئة الشنفرى بسوء ولم يوضح ما المقصود بالبيئة هل هي بيئة الصعاليك فقط أم البيئة كلها مما جعل الظن الغالب عند القارئ انه يقصد المجتمع كله.

٧- لقد أمعن الباحث في العبارات القاسية والخارجة عن حدود المقبول واستساغة القارئ فاستهجن ذلك. انه قول غير مفيد للقارئ الذي يبحث عن هوية هذا الصعلوك فقط ويتطلع لمن يفك هذا الغموض.

٨- لم يصل إلى نتيجة مقنعة للقارئ كسابقه فيما يتعلق باسمه واسم أمه

وأباه ومسقط رأسه رغم انه يدعي أنه توصل إلى نتيجة قاطعة ودعم ذلك بخارطة بل اثبت انه نشأ وتربى في ديار بني سلامان في دوس بزهران.

٩- ظهر الباحث متناقضاً ففي الوقت الذي يقول انه ابن حماءته ومجتمعه ونبت دمنته، نجده يشيد بمواقفه وتزكيتها والبحث عن المبررات لما ارتكبه من قتل وترويع للآمنين كما سنرى فيما بعد.

في متن الكتاب الأول (ديوان الشنفرى) نجد ان الدكتور / اميل بديع يعقوب خصص القسم الثاني من الديوان لقصائد الشنفرى وشرحها في الحاشية شرحاً مفيداً للقارئ دون ان يتعرض لتحليل شخصيته أو التعرض لمجتمعه أو لبيئته.

أما الأستاذ/ مصطفى عيد الصياصنه فقد خصص الجزء الأخير من كتابه (الشنفرى الازدي) لتحليل شخصية هذا الصعلوك تحت عنوان :

(قراءة في شخصية الشنفرى) [1].

هنا نجد أن الباحث تحدث عن مثله، بسالته، إبائه، صبره، عزة نفسه، كرمه، وجوده، صدقه، اعتداده بنفسه، رفضه الضيم، خيره يغلب شره، وأهليته للقيادة....... الخ.

أما فيما يتعلق بحالته النفسية فقد قال :

عاقل، متزن، عواطفه متزنة، معجب بنفسه، ليس مريض .

و فيما يتعلق بموقفه من مجتمعه قال :

فقد كان متمرداً على نظام مجتمعه، منخلعاً من ربقة قبيلته، مجتمعه المثالي، نظرته للمرأة، نظرته للغيب، الشنفرى في نظر تأبط شراً...... الخ.

---

(١) انظر صفحة (٦٩) وما بعدها.

و على هذا سوف نقتطف نماذج من تصوراته عن هذا الصعلوك الشرير حتى يطلع القارئ على نظرته إليه. وذلك من خلال بعض العناوين الفرعية المتفرعة من العنوان الأساس الذي اشرت إليه سلفاً.

"بسالته وإباؤه"

فالشنفرى.. أبي باسل شديد البأس، قوي الشكيمة بل فظيع البطش في عدوه.

"صبـــره"

و هو رجل صبور إلى أقصى درجات الصبر والتحمل فالجوع يؤلمه والفقر يمضه ولكنه لا يستكين لآلم الجوع ولا يرضخ لمضاضة الفقر بل يقاوم ما أمكنه المقاومة.

"عــزة نفسه"

و عزة النفس... صفة بارزة لديه فهو على أتم استعداد دائما لان يستف تراب الأرض على أن يضع نفسه موضع مِنّه أحد المتفضلين أو يرى لإنسان كائناً من كان يدا في عنقه.

"كـرمه وجـوده"

لقد كان الشنفرى كريماً وجواداً يبذل ما يملك على صحبه وخلانه ولم يك في يوم من الأيام شحيحاً ولا في حال من الأحوال فيما عرفناه مقتراً بخيلاً .

"صــدقــه"

و صدق الشنفرى صفة واضحة عنده وخلق جلي فيه.. فهو شاعر صادق.. صادق في عواطفه وصادق في حديثه.. صادق فيما يرويه عن

الآخرين أو عن نفسه.

"اعتداده بنفسه"

و الشنفرى معتد بنفسه مزهوا بأصله وحسبه، شان عامة الشعراء في عصره.

"رفضه الضيم"

و قد كان الشنفرى من الإباء والشمم ورفعة الهمة وسمو المقصد بحيث لا يرضى بظلم ولا يقيم على ضيم لذا ثار على قومه وعلى نظم حياتهم.

"خيــره يغلب شره"

الشنفرى ليس كما يتخيل الكثيرون بالرجل الشرير الذي تأصل به نازع الشر حتى اقتلع كل نازعه خير فشره ان وجد لا يحول دون خيره بل ان نازعه الخير والإحسان.

"أهليته للقيادة"

و شاعر فيه كل هذه المواصفات خليق بأن يتبوء مركز القيادة في جماعة الصعاليك.

وعن حالته النفسية يقول :

١- رابط الجأش صلب العريكة يواجه ما يعاني من أهوال قاسية لا يطيقها غيره بثبات منقطع النظير من غير دهش ولا خوف.

٢- لم يكن الشاعر بالرجل القليل الحيلة بل هو عاقل متزن راجح العقل يستخدم عقله في كل أمر يقدم عليه.

٣- وهو متزن العواطف أيضا بعيد عن سرعة الانفعال وحدته بل يعامل كل احد بما يستحق سهل مع كل سهل ودود مر مع كل جواظ عتل

بغيض.

٤- ولأن الشاعر مشغول بكبريات الأمور فقد جعل نفسه فوق اعتبارات الغني والفقير.

٥- يظهر ان الشنفرى معجب بقوسه أيما إعجاب بل ان انبهاره بتلك القوس كان أشد من إعجابه بأي شيء آخر يمتلكه.

٦- الشنفرى فيما يبدو لم يكن بالشخصية المرضية أو السيكوباثية فهو وإن كان قد نشأ نشأة غير صحية وعاش عيشه غير رضيه إلا أنه لم يكن فيما نتصور مصابا بحالة من حالات الجنون أو الصرع أو العصاب أو انه كان ملتاثا بلوثة الشعور باللذة عن طريق إشباع شهوة مكبوتة لديه نحو القتل والفتك والاعتداء والتشفي بتعذيب الآخرين وترويعهم.

وفيما يتعلق بنظرته إلى المجتمع والحياة يقول :

" تمرده على نظام مجتمعه "

١- ان الوضع الاجتماعي الظالم الجائر الذي كان سائداً في جزيرة العرب إبان العصر الجاهلي هو الذي دفع بالشنفرى وأمثاله لان يعلنوا صرخة الإباء ويرفعوا راية الثورة والتمرد في وجه مجتمعاتهم التي لم توفر لهم أدنى حدود الكرامة.

" الانخلاع من ربقة القبيلة "

٢- علاجا لهذا الانحراف في طبيعة ونظرة قومه إليه وأسلوب تعاملهم معه وموقفهم منه وكرد فعل على ما ارتكبوه من جنايات بحقه أعلن الشنفرى انخلاعه الكامل ومفاصلته الشعورية التامة حيال قبيلته وجاهر بكفره بما يسمي العصبية القبلية بل والانتماء القبلي.

"مجتمعه المثالي"

٣- إذا كان الشنفرى قد أعلن جهارا نهارا انخلاعه من قبيلته ورفضه المطلق الحازم للقبول بفكرة الانضواء تحت سلطان عاداتها وأعرافها وتقاليدها فانه ما فعل ذلك كرها باعتبارها قبيلة بل رد فعل على انحراف قيمها وفساد مثلها وعقم وسائلها وأساليبها في التعامل مع من لها في أعناقهم حق الانتماء ونصرة نهجها.

"نظرته إلى المرأة"

٤- يتخذ الشنفرى من المرأة موقفا نبيلا. فهو يعجبه فيها أنها حيية خجولة لا تسقط قناعها عن وجهها إن سارت ولا تكثر من التلفت بل هي تمشي باستحياء شديد فتراها لا ترفع بصرها من الأرض وكأنها تطلب شيئا ضاع منها وان حدثتك قطعت حديثها وأوجزت لخفرها وشدة حيائها.. كما ويعجبه في المرأة ملازمتها بيتها لا تبرحه الا نادراً. فهي لعفافها وعميق ثقته بها لا يسألها عن شيء من حركة خروجها إن هي خرجت في أثناء غيبته..... الخ.

لا شك أن وصف هذا الصعلوك بهذه الصفات الحميدة تخالف حقيقة الأمر وهي تزكية لمجرم لا يستحق كل هذه الصفات أو بعضاً منها ولقد قال من قبل في تزكيته لهذا الصعلوك ورفاقه الصعاليك (ان الشنفرى ومن حوله من الصعاليك ليسوا سوى نخبة من الأذكياء الأفذاذ الذين رفضوا الرضوخ للشكل الاجتماعي السائد بل والمهيمن في عصرهم..... الخ) [1].

---

(١) راجع الصفحة (٩٦).

و إذا كان لي من تعليق على هذا القول فانني سوف اختصره فيما يلي:

١- إنه يناقض ما قاله في بداية حديثه عنه حين قال (إن ظاهرة الصعلكة وليدة بيئتها المنتنة والوبيئه وإن الشنفرى لم يكن بحال من الأحوال إلا ابن مجتمعه ونبت حماءته وشجرة دمنته) فكيف أصبح والأمر كذلك عزيز نفس، كريماً، جواداً، صادقاً، معتد بنفسه، يرفض الظلم، يغلب خيره شره، أهل للقيادة، رابط الجأش، متزن العواطف، بعيداً عن سرعة الانفعال وحدته، مشغول بكبريات الأمور جعل نفسه فوق اعتبارات الغني والفقير معجب بقوسه وليس بالشخصية المريضة.

٢- فيما يتعلق بقوله انه تمرد على نظام مجتمعه فلو كان أبياً شهماً لما انتهك حرمات الناس وسطا على منازلهم في الليل والنهار محدثا فزعا للكبير والصغير. ولما أيم النساء وأيتم الأطفال وقطع النسل فكان بإمكانه ان يكون عضواً فاعلاً في ذلك المجتمع الذي آواه واحتضنه ساعة حاجته للرعاية وعندما كان طفلاً لا يعرف أباه ولا أمه وكان بإمكانه ان يقتص من تلك الفتاة التي لطمته بلطمة مماثلة وينتهي الأمر عند هذا الحد أما العبودية فإنها ليست مبررا لما ارتكبه ولقد عانى من كانوا في مثل حاله في الجاهلية أكثر مما عانى فقد كانوا عبيداً مسترقين يضربون بالسياط لكنهم صبروا وكانوا فيما بعد أهل للريادة والقيادة بل صار بعضهم من آل بيت الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وسوف يأتي ذكرهم.

٣- أما قوله انه انخلع من ربقة القبيلة فان الصحيح انه تمرد وعصى فعلاً ولكنه لم ينخلع منها فلا زال اسم القبيلة ملتصق به وقد عنون الباحث بحثه باسم قبيلته فقال (الشنفرى الازدي) وقبيلته أيضا لم تخلعه منها فهو

ازدي لكنه عندما الحق العار بها وأساء سمعتها نبذته وطاردته حتى اقتصت منه ونال عقابه.

٤- أما قوله عن مجتمعه المثالي - لقد كان للمجتمع في نظر الشنفرى صورة مثالية يتمنى أن يراه عليها دائماً وفي أحسن حال – فانني أرى إنه لم يبذل جهداً يذكر لإصلاح مجتمعه حتى يصبح كما تمناه ولو رجعنا إلى ما قاله في مقدمته حين قال - العلاقة بين الفرد وبيئته علاقة متبادلة تصلحه ويصلحها أو تفسده ويفسدها[1]- لعرفنا انه لو كان صبوراً رابط الجأش أبياً كريماً لما انساق ورى هواه وانضم إلى قائمة الصعاليك بل صار أميرهم كما يقول الباحث. لكنها بدون شك النفس الشيطانية التي تسكن بين جوانحه دفعته إلى عمل ما عمله.

٥- أما نظرته للمرأة فإنها نظرة واقعية فالمرأة العربية قبل الإسلام وبعده تتصف بالحياء والعفة وهناك صور كثيرة وسيراً لهن تفوح عطراً وشذا. خلدهن التاريخ. لكنه كان مجرماً بحق المرأة فقد قض مضجعها وادمع مقلتيها واحرق فؤادها على أحبتها من زوج وأخ وابن وها هو يعترف فيقول :

فايمــت نــسوانا وأيتمــت الــدة و عدت كما أبدأت والليل اليـل.

انه هنا يقر بأفعاله وانه كلما انتهى من مهمة في الليل كررها في الليلة الأخرى وهكذا.

٦- لم يكن لدى الباحث ما يدعم صحة هذه الصفات الا شعر هذا الصعلوك فقد استدل على كل صفة ببيت شعر من أشعاره ، وهذا

---

(١) راجع صفحة (٩). من الديوان المذكور

استدلال خاطئ في نظري والسبب في ذلك ان القاتل إذا قتل فانه يحاول ان يخفي معالم جريمته وعند اكتشاف أمره ينفي التهمة عنه ويدعي البراءة ولم نسمع ان أحداً قتل ثم ذهب إلى السلطات الأمنية ليعترف الا إذا كان سفاحا لا يبالي بمشاعر الناس وأحاسيسهم مغرورا متباهيا مثل الشنفرى كما ان السارق يسرق ويخفي معالم جريمته ولا يعترف بل يدعي البراءة وقد يرمي بجرمه غيره والحوادث والشواهد على هذا الأمر كثيرة خاصة في هذا الزمن الذي انعدمت فيه المصداقية قال تعالى وهو أصدق القائلين:

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [سورة النساء الآية (١١٢)]. لا شك ان الصعاليك كما قال أذكياء. ولكنهم وظفوا ذكاءهم في الشر فعاشوا تعساء مطاردين من اقرب الناس إليهم منبوذين فماتوا ميتة الحية السامة إما بالقتل كما حدث للشنفرى وإلا بالضياع في صحارى الشر وكهوف الإجرام مثل حاجز الذي لا يُعرف أين مات وكيف. ان من حكم أهل السراة هنا قولهم - مادح نفسه كذاب - أي أنك إذا رأيت أو سمعت أحداً يمتدح نفسه فاعتبره كاذبا ولو حمل قوله بعض الصحة. وفلسفتهم في ذلك ان أحداً لن يسب نفسه في يوم من الأيام ويعلنها صراحة ويقول للناس أنا مجرم أنا كذَّاب أنا ليس فيَّ خيراً. ابتعدوا عني أيها الناس. لكن افعل خيراً ودع الناس تتحدث عنك ويأتيك المدح حتى من الأعداء.

إن الإنسان الذي يمدح نفسه من خلال شعره ويذكر خصاله كما قلت لا يجب ان يتخذ دليلاً وقولا مسلما به. يقول الأستاذ/ عبد الله عبد الرحمن الجعيثن على الغلاف الأخير (الخارجي) من مؤلفه (الشعر الإسلامي في

العصر العباسي الأول) ما نصه :

- ادعى بعض الأدباء وفي مقدمتهم الدكتور / طه حسين ان العصر العباسي الأول عصر مجون ولهو ونفاق واستدلوا بشعر المجون والخمر فيه. وليسموا العصر كله بذلك، باعتبار الشعر وجدان أمه. والعصر العباسي الأول من العصور الذهبية في تاريخ الحضارة الإسلامية فيه وجد الأئمة الأربعة : أبو حنيفة ومالك والشافعي واحمد بن حنبل وفيه بلغت الحركة العلمية وحركة الترجمة وتمثل الحضارات ذروتها وفيه كانت الدولة الإسلامية عزيزة الجانب دائمة الجهاد في سبيل الله.

على ان الطاعنين في نزاهة هذا العصر، صلاح مجتمعه يصرون على ان يتخذوا الشعر دليلاً أوحد. وهذا الكتاب يرد عليهم بنفس سلاحهم إذ يحوي سيلاً نقياً من الشعر الإسلامي الصالح الذي قيل في هذا العصر موثقا ومحققا من مصادر ومراجع تربو على ثلاثمائة كتاب. وعلى الله قصد السبيل - انتهى[١].

ولو أردت هنا ان انهج ما نهجه الأستاذ/ عبد الله في جمع الأشعار التي تنبذ وتجرم ما قام به أولئك الصعاليك وتنبذه لأخذ حيزاً كبيراً من هذا الكتاب لكننى آثرت ان اكتفي بهذا القول لعلمي بان القارئ الفطن والباحث عن الرفق في الحياة لا يفوته مثل ذلك.

---

(١) انظر الغلاف الأخير من الكتاب المذكور. و الكتاب قيم جدا و ننصح بقراءته و اقتنائه. يقول عنه صاحبه / قدم هذا البحث الى كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لنيل الشهادة العالية سنة ١٣٩٣هـ و حاز على درجة الامتياز تحت إشراف الدكتور / عبد الرحمن رأفت الباشا.

وخلاصة القــول :

ان أمانة البحث في سير البارزين من علماء أفاضل ومجرمين محترفين تقتضي ان لا نعطي العالم أكثر من حقه وان لا نبحث عن مبررات لما قام به الأشرار لفك قيدهم مما ارتكبوا من أعمال اجرامية بل ونمدحهم ونضع النياشين والأوسمة على صدورهم. و ها نحن في القرن الحادي والعشرين وبعد مرور ألفي عام وأكثر من زمن ذلك الصعلوك نعاني في المملكة العربية السعودية مملكة الإنسانية وواحة الأمن والإيمان وديار الإسلام ومأوى أفئدة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من صعاليك هذا الزمن الذين ايموا النساء ويتموا الأطفال دون وجه حق ولا مبرر لهم الا فكرهم المنحرف والنزعة الشيطانية المسيطرة على نفوسهم. أنهم تماما مثل صعاليك ذلك الزمان الذين جحدوا فضل الله عليهم ثم مجتمعاتهم التي آوتهم ورعتهم حتى شبوا وغدوا رجالاً وكان المنتظر منهم رد الجميل. لكنهم آثروا الانحراف فنالوا ما نال أولئك من نبذ ومطاردة ومصير سيء. فهل يجوز لنا ان نبرر أفعالهم ونقول أنهم كانوا مظلومين من مجتمعاتهم وحكومتهم وأن ما يقومون به دفاعا عن أنفسهم وعن عقيدتهم. إننا ان نقل هذا فقد قلبنا الحقائق وشجعنا الظلم ورفعنا البوم مكان الصقر والحية الرقطاء السامة مكان الحمامة الوادعة المسالمة.

أما فيما يتعلق بالشنفرى شخصية بحثي هذا فلم يذكر التاريخ مما قرأته انه تعرض للضرب أو الطرد أو الإهانة من علية القوم وسادتهم في بيئته وإنما تعرض للإساءة من ابنة عمه عندما أساء أدبه معها فلطمته. ثم نحى منحنًى بعد ذلك جعل القوم في موقع الدفاع عن الأنفس والأعراض

والأملاك. وإذا كان عبدا مملوكاً أو أسيراً مفكوكاً فان هذا ليس مبرراً لارتكابه تلك الجرائم وترويع الآمنين وقد كان حاله حال العشرات بل المئات من العبيد والخدم الذين عاشوا قبل الاسلام وبعده وتعرضوا لأكثر مما تعرض له من الضرب والاهانة فصبروا ولم يقتلوا الابرياء من الشيوخ والنساء والاطفال ومنهم على سبيل المثال. عنترة بن شداد ، صهيب الرومي ، سلمان الفارسي ، وبلال بن رباح وغيرهم كثير ولكنها نزعة الشر في نفسه دفعته الى الامعان في القتل دون وجه حق ولقد كان بإمكانه الانتقام لنفسه ممن أساء إليه بمثل ما تعرض له من إساءة. وأن لا يوسع دائرة الانتقام فتلحق بمن لا ذنب له كما كان بإمكانه هجر ديار القبيلة إلى غيرها ولو هام على وجهه في مجاهل الفيافي والقفار. أما القول بأنه انخلع من قبيلته وكفر بها فإنني أرى انه لم ينخلع منها بل قيد نفسه بها أكثر من ذي قبل فوضع حبلا في عنقه ومده إلى معصميه يجر به في كل مناسبة فقد ارتبط اسمه بالعبث وقتل الأبرياء وانتهاك حرمات قومه فلم يستطيع ان ينفك من ربقة الأزد رغم مرور الدهور واختلاف الأمور.

ان القبيلة نظام اجتماعي (رباني) أوجده الله جل شانه للتعارف لا للحسب والنسب فقد قال جل شانه في محكم التنزيل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [سورة الحجرات الآية (١٣)]. قال أبو بكر الجزائري في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ ﴾: (بطونا وأفخاذاً وفصائل كل هذا لحكمة التعارف فلم يجعلكم كجنس الحيوان لا يعرف الحيوان

الآخر لكن جعلكم شعوبا وقبائل وعائلات وأسر لحكمة التعارف لمقتضى التعاون اذ ان التعاون بين الأفراد ضروري لقيام مجتمع صالح سعيد فتعارفوا وتعاونوا ولا تتفرقوا لأجل التفاخر بالأنساب فانه لا قيمة للحسب ولا النسب إذا كان المرء هابطا في نفسه وخلقه فاسدا في سلوكه. ان أكرمكم عند الله اتقاكم. ان الشرف والكمال فيما عليه الإنسان من زكاة روحه وسلامة خلقه وإصابة رأيه وكثرة معارفه) (١) .

و على هذا اقول إذا كانت الدول تستطيع أن تلغي اسم القبيلة من وثائقها الرسمية الخاصة بمواطنيها فإنها لا تستطيع بأي حال من الأحوال الغاء هذه الآية الكريمة من القران الكريم وستبقى ما دام القرءان يتلى والمؤمنون يسجدون لله ويعبدونه.

إن من وقع في ربقة القبيلة لا يستطيع ان ينخلع منها وله ان يهجرها ويترك ديارها لكن انتسابه إليها يضل يلاحقه ومثال ذلك حاجز الزهراني الذي ادعى انه انخلع من قبيلته ولحق ببني مخزوم. لكن اسم الزهراني لازال ملحقا باسمه من حين ولادته إلى اليوم وإلى أن تقوم الساعة ولا شك ان سب بيئة الشنفرى وهم عرب في الأصل والارومه وتعميم ذلك فيه تجن وظلم وقد قال الشاعر العربي :

و ظلم ذوى القربى أشد مضاضة على القلب من وقع الحسام المهند

كما ان فيه تعد على العرب وفي ذلك مخالفة وإغضاب للصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم والذي جاء متمما لمكارم الأخلاق.

فها هو بابي وأمي يخاطب سلمان الفارسي بقوله - يا سلمان لا تبغضني

---

(١) أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري م/ ٥ / ص / ١١٥.

فتفارق دينك - قال سلمان رضي الله عنه يا رسول الله كيف أبغضك وبك هدانا الله ؟ قال (صلى الله عليه وسلم) تبغض العرب فتبغضني -(١).

لا شك ان من بعث رحمة للعالمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم لم يقل هذا من قبيل التعصب حاشاه ذلك وإنما العرب شرفهم الله بنزول القرآن بلغتهم وجعل خاتم النبيين منهم والبيت الحرام بديارهم وهم الذين ضحوا بدمائهم لنشر الدين الإسلامي حتى كان عزيز الجانب انه صلى الله عليه وسلم يضرب أروع الأمثلة في الرحمة وحسن الخلق فهو النبي من بين الأنبياء والرسل الذي لم يدع على أمته. ومن الأمثلة الرائعة في حلمه وصبره ما رواه الشيخ / حمد الجاسر رحمه الله في مؤلفه (في سراة غامد وزهران) حيث قال :

- ثم أتى الطفيل النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو هريرة فقال له (ما وراءك) فقال بلاد حصينة وكفر شديد فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال (اللهم أهد دوسا) ثلاث مرات قال فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم خفت ان يدعو على قومي فيهلكوا فصحت (وا قوماه) فلما دعا سرى عني. لم يحب الطفيل ان يدعو لهم لخلافه عليهم فقال لم أحب هذا منك يا رسول الله فقال له (ان فيهم مثلك كثير)(٢).

ان هذا الفعل منه صلى الله عليه وسلم من أعظم الدروس التي نستفيدها من حلم سيد البشر وأخلاقه وهذا يجعلنا نتقي الله في أقوالنا وتصرفاتنا.

---

(١) كتاب عصر الصحابة لعبد المنعم الهاشمي ص (٥٨٢) قال رواه الترمذي (٣٩٢٧) في المناقب و قال هذا حديث حسن غريب و احمد ٥ / ٤٤٠.

(٢) في سراة غامد و زهران للشيخ حمد الجاسر صفحة (٢١٩).

ان التعرض لسير القرون الأولى والبحث فيما آل إليه مصيرهم في الآخرة أمر نهانا عنه رب العزة والجلال وسبق ان أوردت بعض الآيات التي تدل على ذلك ولكن الدفاع عن الصحابة والمؤمنين أمر مطلوب والغيرة عليهم والدفاع عنهم مشروع فهذا علامة الجزيرة العربية الشيخ / حمد الجاسر رحمه الله تعالى يدافع دفاع العاقل المتمكن عن الصحابي الجليل الذي خدم الإسلام والمسلمين فحفظ أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواها عنه فكان علماً من الأعلام ومصدراً موثوقاً به إنه أبو هريرة رضي الله عنه والذي عاش قبل الإسلام في قومه يدين بدينهم ويشايعهم في تصرفاتهم لكن كرم خلقه وصفاء معدنه دفعه إلى الإسلام فصقلت أخلاقه وبرئت نفسه من ادران الشرك. حيث قال رحمه الله تعالى :

(و قد حاول بعضهم النيل من هذا الصحابي الجليل بسبب كثرة روايته غير انه دافع عن نفسه. لهذا فان ما ألفه أحد المتأخرين وهو الأستاذ/ محمود أبو ريَّه عن هذا الصحابي الجليل مما لا يصح الاعتماد عليه)[١].

كما دافع عنه الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله الزهراني في كتابه الشهير (معجم رواة الحديث الاماجد من علماء زهران وغامد) حيث قال تحت عنوان: "شُبَه الطاعنين والرد عليها"

و مما يؤسف له إنني سمعت عددا ممن ينتسبون إلى العلم عن طريق التقليد الأعمى يقول احدهم ان أبا هريرة ليس بفقيه...... الخ[٢].

---

(١) كتابه في سراة غامد و زهران صفحة (٢٨٣).

(٢) معجم رواة الحديث الاماجد من علماء زهران و غامد م / الأول / ص ٧٦ الصادر في طبعته الأولى عام ١٤١٨ هـ الموافق ١٩٩٨م.

و لما كان هذا العالم الجليل من بيئة الشنفرى وعاش فيها مع بداية حياته الأولى ثم كان من أوائل المستجيبين للدعوة الإسلامية فان ذم بيئة هذا العالم التي هي بيئة الشنفرى الشرير مما يجب الدفاع عنها ولهذا فإنني أستعير عبارة العلامة حمد الجاسر وأقول - لمن برر أفعال الشنفرى وأسبغ عليه الثناء والمدح ان هذا قول لا يصح الاعتماد عليه -.

و إذا كنت ألتمس بعض العذر للدكتور / اميل بديع يعقوب في عدم الوصول إلى الحقيقة المنشودة فإنما ذلك لانه درسه عن بعد واعتمد في بحثه على مصادر هي الأخرى استقت معلوماتها عن بعد أيضا فجاءت ناقصة بسبب التصحيف في العبارات والأبيات الشعرية ورحّلت المواقع من مكانها الأصلي إلى أمكنة لا تمت لبيئة الشنفرى بصلة وإلى ديار لم يمرها الشنفرى أصلا. لكنني في الوقت نفسه لا ألتمس العذر للباحث الأستاذ/ مصطفى عيد الصياصنه عندما جاء بحثه غير مستوف لعناصر البحث عن الحقيقة فجاء متحاملا على بيئة الشنفرى ونعتها باسوأ النعوت ثم علق على صدور الصعاليك الشنفرى وحاجز بن عوف النياشين والأوسمة لأنهما انخلعا من قبيلتهما وكفرا بها. والسبب في عدم أعذاره انه عاش في المنطقة غير بعيد عن بيئة الشنفرى وربما طاف قراها وله أصدقاء من أهلها فقد حرر مقدمة كتابه في مدينة بالجرشي في تاريخ جمادى الآخرة عام ١٤١١هـ هذه المدينة إحدى قرى قبيلة غامد الأزديه وتقع إلى الجنوب من بني سلامان التي عاش وتربى فيها " الشنفرى " ومنها انطلق لمحاربة خصومه بحوالي ثمانون كيلا تقريبا واقرب مدينة من بلاد زهران لها بيضان التي ورد ذكرها في شعره ثم قرن ظبي التي تطل على مدينة

الباحة حاضرة المنطقة مباشرة وكلاهما يتبعان بني يوس من زهران. وقد ذكر بعض المواقع في بيئة الشنفرى في بحثه مما يدل على انه طاف المنطقة وعرف مواقعها التاريخية فها هو يقول في الحاشية عندما أورد بيت الشاعر الصعلوك الشنفرى :

قتيلا فجار أنتما ان قتلتما بجوف دحيس أو تبالة تسمعا

١- دحيس واد زراعي يبدأ من أعلى وادي القوارير بسراة زهران من الجنوب وينتهي في وادي تربه من الشمال به مياه جارية - انظر بلاد غامد وزهران لعلي السلوك ص / ١٠٧.

٢- ابيده أو (بيده) واد من أودية سراة زهران يتصل بوادي تربه يشتهر بزراعة الرمان ويبعد عن مدينة الباحة ثلاثين كيلا إلى الشمال الشرقي ومئة وسبعين كيلا جنوب الطائف - بلاد غامد وزهران ص / ٩٥ [(١)].

السبب الثاني هو أنني لا أشك بان الباحث اطلع عل كتاب الشيخ حمد الجاسر عن هذه المنطقة والذي اسماه - في سراة غامد وزهران - وهو كتاب احتوى على معلومات لا يستغني عنها أي باحث يرغب في البحث عن موقع هذه المنطقة في التاريخ قديما وحديثا فقد صدر قبل كتاب الشنفرى الازدي للصياصنه بخمس وعشرين سنة تقريبا وقد أشاد بهذه المنطقة وذكر مناقب رجالها ونسائها عبر التاريخ قبل الإسلام في العصور الجاهلية وفي صدر الإسلام وبعد استتبابه ومسارعتهم لنصرته وتثبيت أركانه ورفع لوائه خاصة وأنه باحث لا يمكن ان يفوته الاطلاع على مثل

---

(١) انظر كتابه الشنفرى الازدى ص / ٥٣.

هذا الكتاب القيم الا انه تجاهله لأنه لا يخدم هدفه والغاية التي يريد الوصول إليها. وقد اكتفى بالرجوع إلى مقدمة الشيخ حمد الجاسر التي تدعم حجته بان الشنفرى من شعراء الحجر وانه من بني سلامان من بني شهر[١]. كما أنني أشك في اطلاعه على تاريخ الموصل لمؤلفه الشيخ أبي زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم الازدي - ٣٣٤ - ٩٤٥م - تحقيق الدكتور علي حبيبه[٢]. و لو اطلع عليه لوجد ان رجالاً عظماء عاشوا في بيئة الشنفرى ثم رحلوا منها فكان منهم الملوك والأمراء والقضاة والعلماء وقادة الجيوش وأسسوا ممالك ومدن وغزوا في سبيل الله لنصرة الإسلام لخفف من وطأته وحماءته على هذه البيئة ولأدرك انه مع كل ذلك يستحيل ان يكون مجتمعا آسنا وبيئة نتنة وان من كان يعارض سلوكيات الشنفرى ومن شايعه كثير لذلك طاردوه وقتلوه.

و كما ان في المجتمع العربي صعاليك في الزمن الغابر مثل الشنفرى وحاجز بن عوف وتأبط شرا ثم جاء صعاليك القرن الحادي والعشرين الذين نرفضهم جملة وتفصيلا. فان في المجتمع الإسرائيلي صعاليك في الأزمنة الغابرة قتلوا أنبياءهم وكفروا بهم ثم جاء اليوم صعاليك جدد تولوا دفة الحكم في إسرائيل منذ اغتصاب فلسطين السليبة والقدس الجريحة في عام ١٩٤٨م فعاثوا في الأرض من الفساد والجرائم ما يخجل

(١) المصدر السابق ص / ٦٤.

(٢) صدر عن الجمهورية العربية المتحدة (مصر) عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية / لجنة إحياء التراث الإسلامي عام ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

له التاريخ ويندى له جبين الإنسانية لا لأنهم مظلومين كما قال الصياصنه عن الشنفرى وإنما هو تأصل الشر في نفوسهم والتي تدعوهم إلى القتل والسلب والنهب والابتزاز بقصد إشباع النزعات الشيطانية والانحراف عن الطريق المستقيم والتلذذ بسماع أنات الضعفاء من نساء وأطفال وشيوخ والنشوة لرؤية الدماء والأشلاء في كل حي وبيت.

و نحن لو طبقنا مقولة الأستاذ / عيد الصياصنه عليهم وقلنا أنهم أبناء مجتمعهم ونبت حماءته وشجرة دمنته لحكمنا على شعب إسرائيل جميعهم بالصعلكة والإجرام ولعممنا هذه النظرية عليهم ووصفناهم بعبارات السقوط والعفن ولصادرنا كل صوت ينادي بالسلام منهم والرغبة الأكيدة في التعايش السلمي وإعادة الحقوق المغتصبة إلى أصحابها وهذا بلا شك خطأ يجب الانتباه إليه. و أخيراً فان تزكية الباحث الصياصنه لهذا الفاتك الشرير ورفيق دربه في الإجرام حاجز بن عوف اللذان جلبا العار لقبيلتهما الأزد فيها الكثير من المبالغة ومخالفة الحقيقة وتعارض مع قول الله جل شانه في محكم التنزيل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة النجم الآية (٣٢)].

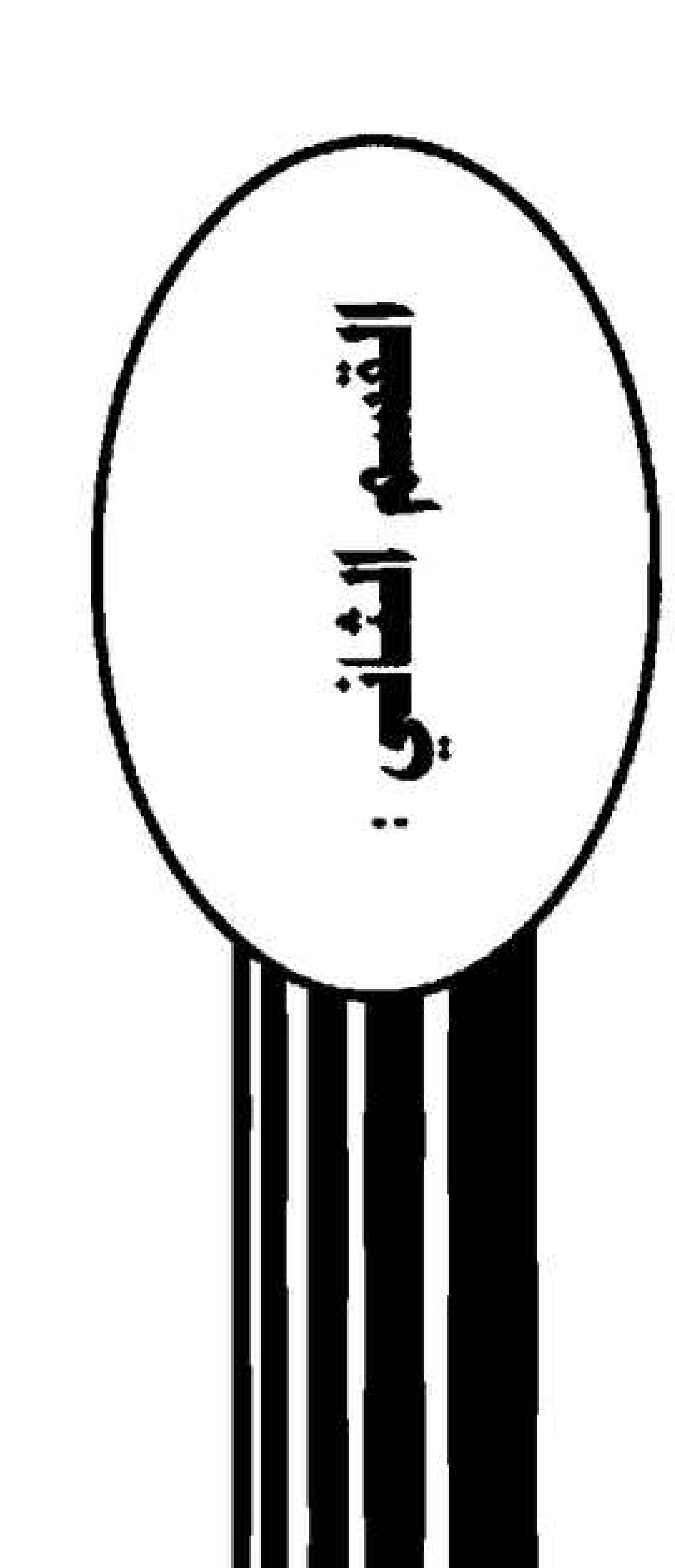
و قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [سورة النساء الآية (٤٩)].

نسأل الله جلت قدرته أن يثبتنا على قول الحق ويصلح فساد قلوبنا

ويرشدنا إلى طريق الصواب الذي لا يخالف أمره وأمر رسوله ومصطفاه المرشد الدليل صاحب الخلق النبيل سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم...

و الله المستعان،،، وعليه التكلان،،،





رؤيتي حول
اسمه، لقبه، نشأته، بيئته

بعض الحقيقــة :

نحتاج الحقيقة في أمور حياتنا كلها احتياجنا للماء والهواء نحتاجها كاملة غير منقوصة لتطمئن القلوب وتهدأ النفوس ويسود الأمن والإستقرار. وتنفذ الأحكام الشرعية بعدالة وكذلك الأنظمة الوضعية.

قد تأتي كاملة فنرضى بذلك رضاء تاما وقد تأتي ناقصة فنرضى أيضاً على مضض ونرى ان هذا أفضل من احتجابها نهائياً.

و قد لا تظهر مطلقاً ولو بقي البحث عنها أزمنة طويلة بل اننا نكتشف يوما بعد يوم أنها في وقتنا الحاضر مستحيلة فنحيلها إلى من بعدنا وننقل المسؤولية إليهم فتبقى إرثاً جديراً بالبحث يستهوي أصحاب الهمم العالية من عشاق البحث عن الحقيقة فقد يأتي الأواخر بما لم يأت به الأوائل.

من هذه الحالات المستحيلة في الوقت الحاضر حالة شخصيتنا هذه فسيرة شاعرنا هذا " الشنفرى " صاحب لامية العرب ظلت ولا زالت لغزاً حار العلماء والباحثون خلال العصور الماضية في فك رموزه. وإذا سلمنا بما قال أهل قرية سلامان من دوس أنه منهم وأن اسمه ثابت بن أوس فان هذه الحقيقة أيضاً تظل ناقصة للأسباب الآتية :

<u>الأمر الأول</u> : من هو جده وجد جده فالنسابون لا يكتفون بالأب والجد بل يذهبون إلى أبعد من ذلك فيذكرون المرء المراد ذكر نسبه واسم أبيه وجده ومن قبله حتى يصلون إلى قبيلته التي ينتهي نسبه إليها.

<u>الأمر الثاني</u> : من هي أمه ولماذا أغفلها المؤرخون ؟

<u>الأمر الثالث</u> : بعد المسافة بين مولده ونشأته التي قدرها الدكتور اميل بديع يعقوب في كتابه ديوان الشنفرى على الغلاف الخارجي أنها كانت

في عام (٧٠ ق. هـ) وزمننا هذا (٢٠٠٦م) وهو بلا شك وقت زمني بعيد خاصة إذا ما تذكرنا الركود الذي ساد موطنه الذي عاش فيه وتربى على ترابه أسوة بالبلاد الأخرى حيث انصرف الناس للحروب والصراعات فساد الجهل وانصــرف الناس عن التعليم حتى كانوا إلى عهد قريب لا يجدون من يكتب الرسالة أو يقرؤها ونتيجة لذلك لم تسجل الأحداث التي مرت بها هذه المنطقة فضاعت.

الأمر الرابع : تذبذب الروايات وعدم اتفاقها فيما يتعلق باسمه وإسم أبيه ومسقط رأسه وهذه نقطة تحسب على المؤرخين الأوائل الذين كانوا يرجمون بالغيب خاصة عند ذكر المواقع التاريخية حيث يقولون مدينة كذا في الشام وقرية كذا باليمن دون تحديد موقع ثابت وهذا أمر جعل الباحثين الجدد عاجزين عن تحديد المواقع التاريخية المقصودة خاصة وأن نزوح العرب من الجنوب إلى الشمال دفعهم إلى إطلاق أسماء بلادهم التي رحلوا منها على مواقعهم التي استقروا فيها إما لعدم اتفاقهم على اسم جديد أو تيمناً بموقعهم الأصلي وهذه ظاهرة لا زالت موجودة فمن جاء من الشام سمى اسم متجره باسم قريته أو مدينته ومن جاء من اليمن كذلك حتى الأجانب من غير العرب سلكوا هذا المسلك فنجد كثيراً من اللوحات بأسماء لا تمت للعربية بصلة. هذا واقع ملموس يجب الانتباه إليه. وقد لفت الشيخ حمد الجاسر رحمه الله الأنظار إلى هذه الحقيقة في كتابه - في سراة غامد وزهران[1].

الأمر الخامس : اقتصر المؤرخون والباحثون عن سيرته على ذكر اسمه

---

(١) راجع كتابه المذكور صفحة (٤٦٨) وصفحة (١٠٦) من هذا المؤلَّف.

ومولده ونشأته وشيء من شعره وحروبه ولم يتطرقوا إلى مجتمعه الذي عاش فيه أو أسلوب حياتهم من تجارة وزراعة وحوادث حدثت في عهده مما قد يوصلنا إلى الحقيقة أو جزء منها مؤكد وخاصة إذا ما علمنا أن بيئة الشنفرى من سراة الأزد كانت تدور فيها معارك طاحنة وحروب شرسة دفعت بكثير من سكانها إلى الانتقال من مكان إلى مكان وقد ذكر لنا التاريخ بعضها. لذلك فانني هنا سوف احاول إيراد بعض الحقيقة مما لم يذكره الأوائل. مستمداً العون من الله ثم البيئة التي عاش فيها ومن أماكن لازالت محتفظة بأسمائها ومواقعها وكلمات وردت في شعره لازالت حية يتخاطب بها أهل بيئته إلى اليوم بحيث يمكن للزائر ان يرى ويسمع ذلك عند زيارته لها فهي شاهد إثبات على ذلك إذا صح التعبير.

الأمر السادس : تذبذب الروايات في طريقة وصوله إلى بني سلامان فقد قال منهم انه آل إليهم سبياً وقال آخرون انه أتى بيعاً وقال فريق ثالث انه منهم وفي هذه القرية ولد وشب وترعرع. والمؤكد هو انه كان رضيعاً لا يعرف أمه وأباه ولو كان يدرك ذلك لأفصح عنهما كما ان المحيطين به من الأصدقاء حينذاك لم يعرفوا عن أمه وأبيه شيئاً ولو عرفوا لذكروه.

الأمر السابع : من الأخطاء التي يقع فيها كثير من الباحثين في سيرته تسميته بشاعر الصحراء وهو الذي عاش وتنقل عبر جبال السروات وأوديتها ولم يعرف الصحراء ولم يرد في شعره ما يدل على ذلك. ويظهر التناقض جلياً في قول المستشرف / جورج يعقوب ((ان موطن هذه القصيده (لامية العرب) هي تلك المرابع في جنوب مكة بين الجبال التي تقع في شمال اليمن حيث مضارب الأزد قبيلة شاعرنا)) ثم يستطرد

فيقول ((انني لا أفهم كيف يستطيع المرء أن ينكر هذه القصيدة التي تتنفس بعبير الصحراء...... الخ)) [1] لذا فإنني أرى أن تسميته بشاعر الجبل أقرب الى الصواب من غيرها. والله اعلم.

بيئته من حيث المكان

اختلفت الروايات جميعها في مسقط رأسه لكنها اتفقت على انه شب وترعرع في بني سلامان في قبيلة دوس بزهران وقبيلة زهران تنقسم إلى أربعة فروع كما ذكر ذلك الأستاذ/ قينان بن جمعان الزهراني في مؤلفه – قبيلة من زهران[2] –. وهذه الفروع هي :

الفرع الأول : بني يوس. وتتبعها البطون الآتية :

بني كنانه، بالخزمر، بني حسن، أهل بيضان، بني عامر، أحلاف دوقه، أحلاف باللسود، آل عبد الحميد، أهل ناوان. ويلاحظ أن البطون الأربعة الأخيرة تقع في القطاع التهامي من بلاد زهران.

الفرع الثاني : دوس وتتبعها البطون الآتية :

بني منهب، بني علي، آل عياش، بني فهم، وفيها قرية سلامان.

الفرع الثالث : بني سليم، وتتبعها البطون الآتية :

الشغبان، بالمفضل، الجبر، ولد السعدى، بالطفيل، المشايخ البراديه، المشايخ آل إبراهيم، الكعجمان، آل الحوسان، آل ذيبان، آل عبد الله، آل خماش.

الفرع الرابع : بني عمر، ويتبعه البطون الآتية :

---

(١) انظر ديوان الشنفرى للدكتور / اميل بديع صفحة (١٩).

(٢) كتاب قبيلة من زهران صدر عن مكتبة الحكمي بالرياض في طبعته الأولى عام ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠٠٥م صفحة (٣٥) و ما بعدها.

بني حرير، بني عدوان، قريش، بني جندب، بني بشير، وهناك فروع أخرى ذكرها المؤلف وترك لها حيزاً بارزاً.

و مما تجدر الإشارة إليه أن القرى التي تسكنها هذه القبيلة وفروعها لازالت تحتفظ بمواقعها وأسمائها منذ زمن الشنفرى حتى اليوم. والدليل على هذا القول ما أورده ثابت بن أوس (الشنفرى) في شعره وسوف اتطرق إليه لاحقاً. و من خلال تتبع غاراته على خصومه نجد أنه ركزها على قرى بني يوس وبني عمر. فالأولى تحد دوس من الجنوب والثانية من الشرق والغرب تقريباً ولم يتجه إلى الشمال حيث ديار دوس التي فيهم بنو سلامان وهم الذين استعبدوه ولطمته السلامية الدوسية مما يدل على أنه لم يرد أخذ الثأر لنفسه كما تقول الروايات ولو كان الأمر كذلك لاتجه صوب ديار دوس التي تقع في شمال ديار يوس وشمال غرب بني عمر وإنما هو عابث مستهتر بأرواح عباد الله لا تجد الرحمة بالنساء والأطفال والشيوخ إلى قلبه سبيلاً. ومع أنني سآتي على ذكر تلك القرى التي هاجمها من بني يوس وبني عمر والجبال التي اختبأ فيها وقد وردت في شعره الا أنني أود ذكر أبرزها هنا :

فالقرى التي تتبع بني يوس هي : أم عمرو، العفوص، رباع وبيضان، والجبال هي : جبل دهو، وعداف. أما القرى التي تتبع بني عمر فهي : منحل، الرأس، جبل السود، ووادي دحيس. والجبال : البَّراق، منور.

و لا اشك بأنه طاف قرى القبيلة أو اغلبها خلال غاراته في كره وفره مهاجماً ومطارداً (بفتح الراء) إلا أنه لم يذكر في شعره كما أظن الا القرى التي قاومته والجبال التي اختبأ فيها. والله اعلم،،،،،،

بيئته من حيث السكان

إقتصر الدكتور / اميل بديع يعقوب في ديوانه عن الشنفرى على ذكر إسمه ولقبه ونسبه وشيء من شعره ولم يحلل شخصيته أو يتطرق إلى بيئته. أما الأستاذ/ مصطفى عيد الصياصنه فقد قال في بحثه ان همه الأول أن يثبت أنه شهري حجري. ونحن هنا لا يهمنا ان كان شهري هو أم زهراني ولا يمكن التفاخر به أو بما عمله لكن يهمنا أن نثبت بالدليل القاطع أن البيئة التي عاش فيها وترعرع وانطلق منها في حروبه ومعاركه ضد خصومه زهرانية وقد أورد في شعره بعض المواقع التي لازالت حية ومحتفظة بأسمائها ومواقعها ثم انه أولاً وأخيراً أزدي والأزد قبيلة عظيمة تنتشر في الجزيرة العربية كلها ولقد كان مختلفا في طرحه فقد تطرق إلى مجتمعه وبيئته وذكرها بسوء وأجرى مقارنة كما سبق بين الإسرائيلي ومجتمعه والشنفرى ومجتمعه. ونحن هنا لا نعلم إذا كان يقصد بمجتمع الشنفرى وبيئته الصعاليك خاصة أم مجتمعه وبيئته جميعها فإذا كان يقصد مجتمع الصعاليك وبيئتهم فنحن نتفق معه وهو بالتالي مجتمع وبيئة تماثل مجتمع وبيئة الإسرائيلي السيئ الذي ذكر في الحديث وإن كان قصد مجتمع الشنفرى جميعه وبيئته كلها فقد أخطأ الصواب وخانه الحظ والتوفيق وما سيأتي لاحقاً بإذن الله يفند هذا القول وهذه النظرة السوداوية اتجاه أمة فيها من الأدباء والعظماء في زمن الشنفرى وإلى اليوم ما يخرس كل لسان. وفي اعتقادي أنه يقصد البيئة والمجتمع كله لأن قلمه لم يدون كلمة واحدة عن خير أو صلاح أهلها ولا شخصية واحدة يدافع بها عن نيته وإنما هي عبارات النتن والسوء وهذا يجعلنا نقول ان ورى الأكمة ما

وراءها. أما كتاب الأغاني لأبي فرج الأصبهاني فهو الآخر لم يتطرق إلى الخلاف حول اسمه ولا طبيعة بيئته ومجتمعه من حيث الصلاح والطلاح واكتفى بذكر شهرته (الشنفرى) والذي أراه أنه لقبه وليس اسمه وبما ان هذا الكتاب من أمهات الكتب ومصدر يعتمد عليه فسوف نطل من خلاله على ما ذكره عن الشنفرى بهدف إثراء معلومات القارئ عن هذه الشخصية الغامضة. حيث قال تحت عنوان – خبر الشنفرى ونسبه – :

(اخبرني بخبره الحرمي بن العلاء قال حدثنا أبو يحيى المؤدب واحمد بن أبي المنهال المهلبي عن مؤرج عن أبي هشام محمد بن هشام النمري أن الشنفرى كان من الأواس بن الحجر بن الهنوء بن الأزد بن الغوث أسرته بنو شبابه بنو سلامان بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان بن مفرج بن عوف بن ميدعان بن مالك رجلاً من فهم ثم احد بني شبابه ففدته بنو شبابه بالشنفرى فكان الشنفرى في بني سلامان بن مفرج لا تحسبه إلا أحدهم حتى نازعته بنت الرجل الذي كان في حجره وكان السلامي اتخذه ولداً فقال لها الشنفرى اغسلي رأسي يا أخيه فأنكرت ان يكون أخاها ولطمته فذهب مغاضبا حتى أتى الذي اشتراه من فهم فقال له الشنفرى أصدقني ممن أنا قال أنت من الأواس بن الحجر فقال أما إني لن أدعكم حتى أقتل منكم مائة بما استعبدتموني ثم انه قام بقتلهم حتى قتل تسعة وتسعون رجلاً وقال الشنفرى للجارية السلامية :

ألا ليت شعري والتلهف ضله ... بما ضربت كف الفتاة هجينها

و لو علمت قعسوس أنساب والدي ... و والدها ظلت تقاصر دونها

أنا ابن خيار الحجر بيتا ومنصبا و أمي ابنة الأحرار لو تعرفينها

قال ثم لزم الشنفرى دار ابن فهم فكان يغير على الازد على رجليه فيمن معه من فهم وكان يغير عليهم وحده أكثر من ذلك وقال الشنفرى لبني سلامان :

و إني لأهوى ان ألف عجاجتي على ذى كساء من سلامان أو برد

و امشي ابغّي بالفضاء سراتهم و اسلك خلا بين ارفاغ والسرد

فكان يقتل بني سلامان بن مفرج حتى قعد له رهط من الغامديين من بني الرمداء فأعجزهم فاشلوا عليه كلبا لهم يقال له حبيش ولم يصنعوا شيئا ومر وهو هارب بقرية يقال لها دحيس برجلين من بني سلامان بن مفرج فارداهما ثم خشي الطلب فقال :

قتيلا فجار أنتما ان قتلتما بجوف دحيس أو تبالة تسمعا

يريد يا هذان اسمعا وقال فيما كان يطالب به بني سلامان :

فالا تزرني حتفتي أو تلاقني أمشٍ بدهر أو عذاف فنورا

امشّي بإطراف الحماط وتارة تنفض رجلي بسبطا فعصنصرا

و ابغي بني صعب بن مر بلادهم و سوف ألاقيهم ان الله يسرا

و يوما بذات الرأس أو بطن منجل هنالك تلقى القاصي المتغورا[1]

قال ثم قعد له بعد ذلك أسيد بن جابر السلاماني وخازم الفهمي بالناصف من ابيده ومع أسيد أخيه فمر عليهم الشنفرى فأبصر السواد بالليل فرماه وكان لا يرى سواداً إلا رماه كائنا ما كان فشك ذراع ابن

---

(١) الأغاني لأبي فرج الاصبهاني م / ٢١ / ص / ٨٧ و ما بعدها.

أخي أسيد إلي عضده فلم يتكلم فقال الشنفرى إن كنت شيئاً فقد أصبتك وإن لم تكن شيئاً فقد أمنتك وكان خازم باطحا بالطريق. أي منبطحا يرصده فنادى أسيد يا خازم أصلت يعني اسلل سيفك فقال الشنفرى لكل ما تضرب فاصلت الشنفرى فقطع إصبعين من أصابع خازم الخنصر والتي تليها وضبطه خازم حتى لحقه أسيد فضبطاه وهما تحته وأخذ أسيد برجل ابن أخيه فقال أسيد رجل من هذه فقال الشنفرى رجلي فقال ابن أخي أسيد بل هي رجلي يا عم فاسروا الشنفرى وأدوه إلى أهلهم وقالوا له أنشدنا فقال إنما النشيد علي المسمره فذهب مثلاً ثم ضربوا يده فتبعصرت أي اضطربت فقال الشنفرى :

لا تبعــدي إمــا ذهبــت شــامه فـــرب واد نَفَّـــرت حمامـــه

و رب قـــرن فَـــصلَّت عظامـــه

ثم قال له السلامي أأطرفك ثم رماه في عينه فقال الشنفرى كأن كنا نفعل أي كذلك كنا نفعل.......... الخ[1].

و قد أورد الاصبهاني قصة قتله ووفائه بنذره عندما توعَّد السلامي بأن يقتل منهم مائه. كما أورد قصيدة له طويلة. يمكن للقارئ الاطلاع عليها وإنما أتيت بالذي فيه ملاحظة سوف اوردها إن شاء الله. هنا نجد أن صاحب الأغاني ذكر لقبه (الشنفرى) وعد ذلك كما يبدو اسما له كما لم يذكر شيئاً عن مجتمعه وبيئته كما فعل غيره. وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال هل الشنفرى اسم أم لقب ؟ للإجابة على هذا السؤال دعونا نطلع على

---

(١) كتاب الأغاني لأبي فرج الاصبهاني م / ٢١ / ص / ٨٧ و ما بعدها و قد ذكر في الحاشية عن كلمة (كأن) و في بعض الروايات (كاك) و هي لغة.

ما قاله أهل قريته سلامان ففي مقال نشر عبر صفحات جريدة المدينة المنورة الغراء في زاوية أحوال الناس تحت عنوان - جولة في قرية -.

سلامان قرية التاريخ تشكو الظمأ

كتب الاستاذ/ محمد آل ناجم المحرر في مكتب جريدة المدينة في الباحة ما نصه:

(سلامان قرية من قرى قبيلة دوس بمحافظة المندق وهي التي يقول أهلها أن الشاعر الصعلوك الشنفرى يرقد بين ثراها وقد ذكر التاريخ تلك القرية كما ذكر غيرها مثل شعب الفرس وغميصاء وحظوه وكلها قرى وأودية تحيط بسلامان فكل جزء من أرض سلامان وما يحيط بها يشير إلى أنها عاشت فترة تاريخية ثرية ضاربة في القدم. فعلى الرغم من صغر تلك القرية وقلة سكانها فهناك الكثير من المقابر والجبانات التي توحي بأن أمماً كثيرة تعاقبت عليها. عاشت في تلك المنطقة المرتفعة بل أن حجم القبور هناك واتجاهاتها عكس القبلة يؤكد أن هذه القرية قد عاشت في زمن الجاهلية وكان يسكنها الناس فهناك قبور يزيد طولها على أربعة أمتار وعرضها متر ونصف ويحمل القبر أكثر من شاهد مما يدل على أنها تضم أكثر من جثمان ورفات كما تدل الروايات المتواترة والأحاديث المتوارثة على ان ثابت بن أوس الازدى الملقب بالشنفرى مدفون بتلك المقبرة وفي أحد القبور القديمة التي تتجه إلى الشرق وليس إلى القبلة)[1].

إلى ان قال والحديث له : (ربما يؤكد تلك الروايات ما ذكره الشنفرى

(١) راجع ملحق الصور شكل رقم (١٧).

ذاته في إحدى قصائده المعروفة بلامية العرب التي ذكر في احد أبياتها قرية الغميصاء المجاورة لسلامان يقول :

و أصبح عني بالغميصاء جالس فريقان مسئول وآخر يساءل

و في نفس المقالة تحت عنوان - قيمة تاريخية - يقول أما حسن عبد الله سرور فقد شرح لنا الكثير من أسرار القرية القديمة والوقوف على المقابر المحيطة بها خصوصاً ما يعتقد انه قبر الشنفرى أشار إلى احد القبور قائلاً هذا ما توارثناه فالشنفرى في هذا القبر القديم وأوضح ان بعض تلك القبور القديمة يوجد بداخلها ستة أشخاص نعرف ذلك من خلال عدد الرؤوس والشواهد الموجودة على القبر وهناك قبور لأشخاص ماتوا قتلا وهي مميزة عن بقية القبور)[1].

من هذا الاستعراض لحالة هذه القرية التاريخية وما يتوارثه أبناءها فانه يمكن القول بكل تأكيد أنه رغم سيادة الجهل والظلام على الجزيرة العربية ومنها بيئة الشنفرى فان الناس لم ينسوا تاريخهم فالتاريخ كما يقول الشيخ / حمد الجاسر رحمه الله لا يقبل المحاباة. كما نؤكد هنا ان الرواية التي أوردها الدكتور / اميل بديع يعقوب في ديوانه الذي اشرت اليه سابقا حيث قال من ضمن الأسماء التي أوردها ان اسمه ثابت بن أوس هي الأقرب إلى الصحة)[2].

و استناداً إلى هذه الرواية فإنني أستطيع أن أقول أن الشنفرى هو لقبه وليس إسمه.

---

(١) جريدة المدينه الاثنين / ١٩ / ربيع الآخر / ١٤٢٥ هـ.

(٢) ديوان الشنفرى للدكتور / اميل بديع يعقوب صفحة (٩).

مكان مولده وبيئته التي عاش فيها

كما اختلف الباحثون والعلماء في اسمه اختلفوا أيضا في مكان مولده ونسبه ولم يختلفوا في بيئته التي عاش فيها. فقال بعضهم أنه نشأ في قومه الأزد ثم أغضبوه فهجرهم. وقال آخرون ان بني سلامان أسروه صغيراً فنشأ فيهم يطلب النجاة حتى هرب منهم ثم انتقم منهم. وقالت فئة ثالثة أنه ولد في بني سلامان بزهران فنشأ بينهم وهو لا يعلم أنه من غيرهم حتى قال يوما لابنة مولاه اغسلي رأسي يا أخيه فغاضها ان يدعوها بأخته فلطمته فسأل عن ذلك فأخبره أبوها بالحقيقة فأضمر الشر لبني سلامان وحلف ليقتلن منهم مائة وقيل أنه هوى إليها ليقبلها فغاضها ذلك فلطمته. أما الرواية الرابعة فتقول انه زهراني الأصل والولادة والمنشأ ولي على هذه المقولات ملاحظات.

<u>الملاحظة الأولى:</u> قول الباحثين انه نشأ في قومه الازد ثم أغاضوه فهجرهم. وهذا قول عام لم يحدد البلد الذي ولد فيه وشب وترعرع فالازد قبيلة عظيمة منتشرون على قمم جبال السروات ومنهم بالطبع قبائل غامد وزهران وبني شهر.

<u>الملاحظة الثانية:</u> قولهم ان بني سلامان أسروه فنشأ بينهم يطلب النجاة. وهو قول مستبعد فإذا صحت الروايات التي تقول أنه ولد في ديار الحجر في بني شهر فكيف يأسره بنو سلامان في دوس ببلاد زهران وهو صغير والأسر كما نعلم لا يتم الا نتيجة الحرب وديار بني شهر وزهران تفصل بينهما قبائل عدة ولم يذكر التاريخ انه حدث بينهم حرب لأن الحرب بين

القبائل في السابق لا تتم الا نتيجة لاختلافهم على حدود الديار والأملاك وبني شهر كما لاحظنا أثناء اختلاطنا بهم في العصر الحاضر اقرب إلى زهران في الطبائع والعادات من غيرهم من القبائل الأخرى الا إذا أخذنا في الاعتبار ان حاجز بن عوف الزهراني الفاتك المجرم الذي ركز غاراته على خثعم آسره في إحدى حروبه وهو صغير لا يعرف من أمره شيئا ثم نقله إلى عصابته ولا يستبعد ان يكون وجهه إلى قبيلته زهران للانتقام منهم بحكم انه أسرع عدوا منه وأصلب منه عزيمة وربما اكبر سناً.

الملاحظة الثالثة : قول بعضهم انه ولد في سلامان بدوس بزهران وشب فيها وترعرع وهو لا يعلم انه من غيرهم فلما ضربته الفتاة وعلم الحقيقة انطلق في حربه ضدهم للانتقام لنفسه.

و الذي أرجحه من هذه الأقوال هو القول الرابع الذي يقول انه زهراني الأصل والمنشأ والولادة خاصة إذا ما علمنا ان هناك مدينة في القطاع التهامي من زهران تسمى الحجرة تتبع محافظة قلوة تقابل قرية بني سلامان في السراة. والطريق إليها من عقبة ذي منعا التي سلكها الطفيل بن عمرو الدوسي وأبو هريرة رضي الله عنهما أثناء سفرهما إلى الأراضي المقدسة مع بداية الدعوة الإسلامية.

ان بني يوس إخوة لدوس وقد يكون اختلط الأمر على المؤرخين والباحثين من قبل خاصة ان الأستاذ/ صالح الفيصلي من منطقة عسير أكد في رسالة له ان منطقة عسير فيها حظوه وانه يوجد قبيلة تسمى يوس وأخرى بني سلامان[١]. و لا شك ان وجود الحجرة في زهران وبني يوس

(١) راجع ملحق الصور شكل (١٥).

أحد فروع زهران الرئيسية ووجود الحجر والاواس في بني شهر زاد الأمر غموضاً.

و الذي اعتقده عملاً بالرأي الثالث ان أمه وأباه قدما من الحجرة في تهامة زهران وهما عبدين مملوكين فولدته في سلامان في السراة ثم بيع لوحده إلى السلامي خاصة وان تجارة الرقيق كانت رائجة في هذه المنطقة من فجر التاريخ حالهم في ذلك حال العرب جميعا حتى جاء جلالة المغفور له بإذن الله الملك فيصل رحمه الله فألغى الرق في المملكة العربية السعودية فأصبح الناس أسودهم وأبيضهم أحراراً يقفون على قدم المساواة في الحقوق والواجبات.

تقول أحدى الروايات القديمة المتداولة في المنطقة ان تجارة الرقيق كانت سائدة حيث يقوم تجار الرقيق بشراء العبيد صغاراً أو كباراً ثم يبيعون الصغار حينا ويحتفظون بآبائهم وأحياناً يبيعون الآباء ويحتفظون بالصغار. ومن يخاف الله يبيع الآباء والأمهات والأبناء معاً حتى يبقى شملهم مجتمعا ويشترط عند البيع الاحتفاظ بهم جميعاً أو بيعهم جميعاً. حدث ذات مرة ان امرأة سوداء كانت مملوكة ولديها ولدان أحداهما يدعى غيلان والآخر يدعى قديدي وقد اشترى احدهم الأم وابنها غيلان وترك قديدي في ديرتهما الأولى وعندما خرجت ذات ليلة رأت البرق يلمع في ديارهم البعيدة التي تركوا فيها قديدي فهزها الشوق وعاطفة الأمومة إلى ابنها فجعلت تحدث ابنها غيلان وتربته وتبكي وانشأت تقول :

ســرى الــبرق يــا غيــلان في ديــرة أهلنــا

ســرى الــبرق في ديــرة قديــدي يلــوح

أمانــة مــعك يــا بــرق بلــغ ســلامنا

علــى ربعــنا لــو تغــتدي وتــروح

و قــل للــذي فــرَّق مــن الظلــم شملنـا

يجازيــه ربــي بالجــروح جــروح

كان مالكها يستمع لمناجاتها ابنها وكان رجلاً صالحاً يخاف الله ويدرك أبعاد مثل هذه الجريمة عند الله ثم أفئدة المظلومين وممن يكره ظلم الإنسان للإنسان فاستدعاها ولم يعلم أن لها ولد آخر فقال لها من قديدي هذا ؟ قالت ابني الثاني فاعتقهما لوجه الله وألحقهما بابنها بعد ان زودها وابنها غيلان بالزاد وما يثبت عتقها فأصبحت وولدها غيلان أحراراً لوجه الله تعالى.

و تقول رواية أخرى : ان الناس في الجزيرة العربية جميعها ومنها السروات كانوا يعانون من الفقر والجوع الشديدين وأن بعضهم كان يتألم لصراخ ابنه من الجوع وهو لا يستطيع أن يقدم له شيئا حتى الأمهات جفت أثداؤهن من اللبن فلم يكن في صدورهن ما يسد رمقه ويطفئ حرارة جوعه إلا حرارة الحب والحنان. وقد تراودهم أنفسهم بالتخلص منهم بتركهم في العراء لعلمهم أن الله خلقهم وتكفل برزقهم. وذات مرة حدث أن زوج وزوجته اتجها للحج ومعهما طفل رضيع وبلغ بهما الجوع مبلغه وأزعجهم الطفل ببكائه وتفطرت قلوبهم عليه فأرادا أن يتخلصا منه فتركاه في غار وردما سدة الغار بحجارة كبيرة حتى لا تدخل السباع وتأكله ظنا منهما أنه سيموت جوعاً وذهبا إلى الحج وعندما عادا من نفس الطريق تحركت عاطفة الأمومة في قلب أم الطفل فطلبت من

زوجها أن يعرجا على الغار الذي وضعا الطفل فيه لتقلى عليه نظرة وداع وهي عائدة إلى بلدها. وكانت المفاجأة مدهشة عندما شاهدا غزالة تخرج من الغار وتبعها ولدهما يمشي سليما معافى وقد توحش فهرب منهما وعاد إلى الغار لكنه كان يظهر بين حين وآخر فيلاعبهما ويبتسم لهما ، فترصدا له وأمسكا به ، كان لا يتكلم وعندما تفقداه وجدا إبهامه الأيمن أطول من بقية أصابع يده. فقد هيأ له الله تلك الغزالة ترضعه فإذا غابت عنه مص إصبعه. أخذوه معهم وهو يود ان يفارقهم. هذه قصة ليست من نسج الخيال يتداولها الناس هنا ويحكيها الأباء للأبناء للعبرة والعظة بان الله خلق كل شيء ويرزق من يشاء بغير حساب.

وهذه الرواية الأخيرة تستمد قوتها من الآية الكريمة. قال جل من قائل :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة الإسراء الآية (٣١)].

إذا فإن قتل الأولاد خشية الفقر أو بيعهم أو تركهم كما في القصة التي أوردتها كان سلوكاً متبعا قديماً، ولا يزال فقد قرأنا في الصحف كثيراً من هذه الحوادث. وقد نهانا الله جل شانه في الآية الكريمة عن ذلك لأنه الخالق المتكفل وما أرسل تلك الغزالة إلى ذلك الصبي الا دليلاً لا يقبل الشك على قدرته جل شانه ورحمته التي وسعت كل شيء.

والذي أراه ان ثابت بن أوس (الشنفرى) قد تعرض إلى موقف مشابه للموقف الأول وهو البيع خاصة ان الروايات عنه تدل على أن أمه سوداء وقد اكتسب هذه الصفة منها. ولا يعرف أباه ان كان حراً قد وقع على أمه كما وقع والد عنترة على أمه أم أنه أسود مثلها وهذا أمر لم

تتطرق له الروايات مما زاد قصة نسبه غموضاً. وقد أشار صاحب الأغاني في شرحه عن أخبار الشنفرى ونسبه بقوله :

فذهب مغاضبا حتى أتى الذي اشتراه من فهم..... الخ[(١)]. أما عدم معرفته أمه وأباه فإنني أعزو ذلك إلى واحد من أمرين :

أولهما : إنهما كانا حرين من ذوي البشرة السمراء الغامقة وكان الزمن جوع وفاقة شديدة وعندما مرا بقرية سلامان وهما في طريقهما للأراضي المقدسة باعا الطفل إلى السلامي وغادرا دون ان يفصحا باسميهما وتكتما على ذلك حتى لا يلحق بهما العار.

الأمر الثاني : إن ثابت بن أوس (الشنفرى) كان طفلا رضيعا لا يعرف أمه وأباه ولدته أمه في سلامان وتعرض أبويه إلى أمر من الأمور التي جعلتهما يغيبان عنه مدى الحياة فقد يكون تعرض والده للموت في الحروب التي دارت في هذه المنطقة ولحقت به أمه أو سافرا للحج ولم يعودا ونحو ذلك من حوادث الزمن فآل مصيره وتفتحت عيناه على السلامي وزوجته فضمه إليه وتبناه وكان التبني في الجاهلية جائزاً حيث يعتبر كابنه الحقيقي يرثان بعضهما على أمل أن يخدمه إذا كبر. وكان ثابت بن أوس يعتبر نفسه ابناً للسلامي حتى تصرفت ابنته مع ثابت بما لا يليق فحدث ما حدث. و الله اعلم،،،،،

كما أسهب الأستاذ/ مصطفى عيد الصياصنه في مدح وتزكية ثابت بن أوس (الشنفرى) والثناء عليه وإلقاء ألقاب العفة والذكاء والصلاح والخير دون بخل كما تطرق في بحثه لصاحبه ورفيق دربه وابن عمه في

(١) انظر كتاب الأغاني لأبي فرج الاصبهاني (ص / م / ٢١ / ص / ٨٧) و ما بعدها.

النسب والصعلكة حاجز الازدى. حيث يقول (و هذا حاجز الازدى يعلن صراحة أنه وإن يكن ازدياً من سلامان لم يعد منهم بل صار منتسباً إلى بني مخزوم القرشيين فهؤلاء لا يخذلونه ان انتصر بهم وإنما يسرعون شجعاناً لنجدته :

قومي سلامان إذا ما كنت سائلة — و في قريش كريم الحلف والنسب

إني متى أدعو مخزوما ترى عنقا — لا يرعشون لضرب القوم من كثب

فلو انه كان يجد في قومه سلامان العون والنجدة فيسارعون إلى إغاثته وقت محنته لما احتاج إلى الالتجاء إلى بني مخزوم ويتخذ منهم حليفاً له ينجلونه في عسرته بل ويعلن انتسابه إليهم بعد براءته من قومه السابقين[1].

و قبل ان أعلق على هذه النقطة أود أن أعرف ويعرف القارئ الكريم من هو حاجز الأزدى ؟ وإلى من ينتسب ؟ وما هو الضيم الذي لحق به من قومه حتى ينتسب إلى بني مخزوم ويتحالف مع الشنفرى ؟ ذلك الفاتك الظالم. يقول صاحب الأغاني[2] : هو حاجز بن عوف بن الحرث بن الأخثم بن عبد الله بن ذهل بن مالك بن سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران بن عوف بن مذعان بن مالك بن نصر بن الأزد وهو حليف لبني مخزوم بن يقضه بن مرة بن كعب بن لؤى وفي ذلك يقول :

قومي سلامان إذا ما كنت سائله — و في قريش كريم الحلف والنسب

أني متى أدعو مخزوما ترى عنقا — لا يرعشون لضرب القوم من كثب

---

(١) الشنفرى الازدى لمصطفى عيد الصياصنه (ص / ١٩).

(٢) الأغاني لأبي فرج الاصبهاني (م / ١٢ / صفحة / ٤٧ و ما بعدها).

يـدعـي الـمغيرة في أولى عــديهم أولاد مـراسة ليسـوا من الذنــب

و هو شاعر جاهلي مقل ليس من مشهوري الشعراء وهو أحد الصعاليك المغيرين على قبائل العرب وممن كان يعدو على رجليه عدواً يسبق الخيل. اخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال العباس بن هشام عن أبيه عن عوف بن الحرث الازدى انه قال لابنه حاجز بن عوف. اخبرني يا بني بأشد عدوك قال نعم. أفزعتني خثعم فنزوت نزوات استفزتني الخيل واصطف لي ضبيان فجعلت انهنهما بيدي عن الطريق لضيقه ومنعاني ان أتجاوزهما في العد ولضيق الطريق حتى اتسع واتسعت بنا فسبقتهما. فقال له فهل جاراك احد في العدو فقال ما رأيت أحدا جاراني الا اطليس اغيبر من البقوم فانا عدونا معا فلم اقدر على سبقه قال والبقوم بطن من الازد (نسخت أخبار حاجز من رواية أبي عمرو) الشيباني من كتاب بخط المرهبي الكوكبي. قال أغار عوف بن الحرث بن الاخثم على بني هلال بن عامر بن صعصعه في يوم داج مظلم فقال لأصحابه انزلوا حتى اعتبر لكم فانطلق حتى أتى صرما من بني هلال وقد عصب على يد فرسه عصابا ليظلع فيطمعوا فيه فلما اشرف عليهم استرابوا به فركبوا في طلبه وانهزم من بين أيديهم وطمعوا فيه فهجم بهم على أصحابه بني سلامان فأصيب يومئذ بنو هلال وملأ القوم أيديهم من الغنائم ففي ذلك يقول حاجز بن عوف :

صـبـاحك واسـلمي عـــنا إمامـا تحيــة وامــق وعمـــــي ظلامــا

برهرهـــة يحــار الطـــرف فيهـــا كحقــة تــاجر شـــدت ختامــا

فــان تمــس ابنــة الـسهمي منــا بعيــــداً لا تكلـــمنا كــــلاما

فانـــك لا محـــالة ان تـــريني و لـو أمـسـت حبـالكم رمامـا
بناحيـــة القـــوائم عيـــسجور تـــداركتها (...) عامـــا فعامـــا
سـلي عــني إذا اغـبرت جمـادى وكـان طعـام ضيفهـم الثمامـا
الـسنا عـصمة الاضـياف حتـى يفحـى مالهـم نفــلا توامـا
أبـي عـبر الفـوارس يـوم داج و عمـي مالـك وضـع الـسهاما
فلـــو صـاحبتنا لرضـيت منـا إذا لم تغـبق المـائة الغـلاما

يعني بقوله وضع السهام ان الحرث بن عبد الله بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صقعب بن دهمان بن نصر بن زهران كان يأخذ من جميع الازد إذا غنموا الربع لأن الرئاسة في الازد كانت لقومه وكان يقال لهم الغطاريف وهم اسكنوا الاسد بلد السراة وكانوا يأخذون للمقتول منهم ديتين ويعطون غيرهم دية واحدة إذا وجبت عليهم فغزتهم بنو فقيم بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناه بن كنانه فظفرت بهم فاستغاثوا ببني سلامان فأغاثوهم حتى هزموا بني فقيم واخذوا منهم الغنائم وسلبوهم فأراد الحرث ان يأخذ الربع كما كان يفعل فمنعه مالك بن ذهل بن مالك بن سلامان وهو عم أبي حاجز قال هيهات ترك الربع غدوه فأرسلها مثلا فقال له الحرث اترك يا مالك تقدر ان تسود فقال هيهات الازد امنع من ذاك فقال أعطني ولو جعبا والجعب البعر في لغتهم لئلا تسمع العرب انك منعتني فقال مالك فمن سماعها فرومنعه الربيع فقال حاجز في ذلك:

الا زعمــت أبنـاء يـشكر اننـا بربعهــم بـاؤا هـــنا لـك ناضــل
ستمنعنا منكم ومن سؤ صنعكم صفائح بيض أخلصتها الصياقل

و اسمر خطـي إذا هـز عاسـل بأيدي كمـاة جربتهـا القـبائل

و قال أبو عمرو جمع حاجز ناسا من فهم وعدوان فدلهم على خثعم فأصابوا منهم غرة وغنموا ما شاءوا فبلغ حاجز أنهم يتوعدونه ويرصدونه فقال[١]:

إني من إرعادكـم و بـروقكم و أيعاد كم بالقتل صم مسامعي

و إني دلـيل غـير مخف دلالـتي على ألف بيت جدهم غير خاشع

ترى البيض يركضن المجاسد بالضحى كذا كل مشبوح الذراعـين نـازع

علـى أي شـيء لا أبـا لا بـيكم تشيرون نحوى نحوكم بالأصابع

و قال أبو عمرو أغارت خثعم على بني سلامان وفيهم عمرو بن معد يكرب وقد استنجدت به خثعم على بني سلامان فالتقوا واقتتلوا فطعن عمرو بن معد يكرب حاجزاً فأنفذ فخذه فصاح حاجزاً يا آل الازد فندم عمرو وقال خرجت غازياً وفجعت أهلي وانصرف فقال عزيل الخثعمي يذكر طعنة عمرو حاجز افقال :

اعجــز حاجــز أمنــا وفيــه مشلــشلـة كحاشيــة الإزار

فعـز علـي مـا أعجـزت دمـني و قد أقسمت لا يـضربك ضـار

فأجابه حاجز فقال :

إن تـذكروا يـوم القـرى فانـه بـواء بأيـام كثـير عـديدها

فنحن أبحنا بالشخيـصة وأهنـا جهاراً فجيئنـا بالنساء نقـودها

---

(١) قوله (جمع حاجز ناس من فهم و عدوان) يعني بني عدوان و هي فخذ من بني عمر من زهران تتبع محافظة القرى و لازالت تحتفظ باسمها حتى هذا اليوم.

و يوم كراء قد تدارك ركضنا بني مالك والخيل صعر خدودها
و يوم الاراكات اللواتي تأخرت سراة بني لهبان يدعوشريدها
و نحن صبحنا الحي يوم تنومه بملمومة يهوى الشجاع و بيدها
و يوم شروم قد تركنا عصابة لدى جانب الطرفاء حمراً جلودها
فما زعمت حلف لأمر يصيبها من الذل الا نحن رغما نزيدها

وقال أبو عمرو بينما حاجز في بعض غزواته إذ أحاطت به خثعم وكان معه بشيراً ابن أخيه فقال له يا بشير ما تشير قال دعهم حتى يشربوا ويقفلوا ويمضوا ونمضي معهم فيظنونا بعضهم ففعلا وكانت في ساق حاجز شامة فنظرت إليها امرأة من خثعم فصاحت يا آل خثعم هذا حاجز فطاروا يتبعونه فقالت لهم عجوز منهم كانت ساحرة أكفيكم سلاحه أو عدوه فقالوا لا نريد ان تكفينا عدوه فان معنا عوفا وهو يعدوا مثله. لكن اكفينا سلاحه فسحرت لهم سلاحه وتبعه عوف ابن الأغر بن همام بن الأسر ابن عبد الحرث واهب بن مالك بن صعب بن غنم بن الفزع الخثعمي حتى قاربه فصاحت به خثعم يا عوف ارم حازم فلم يقدم عليه وجبن فغضبوا وصاحوا يا حاجز لك الذمام فاقتل عوفاً فانه قد فضحنا فنزع في قوسه ليرميه فانقطع وتره لان المرأة الخثعمية كانت قد سحرت سلاحه فاخذ قوس بشير ابن أخيه فنزع فيها فانكسرت وهربا من القوم ففاتاهم ووجد حاجز بعيرا في طريقه فركبه فلم يسر في الطريق الذي يريده ونحا به نحو خثعم فنزل حاجز عنه فمر فنجا وقال في ذلك :

فدى لكما رحلى أمي و خالتي بسعيكما بين الصفا و الاناثب

أو ان سمعت القوم خلفي كأنهم   حريق أباشت في الرياح الثواقب
سيوفهم تغشى الجبان ونبلهم   يضيء لدى الأقوام نار الحباحب
فغير قتالي في المضيق أغاثني   و لكن صريح العدو غير الاكاذب
نجوت نجاء لا أبيك تبثه   و ينجو بشير نحو أزعر خاضب
وجدت بعيرا هاملاً فركبته   فكادت تكون شر ركبة راكب

و قال أبو عمرو اجتاز قوم حجاج من الازد بني هلال بن عامر بن صعصعه فعرفهم ضمرة بن ماعز سيد بني هلال فقتلهم هو وقومه وبلغ ذلك حاجزا فجمع من قومه وأغار على بني هلال فقتل فيهم وسبى منهم وقال في ذلك يخاطب ضمرة بن ماعز :

يا ضمر هل نلناكم بدمائنا   أم هل حذونا نفلكم بمثال
تبكي لقتلي من فقيم قتلوا   فاليوم تبكي صادقا لهلال
و لقد شفاني ان رأيت نساءكم   تبكين مردفة على الا كفال[1]
يا ضمر ان الحرب أضحت بيننا   لقحت علي الدكاء بعد حيال

قال أبو عمر : خرج حاجز في بعض أسفاره فلم يعد ولا عرف له خبر فكانوا يرون انه مات عطشاً أو ضل فقالت أخته ترثيه :

أحي حاجز أم ليس حيا   فيسلك بين خندف والبهيم
و يشرب شربة من ماء ترج   فيصدر مشية السبع الكليم

اخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أبي عبيده قال كان حاجز الازدى مع غاراته كثير الفرار لقي عامراً فهرب منهم فقال :

---

(١) يقصد يبكين.

الا هل آتي ذات القلائد فـرتي ... عشية بين الجرف و البحر من بعـر

عشـية كـادت عـامراً يقتلـوني ... لدى طرف السلماء راغية البكر

فما الظبي أخطت خلفه الصقر رجله ... و قد كاد يلقى الموت في حلقة الصقر

بمثلي غزاة القـوم بين مـــقنع ... و آخر كالسكران مـرتكز يفرى

و فر من خثعم وتبعه المرقع الخثعمي الاكلبي ففاته حاجز وقال في ذلك :

و كأنمـا تبـع الفـوارس أرنبـا ... أو ظـبي رابيـة خفافـا أشـعبا

و كأنمـا طـردوا بـذى نمراتـه ... صدغا مـن الاروى احـن مكلبـا

أعجـزت مـنهم والأكـف تنـالني ... و مـضت حياضـهم وآبـو اخيَّبـا

أدعـو شـنوءة غثهـا و سمينهـا ... و دعـا مرقـع يـوم ذاك أكلبـا

انتهى...

من سيرة هذا الفاتك الآثم ومقارنتها بابن عمه ثابت بن أوس (الشنفرى) الصعلوك الظالم يتضح لنا عدة أمور :

<u>الأمر الأول</u> : وضوح اسم حاجز فهو حاجز بن عوف بن الحرث بن الاخثم بن عبد الله ين ذهل بن مالك بن سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران. ولم يختلف الرواة في ذلك. كما لم يختلفوا في نسبه إلى قبيلة زهران. بينما اختلف الرواة ولا يزالون حول اسم ثابت بن أوس (الشنفرى) ومكان مولده واتفقوا في مكان استقراره وما حدث له من ابنة السلامي الدوسية.

<u>الأمر الثاني</u> : امتهنا الصعلكة والإغارة على الآمنين والفتك وقض مضاجعهم دون وجه حق فالحقا العار بقبيلتهم الأصلية الازد ثم قبيلتهما

الفرعية.

<u>الأمر الثالث:</u> تقاسما الديار في غزوهما فاقتصر ثابت بن أوس (الشنفرى) في غزواته وحربه ضد خصومه قبيلة بني يوس وهم الغطاريف وبعض ديار قبيلة بني عمر وهم بطن من زهران كما سبق أن أشرت إليه في فروع قبيلة زهران وقد ذكر بعض القرى في بني يوس وبني عمر في شعره والتي لازالت تحتفظ بأسمائها ومواقعها حتى اليوم ولم يكن بينها قرية واحدة من قرى دوس. أما حاجز بن عوف فقد كانت غاراته خارج مسقط رأسه سلامان بدوس حيث يتضح من خلال سيرته السابقة انه ركز حروبه وغاراته على خثعم وكأني بهما قد عقدا اتفاقاً على الغزو والهجوم ومن ثم اقتسام الغنائم فقد تكون قبيلة أغنى من أخرى.

و قد حاولت اختصار الاقتباس من كتاب الأغاني الا ان الاختصار سوف يكون مخلاً ولا يعطي القارئ الكريم صورة واضحة وحقيقية.

<u>الأمر الرابع :</u> ذكر كل منهما القرى التي قاومته في الناحية التي اختارها فقد ذكر ثابت بن أوس (الشنفرى) بعض القرى في شعره من بني يوس وبني عمر وسيأتي ذكرها في حينه أما حاجز بن عوف فقد ذكر هو الآخر قرى وميادين معاركه في خثعم إضافة إلى بعض الكلمات التي لا يزال الناس يتخاطبون بها وهي على النحو الآتي :

١- قال وهو يعرف نفسه :

قومي سلامان إذا ما كنت سائلة و في قريش كريم الحلف والنسب

هذا البيت يؤكد ان سلامان في ديار دوس هي المقصودة والتي تربى فيها

ثابت بن أوس (الشنفرى) لاسلامان التي قال عنها بعض الرواة أنها في بني شهر خاصة وان حاجز لم يختلف في اسمه.

٢- قال في البيت الذي يليه :

و إني متى أدعو مخزوما ترى عنقا لا يرعشون لضرب القوم من كثب

فكلمة لا يرعشون هي مدح لهم. أي لا يستعجلون. وأهل السراة هنا لا يزالون يتخاطبون بهذه الكلمة حتى اليوم حيث يقولون عن المستعجل في أمره النزق في تصرفاته - فلان مرعوش -.

٣- وقال في البيت الثالث من قصيدته التي مطلعها صباحك واسلمي عنا أماما :

فـان تمـسي ابنـة الـسهمي منـا بعيـــدا لا تكلمنـــا كلامـــا

هنا اعتقد انه يقصد بكلمة السهمي قبيلة بني سهيم وهي قبيلة معروفة والمنتسب إليها سهيمي.و هو هنا يمتدحها فقد عرفت انه ومن معه غرباء وتوجست منهم خيفة فلم تكلمهم فضلا عن تقديم الطعام لهم كما تفعل بنات العرب ذلك الحين ولازلن.

٤- وفي البيت الذي يليه أورد كلمة رماما بكسر الراء وهو جمع ومفرده رُمَّه بضم الراء وتشديد الميم مع فتحها. وهو الحبل القصير إذا بلي وتقطع. وهي كلمة لا زالت مستخدمة في تخاطب أهل السراة من بلاد غامد وزهران. ومن أمثلتهم في ذلك قولهم (من لقصه الحنش راعته الرمه) أي ان الذي لدغه الثعبان خاف من وصلة الحبل الصغيرة التي يراها في طريقة ظناً منه أنها ثعبانا حيث قال :

فانـــك لا محالـــة ان ترِينـــي ولـو أمـست حبالكـم رمـامـا

٥- ويقول في البيت الثالث من قصيدته التي تبدأ بقوله (إني من إرعادكم وبروقكم) :

ترى البيض يركضن المجاسد بالضحى كذا كل مـشبوح الـذراعين نـازع

هنا نجده أتى بجملة (مشبوح الذراعين) وهي كناية عن القوة وأهل السراة في غامد وزهران لا زالوا يتخاطبون بهذه الجملة حيث يصفون المرأة القوية الحرة بقولهم - فلانة طويلة كان ذراعها الشبحه[1]- والطول في الأنثى يعتبر صفة من صفات الجمال عند العرب ولهذا كثيراً ما نسمع الناس يقولون الطول عز. هكذا. ودليل صحة ما ذهبت إليه ذكره البيض وهن النساء اللواتي وصفهن بأنهن يركضن المجاسد في الضحى.

و في قصيدته التي يرد فيها على عزيل الخثعمي عندما عير حاجز على أثر طعنه من عمرو بن معد يكرب. التي يقول في مطلعها :

ان تـذكروا يـوم القـرى فانـه بـواء بايـام كثـير عديدهـا

أورد عدة مواقع خاض فيها غزواته وهي :

١- كرا : هجرة كبيرة امتد إليها العمران في الوقت الحاضر وتقع في محافظة العقيق التابع لمنطقة الباحة حيث يقول :

و يـوم كـراء قـد تـدارك ركـضنا بني مالك والخيل صعر خـدودها[2]

يقول الأستاذ/ علي بن صالح السلوك في معجم بلاد غامد وزهران :

---

(١) والشبحه : بفتح الباء والحاء : لوح الخشب المسطح.

(٢) بني مالك : يقصد مالك بن فهم الدوسي الزهراني.

كرا بفتح الكاف والراء المهملة بعدها ألف واد في عقيق غامد ينتهي بكرا الحشرج فتربة البقوم.... الخ[١] وقد ذكرها بدون همزة بينما وردت في الأغاني مهموزة.

٢- في البيت الذي يليه ذكر يوم الاراكات وسراة بني لهبان حيث قال :

و يوم الاراكات اللواتي تأخرت سراة بني لهبان يدعو شريدها

و هذان الموقعان لا نعرفهما وربما يعرفها أهل تلك الديار. ولم يذكرهما الأستاذ / علي السلوك مما يدل على أنهما تقعان خارج منطقة الباحة.

٣- في البيت الذي يليه ذكر تنومه حيث قال :

و نحن صبحنا الحي يوم تنومه بملومة يهوى الشجاع وبيدها

و تنومه مدينة معروفة من قديم الزمان تغنى فيها الشعراء الشعبيون كثيراً لجمالها وجمال أهلها وهي تقع في بني شهر تابعة لمنطقة عسير.

٤- في البيت الذي يليه ذكر يوم شروم حيث قال :

و يوم شروم قد تركنا عصابة لدى جانب الطرفاء حمراً جلودها

هنا نجد تصحيفا حدث في كلمة - شروم - والذي اعتقدة ان الكلمة الصحيحة هي شرى. لان شرى مدينة كبيرة تقع في الشمال عن تنومه بمسافة ليست بعيدة والأقرب إليها مدينة بالجرشي في غامد. كما ذكر كلمة الطرفاء في الشطر الثاني من هذا البيت والطرفاء في تخاطب أهل السراة في زهران وغامد هو قطيع الغنم. حيث يقولون فلان معه خمسين طرفاء. أي قطيع يتكون من خمسين راس من الغنم فما فوق ولا يقال عن

---

(١) المعجم الجغرافي لبلاد غامد و زهران للسلوك صفحة (٣٦٨).

الجمال أو البقر طرفاء. ودليلي على انه يقصد الغنم قوله حمر جلودها. الا إذا كان هناك ديار تسمى الطرفاء فأهل تلك الديار أدرى وأن كلمة حمر جلودها ما هي الا كناية عن تسربلهم بالدماء بعد المعركة.

٥- أما أخته وهي ترثيه فقد أوردت اسم وادي ترج والمعروف حاليا ويتبع بيشة في عسير يقع في جهة كرا التي أورت ذكرها سابقا وهو ليس بعيد عنها. حيث قالت :

و يـشرب شـربة مـن مـاء تـرج فيـصدر مـشية الـسبع الكلـيم

و قد أورد الشاعر الشعبي عبد الواحد بن سعود اليوسي الزهراني في قصيدة له وادي ترج حيث قال[١] :

كان ترج أحسن الوديان ليتك ترى وش عاد ترج

مـات وادي ثراد ومات وادي العقيق وترج مات

٦- قال عندما لقي عامر فهرب منهم في قصيدة له :

الا هـل أتـى ذات القلائـد فرتـي عشية بين الجرف والبحر من بعـر

هنا نجد انه أورد في الشطر الثاني ثلاثة مواقع :

الأول : الجرف : ويعتقد انه إصدار تهامة السحيقة جهة ديار دوس. حيث اغلب ديار دوس تطل على تهامة مثل ثروق وغيرها.

الثاني: البحر: وهو البحر الأحمر حيث أن الذي يطل من ديار دوس المحاذية للإصدار السحيقة يرى البحر الأحمر بالعين المجردة إذا كان الجو صافيا.

الموقع الثالث : هي قرية بَعَرَه : إحدى قرى دوس تقع بجوار مدينة المندق التي

---

(١) مسجلة على شريط كاسيت يتداولة الناس.

تطل على البحر الأحمر مباشرة وقد حذف الشاعر الهاء من أجل القافية. قال عنها الأستاذ/ علي بن صالح السلوك في المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران : وبعره : بفتح الباء والعين والراء المهملة. قرية من قرى بالطفيل بني منهب بسراة دوس تقع غربي المندق بمسافة كيلين تقريبا. وقد أشار إلى انه قد جرى تغيير اسمها إلى بَحره بفتح الباء وسكون الحاء[١] وهي تقع فعلاً على جرف يطل على الاصدار مباشرة[٢].

٧- قال عندما فر من خثعم أيضاً وتبعه المرقَّع الخثعمي ثم الاكلبي :

أدعو شنوءة غثها وسمينها و دعا المرقع يوم ذلك أكلبا

يقول انه عندما حدثت المطاردة استعان بقومه أزد شنوءة وهو اسم يطلق على فرع من قبيلة الأزد منهم غامد وزهران. والمرقَّع الخثعمي استعان بقومه أكلب. وكما هو معلوم إلى اليوم فان أكلب قبيلة معروفة والمنتسب إليها يقال له الأكلبي. من هذا الاستعراض لم نجد في شعره الا هذه القرية من زهران. كما لم نجد في شعر ثابت بن أوس (الشنفرى) اسم لأي قرية من قرى خثعم أو غيرها مما يؤكد ما قلته سابقا إنهما توزعا الديار.

أما قول الأستاذ/ مصطفى عيد الصياصنه وهذا حاجز الأزدى يعلن صراحة أنه إن يكن ازدياً من سلامان لم يعد منهم بل صار منتسبا إلي بني مخزوم القرشيين...... الخ[٣]. فانه قول لايعتدبه.

و قبل أن أتحدث عن الحلف والحلفاء أتساءل بماذا كان يطمع حاجز من

---

(١) المعجم الجغرافي لبلاد غامد و زهران للسلوك صفحة (١٤٨).

(٢) انظر الشكل رقم (٩).

(٣) الشنفرى الازدى لمصطفى عيد الصياصنه صفحة (١٩).

قومه حتى يبقى معهم ولا يرحل عنهم هل كان يريد أن يعينوه على ظلمه ويتحولوا جميعهم إلى صعاليك فاتكين لا يرحمون شيخا ولا امرأة ولا طفلاً ؟ لا شك أنهم رفضوا أسلوبه هذا بل حاربوه وطاردوه فتحول إلى ديار خثعم فحاربوه أيضاً وطاردوه فلجأ إلى بني مخزوم لكنه مات في نهاية الأمر وهو هائم على وجهه لا يعرف أين مات ولا كيف ولي هنا وقفة قصيرة مع الحلف والأحلاف الذي كان سائداً في الأيام الخوالي ولا زال الناس يذكرونه على أنه تاريخ ساد ثم باد بعدما ان جاءت الدولة السعودية أعزها الله وحكَّمت الشريعة الإسلامية فقضت على الأحلاف والثار وما يثير النعرات القبلية والتعصب ولهذا نقول ان الأحلاف قديماً تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول منها : هو حلف قبيلة مع قبيلة لمواجهة الأخطار المحدقة بهما والذي يجعل واحدة منهما لا تستطيع المقاومة ومن ذلك حلف زهران مع قريش. وقد تحدث عن هذا الحلف علامة الجزيرة العربية المرحوم / الشيخ / حمد الجاسر في كتابه في سراة غامد وزهران[1].

النوع الثاني : حلف شخص محدث مع قبيلة . وهو ما يسمى قديماً في هذه المنطقة بالدخالة والاسم الدخيل.

و صفة ذلك ان يرتكب المجرم أمراً يستحق عليه عقاباً صارماً كالقتل مثلاً أو السرقة أو انتهاك حرمات البيوت فيلجأ إلى قبيلة أخرى غير قبيلته فتستقبله تلك القبيلة وتضفي عليه الحماية سواء كان ظالماً أو مظلوماً بحيث ان القبيلة التي تطلبه للاقتصاص منه تراه رأى العين ولا تستطيع أن

---

(١) انظر صفحة (٢٧٤).

تفعل شيئاً لأنها إن فعلت شيئا واقتصت منه عد ذلك عارا ونقصا في حق القبيلة الحامية فتشعل حربا قد لا تهدأ الا بموت خلق كثير. ومن تعبيراتهم في ذلك قولهم (فلان دخيل عندنا ومن رشه بقطرة ماء رشيناه بدمه). انظر عزيزي القارئ كيف كانت تفعل الأعراف في الماضي. هذا بلا شك يخالف الهدي النبوي الشريف الذي حرم إيواء المحدث بل ولعنه قال صلى الله عليه وسلم (لعن الله من أوى محدثا) أو كما قال عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

يقول الشاعر الشعبي / محمد بن غرم الله بن ثامره الزهراني في قصيدة له وهو يعاتب قبيلة بالطفيل عندما تعرضوا لدخيل كان عندهم :

يـا طفيلـي والله إنـي أحـنكم مـن وطيـه الأشـواك[(١)]
و الخسارة واحدة و النقص من حبك و مـن حبَّـاني[(٢)]
غير ما هو حـق اتنـوش دخيـل عنـدنا و انحـن مخيلـة[(٣)]
و ش حربت الدوسي الا حن توزى بك محمد عارف[(٤)]
و اتوزينـــاه مـــــا اسـطنبول خـل ذيـه رفيقنـا[(٥)،(٦)]

لقد كانوا يضفون حمايتهم على الدخيل بصرف النظر عما إذا كانوا

(١) طفيلي: نسبة إلى قبيلة بالطفيل. أحنكم: أخشى عليكم. وطيه: موضع القدم. و الأشواك: جمع و مفردها شوكة.
(٢) من حُبَّاني : حُبّاني جمع و مفردها حب و هو القمح و الشعير و نحو ذلك.
(٣) مخيّله : متفرجون لا نعمل شيئا لحماية هذا الدخيل.
(٤) توزى : لجأ. و محمد عارف قائد تركي لجأ إليهم بعد فشل حملته على بلاد زهران.
(٥)، (٦) توزيناه: اي: حميناه خل ذيه رفيقنا : أي اننا حمينا ذلك القائد الذي جاء من اسطنبول غازياً عندما لجاء الينا فما بالك بهذا الدخيل و هو رفيقنا أي ابن عمنا و هو أولى بالحماية.

يعرفونه أو لا يعرفونه وذلك عندما يأتي إليهم مستجيراً بهم وقد بلغ بهم الأمر إلى المحاربة من أجل الدفاع عنه والأقتتال دونه فرداً أو قبيلة. لكن ما يجعل الأمر مقبولاً إلى حد ما ان القبيلة الحامية تُخضِع الدخيل إلى التفاوض مع القبيلة الطالبة وتتدخل في الصلح بينهما حتى تعود المياه إلى مجاريها وتاطره على قبول الصلح أطرا لكنها لا تسمح بالاعتداء عليه حتى يتم الصلح ويبرئ هو ذمتها ويعود إلى قبيلته أو يبقى في القبيلة الحامية تحسبه واحداً منهم لكن بعد الصلح. وقد انتهى هذا العرف بفضل الله ثم تحكيم الشريعة الإسلامية وتمتع هذه البلاد بالآمن الوارف في ظل الحكومة السعودية أعزها الله.

و هذا النوع من الأحلاف ينطبق على حاجز الزهراني الصعلوك الفاتك الذي كان مطالباً من قبيلته زهران ومن قبيلة خثعم فلجأ إلى بني مخزوم دخيلاً عندهم لأنه ارتكب جرائم يستحق عليها القتل فأضفت بني مخزوم عليه الحماية لا لكونه مظلوماً وإنما هو العرف السائد حينذاك وإلى عهد قريب. هذه الحقيقة يجهلها كثير من الباحثين من خارج هذه المنطقة ولا غرابة في مدحه لهم فقد آووه ونصروه وأضفوا عليه حمايتهم دون أن يعرفوا بما ارتكب من ظلم وإزهاق لأرواح الأبرياء والتعرض لأعراضهم وممتلكاتهم.و لو عرفوا لما تغير في الأمر شيئا لأنها أعراف سائدة وقد أصبحت في هذا العهد الزاهر بائدة ولله الفضل والمنة.

النوع الثالث : تحالف فرد مع فرد آخر يشاطره الأفكار والسلوكيات ومثال ذلك ما حدث بين ثابت بن أوس (الشنفرى) وابن خالته تأبط شراً كما جاء في بعض الروايات حيث ان الأخير رثى ثابت بن أوس رثاء

حزيناً يدل على حزنه العميق على رفيق دربه وسنده في مهماته وبما أن ما حدث بين الصعاليك في ذلك العهد البائد وأخصامهم أمر لا ندرك تفاصيله وما يكتبه الباحثون عبارة عن اجتهادات تحتمل الخطأ والصواب فان تزكيتهم أو مدحهم أمر نهانا عنه الشارع الحكيم فهم أمة خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقد غادروا الدنيا الفانية إلى الدار الباقية والخلاف لا يزال بينهم قائم ولم يفصل أحدٌ بينهم وكذلك من سبقهم من الأمم التي اختلفت وماتت على ذلك فان الله جل شانه هو العالم الوحيد بما حدث وسوف يفصل بينهم يوم القيامة.

قال تعالى وهو أصدق القائلين :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة السجدة الآية (٢٥)]. فالله جل شانه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ولا يظلم ربك أحدا فهو العادل وهو أهل التقوى وأهل المغفرة يقول في محكم التنزيل : ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف الآية (٤٩)].

لا شك ان كل إنسان في هذه الحياة يدرك ما يعمله إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً. والله يهدي إلى الحق من يشاء وله الحجة البالغة علينا لم يتركنا هملا بل أرسل إلينا الرسل مبشرين ومنذرين ومن حكمته أن أرسل لكل أمة رسول بلسانها حتى تنتفي الحجة بالغموض وتثبت الحجة علينا بالوضوح وهو الذي لا يخاف عقبى ما يفعل قال تعالى :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [سورة إبراهيم الآية (٤)].

اخلص من كل قولي هذا إلى أمرين.

الأول : أن اسمه ثابت. حسبما ورد في بيت الشعر الذي ذكرته سلفاً ويدعم هذا قول أهل قريته سلامان الدوسيه.

الثاني : أنه عاش وترعرع منذ نعومة أظفاره في ديار دوس بزهران وهذا اجمعت عليه الروايات تقريباً.

فاللهم يسر حسابنا وألهمنا رشدنا وأرحم ضعفنا فلك الحجة البالغة علينا لا حول لنا ولا قوة الا بك. لا نصرّف من أمورنا شيئا إلاّ بأمرك وتصريفك هو الحق وأنت القادر على كل شيء لك الشكر حتى ترضى وبعد الرضا وأنت المستعان.

القسم الثالث :

اعلام من بيئته :

أ) قبل الإسلام و مخضرمون.

ب) معـــاصرون .

أ) أعلام قبل الإسلام ومخضرمون..

خلق الله جلت قدرته الناس وقدر بعلمه وحكمته التزاوج بينهم حتى يتناسلوا ويتكاثروا ويعبدونه ويقدرونه حق قدرته. قال جل من قائل :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء الآية (١)].

و لقد استخلف الله هذا الإنسان في الأرض لعبادته وعمارة هذا الكون قال جل من قائل :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [سورة النور الآية (٥٥)].

و عندما أذكر في بحثي هذا بعض الأعلام من بيئة ثابت بن أوس (الشنفرى) الذين عاشوا وماتوا قبل الإسلام والذين عاشوا فترة من الزمن في ظلام الجاهلية ثم أنقذهم الله منها ووفقهم إلى الدخول في دين الله أفواجاً وكان لهم شأن في نصرته وتثبيت أركانه وذكرهم التاريخ ثم أذكر من برز في هذا العصر منهم فإنما اختار نماذج ممن ترك له أثراً يتجلى في حياته ومماته واحسب انها على اختصارها الشديد تكفي لمعرفة الهدف من هذا البحث والسبب في الاختصار هو صعوبة حصرهم حيث تناسلوا وتكاثروا إلى حد كبير كما قال الشيخ أبي زكريا يزيد بن محمد ابن القاسم

الازدى : (لبثت أزد شنوءة بالسراة وحولها حتى كثروا وخلفت منهم الخلوف بعد الخلوف ثم سارت قبائل منهم إلى عمان وإلى غير واحد من البلدان...... الخ[١]).

و من الذين عاشوا قبل الإسلام ولم يدركه :

مالك بن فهم الدوسي : يقول عنه الشيخ / أبي زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم الازدى (ت ٣٣٤هـ - ٩٤٥م) :

كان مالك بن فهم رجلا جليلا في قومه شريفا، كان منزله بعد مأرب السراة ثم رحل عنها إلى عمان مغاضباً لأهله وبني أخيه بسبب كلبة قتلوها لجاره فقال : (لا أقيم ببلد يستضام فيه جاري) فدخل إلى عمان وكان أول من رحل من الازد إلى عمان مالك بن فهم فسمي الفخذ الذي كان فيهم مالك بن فهم بالسراة فخذ الكلبه وهو اسمه بالسراة اليوم[٢]. أنباني محمد بن احمد قال : حدثني عبد الله بن عبيد الله الطلحي قال : حدثني أبي عن أبي عباده الرقي قال : لبثت أزد شنوءة بالسراة وما حولها حتى كثروا وخلفت منهم الخلوف بعد الخلوف ثم سارت قبائل منهم إلى عمان وإلى غير واحد من البلدان فسموا الذين ساروا إلى عمان

---

(١) قال في الحاشية : الخلف بفتح الخاء و اللام، الخلف بفتح الخاء و سكون اللام القرن من الناس / تاريخ الموصل صفحة (٩٧).

(٢) هنا اود ان اشير إلى ان هذا الاسم لا يزال حيا يطلق على قرية من قرى بني عدوان تابعة لمحافظة القرى و تقع قريباً جدًا من بني بشير احد فخوذ قبيلة بني عمر احد فروع زهران الأربعة و الذين ورد ذكرهم في شعر مالك بن فهم. كما تقع قريباً جدًا من بطن منحل و جبل السُّود الذين ذكرهما ثابت بن أوس (الشنفرى) في شعره و سيأتي ذكرهما جميعاً لاحقاً ان شاء الله.

أزد عمان وكان أول من خرج منهم من السراة إلى عمان مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الازد وكان سبب خروجه انه كان له جار وكان له كلبة فرماها بنو أخي مالك بن فهم فقتلوها وكانوا أعز من ولده وكان له من الولد تسعة نفر فغضب وقال (لا أقيم ببلد ينال فيه من جاري فلا اقدر ان امنع عنه) ثم خرج هو وولده حتى نزلوا عمان قال واسم البلد الذي خرجوا منه فخذ الكلبه إلي اليوم(١) وفي ذلك يقول مالك بن فهم فيما يقول :

الا مــن مــبلغ أبنــاء فهــم ... مغلغلة عـن الرجـل اليمـاني
و مبلــغ منهــد وبــني بــشر ... و سـعد الـلات والحـي المـدان
تحيــة نــازح أمــسى هـــواه ... بجنح البحر مـن أرضـي عمـان
فحلـوا بالـسراة وحـل أهلـي ... بأرض عمان في صـرف الزمـان
جنبنا الخيـل مـن برهـوت شـعثا ... إلى تلهاب مـن شـرقي عمــان[١]
و بالعـــرنين كنــا أهــل عــز ... ملكنــا بربـرا وقــرى معــان

و قبل أن استرسل في الحديث الذي يلي هذه الأبيات أود أن اصحح بعض الأخطاء فقد جاء في البيت الثاني قوله :

و مبلــغ منهــد وبــني بــشير ... و سـعد الـلات والحـي المـدان

و الصحيح ان الكلمة الثانية في الشطر الأول من البيت الثاني - منهد - هي منهب وليس منهد وقد صحح المؤلف الاسم في الحاشية حيث قال

---

(١) جنبنا : يقصد بها جلبنا = حيث تعرضت للتصحيف كغيرها.

لعل كلمة منهد محرفة من منهب وهو منهب بن دوس من الازد[١].
أما الشطر الثاني من هذا البيت فقد ذكر سعد اللات والحي المدان والذي اراه هنا أنه يخاطب أبناء عمومته غامد بهذا البلاغ حيث ان سعد مناة اسم ورد في نسب غامد. ويعتقد أنه حرف إلى سعد اللات ومناة واللات أصنام كانت تعبد قبل الإسلام ويسمون الناس أولادهم بها وحي المدان لا يزال محتفظا باسمه إلى اليوم وهو حي من أحياء مدينة بالجرشي.

و قال في البيت الأخير :

و بـــالعرنين كنـــا أهـــل عـــز ملكنـــا بربـــرا وقـــرى معـــان

و قد قال في الحاشية - العرنان جبل بين تيماء وجبل طي - وهذا خطأ لأمرين :

الأول منهما : ان الاسم كتب في الأصل العرنين وفي الحاشية العرنان.

الأمر الثاني : إذا افترضنا ان هناك جبل في ديار طي بهذا الاسم فانه ليس المقصود في هذا البيت وإنما المقصود هو جبل العرنين في ديار دوس الذي لا يزال معروفاً بهذا الاسم حتى اليوم وهو أحد جبال دوس المشهورة ويقع بجوار جبل سيحان المعروف والذي يؤكد ذلك سياق القصيدة فأبناء فهم من دوس ومنهب الذي ورد في القصيدة خطأ ثم صحح في الحاشية في دوس وجبل العرنين في دوس ولا زالت هذه الأسماء محتفظة باسمائها منذ ذلك التاريخ والقادم من الطائف من الخط السياحي اليوم يشاهد هذين الجبلين العرنين وسيحان شامخين شموخ أهل تلك الديار.

---

(١) تاريخ الموصل لأبي زكريا الازدى صفحة (٩٧).

أما بني بشير التي وردت أيضا في هذه القصيدة فهم فخذ من بني عمر احد بطون وفروع قبيلة زهران تقع في محافظة القرى شمالي مدينة الباحة بحوالي اربعين كيلاً ونحو ذلك وفيها قرى وجبال تطرق لها ثابت بن أوس في شعره منها : وادي دحيس، منحل، الراس، جبل السود وسوف يأتي ذكرها ان شاء الله مفصلاً.

و السؤال الذي يطرح نفسه هو :

ما الذي جعل الشاعر يذكر هذه الأسماء التي تقع في ديار دوس ثم يختص جبل من هذه الجبال من ديار طي وهو في السراة وربما لم يطأ تلك الديار.؟ والجواب كما سبق ان قلت ان المقصود بالتأكيد هو جبل العرنين في دوس.

و هذا بلا شك من الأخطاء الكثيرة التي وقع فيها المؤرخون لهذه الديار وغيرها والتي تنقصها الدقة في تحديد المواقع.

قال المؤلف رحمه الله تعالى : من أقوال مالك أيضا :

الازد قومي وهم إذا نزلت ... بالناس هيجا في عرى الكرب

نضمن للجار ما أقام بنا ... ريب المنايا والدهر ذو ريب

أنا ابن فهم الكريم في الشرف ألـ ... ـعالي قديم في ذروة الحسب

قدنا الجياد الصفون من يمن ... إلى عمان بجحفل لجب

و كان لمالك بن فهم من الولد على ما ذكر غير واحد من النساب أربعة عشر ولداً وكان اكبر ولده وبه يكنى مالك جذيمة وهو ملك العراق وكان به برص فكانت العرب تكني عنه إعظاما له فقالوا الوضاح وقالوا الابرش وله أراد متمم بن نويرة بقوله :

و كنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني و مالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

و كان أول من ملك العراق من العرب وأول من مشى بين يديه بالشمع وكان مسكنه بالأنبار والحيرة وعين التمر وقال قائل كان منزلة يبرين ولذلك قال رجل من العرب :

أضحى جذيمة في يبرين منزله قد حاز ما جمعت في عمرها عاد[1]

و تجدر الإشارة إلى ان كلمة برش هذه لازالت مستخدمة في تخاطب أهل السراة غامد وزهران وهي تعني البرص والصفة عندهم أبرش.

هذا الملك العظيم من ملوك العرب له ابن أخت يدعى عمرو بن عدي اللخمي وله قصة اوردها هنا دليل على الإيثار على النفوس ووجود الخير في العرب ومكارم الأخلاق التي تممها رسول الرحمة والهدى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. قال صاحب لسان العرب والكلام له (و في الحديث ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه دخل بيت المال فقال يا حمراء ويا بيضاء احمَّري وابيضّي وغري غيري :

هذا جناي خياره فيه

إذ كل جانٍ يده إلى فيه

قال أبو عبيد يضرب هذا مثلاً للرجل يؤثر صاحبه بخيار ما عنده قال أبو عبيد ذكر ابن الكلبي ان المثل لعمرو بن عدي اللخمي بن أخت جذيمة ، وهو أول من قاله وان جذيمة نزل منزلاً وأمر الناس ان يجتنوا له

(١) تاريخ الموصل لأبي زكريا الازدى صفحات (٩٦، ٩٧، ٩٨).

الكماءة فكان بعضهم يستأثر بخير ما يجد ويأكل طيبها وعمرو يأتيه بخير ما يجد ولا يأكل منها شيئا فلما أتى بها خاله جذيمة قال :

هـــذا جنـــاي خيـــاره فيـــه

إذ كـــل جـــان يـــده إلى فيـــه

وأراد علي رضوان الله عليه بقول ذلك انه لم يتلطخ بشيء من فئ المسلمين بل وضعه مواضعه(١). و بما ان الإنسان يرحل بلقبه معه فإن لقب اللخمي من الألقاب الموجودة والمتوارثة ولا زالت حية في بيئة ثابت بن أوس (الشنفرى) وفي ديار يوس بزهران عائلة مشهورة بلقب اللخمي وربما أنهم من أحفاد ذلك الملك العظيم جذيمة بن مالك الابرش فصالح اللخمي شاعر يوسي زهراني من قرية بالحكم التابعة لقبيلة بني كنانة المحاذية لديار دوس وتحدها من الجنوب وهو شاعر من الشعراء الشعبيين يعتبر من فحول الشعراء في هذا اللون ذو خلق رفيع لا يزال على قيد الحياة.

يقول عنه الأستاذ/ قينان بن جمعان الزهراني في كتابه قبيلة من زهران - صالح محمد اللخمي الكناني الزهراني من مواليد ١٣٧٩هـ من دار المسيد من بالحكم يتمتع بشعبية كبيرة جداً وهو خلوق -(٢). وله قصيدة شعبية مؤثرة تدل على قوة شاعريته وأحاسيسه وشعوره المتقد نحو ما يدور من تجاهل لمشاعر الآخرين يقول فيها :

الخساير كثيرة و اكبر أنواعها فقد الصديق

الصديق الذي تدْعِي و تلقاه في يسر وشده

---

(١) لسان العرب فعل "جنى".

(٢) انظر كتاب قبيلة من زهران لصاحبه قينان جمعان الزهراني صفحة (٢١٩).

ان نصيتاه تْجمَّل و ان توزيت في ظلـــه وزيـت(١)
و الحقيقة ان من ذا الصفة كود تجد في الميئه واحـد(٢)
حتى بعض الأقارب ينكر القرب لا جار الزمـــان
أكثر الناس وقت العافية ما عاد أحلى مـن هـروجـه
و ان جت الزحمة كِنَّك ما المظيلف وكنه من سبيـــع(٣)
بالله يا كل عاقل ساير الناس واعرف مـن تـصاحـب
ثم خذها نـصيحة لا تـصدِّق سـواليف الـضـحوك
ادرس أحـوال مـن وده يـسايرك في خطـوة مـــديه
ان لقيتــاه و نعـم يرفـع الـرأس و إلا جِنّبـــــه(٤)

و أضاف الشيخ أبي زكريا الازدى في حديثه عن سيرة مالك بن فهم وذريته : فأما سليمة بن مالك بن فهم فانه قتل أباه خطأ وذاك انه كان أحب ولده إليه وكان يخصه بالعناية والتعليم وعلمه الرمي فمهر فيه فكان يأخذ الصيد يرميه نهاراً وأحب ان يأخذه ويرميه ليلاً فذكر بعض رواة الإخبار أن سليمة خرج على نجيب له كأنه أفعوان حتى أتى بعض ذكوات الوحوش وذلك في أول ليالي المحاق فلم ير ليلته منها شيئا ولما أصبح ضرب فجوة من الأرض وكان مالك بن فهم بعث من يأتيه بخبره فعرفه انه قد رحل من موضعه إلى غيره فخرج في طلبه في غلمانه فخفي عليه أثره فلما قربوا منه أحس سليمة باخفاف الإبل ليلاً ورأى ركباً

(١) توزَّيت : لجأت.
(٢) الصُّفة : الجيل. لغة معروفة في السراة.
(٣) المظيلف: مدينة معروفه في منطقة تهامة. و سبيع قبيلة تحد بادية غامد من الشمال الشرقي.
(٤) لقيتاه : بمعنى لقيته، جِنّبه : بكسر الجيم و النون مع تشديدها : أي اتركه.

مسرعين فقال هذه والله حبسة احتبسها بعد شداد العرب والله ما انا بمتحف أبي بصيد هو أحسن من هذا إذ فأتني الوحش ففوق سهمه وبرز من مكمنه نحو الركب وهو يقول :

هل قنص أم لا لهذا القانص؟ يسوقها من بلد القلائص
لست إذا لمالك بالخالص ان لم أر وِّمنكم مشا قصي
من علق الأوداج والغلايص

فسمع مالك أبوه ارتجازه ولم يعرف صوته لوطء الإبل فوقف يتسمع ويتفهم فأسرع إليه سليمة فرماه فخرَّ تليلا فابتدره سليمة ليقبض عليه فقال له مالك من تكون لا أم لك ؟ فلما تكلم عرفه سليمة فقال انا سليمة فقال ولامك الويل أحسبك والله قد قتلتني فادن فاحملني فحمله وانصرف باخسر كرّة ولم يزل مالكاً وجعاً من رميته حتى مات. وفي ذلك يقول :

جزاه الله من ولد جزاء سليمة انه سا ما جزاني
أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني
فلا ظفرت يداه حين يرمي و شلت منه حاملة البنان
فبكُّوا يا بَنِيّ عليَّ حولا و رثُّوني وجازوا من رماني

وقال سليمة بن مالك يعتذر من رميته :

إني رميت بغير ثائرة بيت المكارم من بني غَنمْ
ما كنت فيما قلت تعلمه من قد أحاطت من ذوي الفهم
و لقد رميت الركب إذ عرضوا بين التليل فروضة النجم

فرميـــت حـــاميهم بـــلا علـــــم ان ابـــن فهـــم مالكـــاً ارمـــي
فـــوددت لـــو نفـــع المنـــى أحـــدا إنـــي هنـــاك أصـــابني ســـهمي

إلي ان قال المؤلف رحمه الله تعالى :

و لسليمة من الولد فيما ذكروا خمسة عشر ولدا وهم - حماية وعبد وعبيد، وكلاب وغنم، وزاهر وصيال، ورواحة، وحملة، ورافد، والأسود، وسعد وجرير، واسود ومحاسن بنو سليمة بن مالك بن فهم[1].

و مما قال المؤلف رحمه الله تعالى ما يلي :

و بالموصل من سليمة بنو الحشاش من ولد عبد بن سليمة، منهم عمرو بن جرو بن نصير بن زائدة بن عمر الحشاش....... الخ[2].

و هنا نلاحظ ان الحشاش قرية من قرى وادي دو من تهامة زهران قال الأستاذ/ علي السلوك عنها تبعد عن مدينة الشعراء بمحافظة قلوة بحوالي تسعة أكيال شمالاً[3]. ويعتقد أنهم حملوا هذا الاسم معهم وتوارثوه.

ثم قال رحمه الله: ومن أخوتهم أيضا ممن قدم الموصل فراهيد بن مالك بم فهم. إلى ان قال: ومن ولد فراهيد الخليل بن احمد صاحب العروض فتح له في علمه ما لا اعلم ان أحدا سبقه إليه وكان فصيحاً زاهداً وهو القائل:

لو كنت تعقل ما أقـــول عـــذرتني أو كنت أعقل مـا تقـــول عـــذلتكا
لكـــن جهلـــت مقـــالتي فعـــذلتني و علمت انك جاهـــل فعـــذرتكا

---

(١) تاريخ الموصل للشيخ / أبي زكريا الازدى صفحة (١٠١).

(٢) تاريخ الموصل للشيخ / أبي زكريا الازدى صفحة (٩١).

(٣) معجم بلاد غامد و زهران للسلوك صفحة (١٨٧).

قال في الحاشية وهو يشرح هذا البيت : وهكذا روى الشطر الثاني من البيت الأول في الأصل. ويروى في المرجعين السابقين وكذلك في النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١ / ٣١٢ هكذا أو كنت تعقل ما تقول عذلتكا: وفيه مبالغة في الطعن على ابنه الذي رآه يقطع بيتا من الشعر فاتهمه بالجنون لأنه لا يفهم ما يقول أبوه[١].

كما قال ومن أخوتهم الاشاقر ومنهم كعب الاشقرى وكان شاعراً ذكروا أنه قدم الموصل مع المهلب...... الخ.

وزاد المؤلف وهو القائل :

رأيت الأزد أكرم كل حي ... إذا عد المكارم و الفخارا

هم قادوا الجياد على وجاها ... من الأمصار يقد من المهارا

بكل تنوفة وبكل سهب ... سباسب لا يرى فيها منارا

إلى كرمان يحملن المنايا ... بكل ثنية يوقدن نارا[٢]

في هذه الأبيات نرى الشاعر يمدح قومه الازد ويقول أنهم أكرم الناس وهم فوارس يشعلون نار الحرب على كل عدو فيحرقوه. وإذا جاز لنا أن نعتبر أن مدح الشاعر لنفسه أو لقومه دليلا على شخصيته وقومه فاننا سوف نأخذ هذا القول على علاته ونقول فعلا ان الأزد أكرم الناس وأكثرهم شجاعة وبطولة. وهذا فيه شيء من تجاوز الحقيقة فالأزد مثلهم مثل بقية القبائل العربية فيهم الكريم وفيهم البخيل وفيهم البطل الفارس المغوار وفيهم الجبان الذي لا يستطيع أن يقود نفسه إلى مصلحته فضلاً

(١) تاريخ الموصل السابق ذكره صفحة (٩٢).

(٢) تاريخ الموصل للشيخ / أبي زكريا الازدى صفحة (٩٥).

عن ان يقود الآخرين ويدافع عن الأنفس والأملاك والأعراض. وقال أيضا : خرج مع أبي حمزة السلمي جابر بن جبله بن عبيد بن لبيد بن محاسن بن سلمه بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الازد بجميع بطون نصر بن زهران. اليحمد وبني الحارث الغطريف وبني طمثان ومعولة وبني مخلد وغيرهم من بطون نصر بن زهران وسليمة ومعن ابني مالك بن فهم وغيرهم من ولد مالك[1]. هنا أورد اسمين هما اليحمد : وهم فخذ من فخوذ زهران في تهامة. قال عنهم الشيخ/حمد الجاسر رحمه الله : اليحمد فخذ من قبيلة الشغبان من بني سليم[2]. وبنو سليم كما سبق أن قلت هم الفرع الرابع من قبيلة زهران.

أما الاسم الثاني فهم بني الحارث - الغطريف - وهم الذين سكنوا وادي السيسبان وهو واد كبير يقع إلى الناحية الشمالية من مدينة المندق احدى قرى قبيلة زهران في الوقت الحاضر. وسوف يأتي ذكر ذلك لاحقاً إن شاء الله تعالى.

ان هذا الاقتباس من هذا الكتاب لم يأت على كل شيء ففيه معلومات قيمة يستفيد منها كل قارئ يود معرفة تراثه العربي والأمم التي سادت منذ زمن بعيد ولم تبد فقد خلفت الخلوف بعد الخلوف وبرز منها قادة وعلماء وملوك وأمراء أسسوا ممالك وتركوا ذكراً عطراً. والكتاب قيم ننصح بقراءته.

---

(١) المصدر نفسه صفحتي (٧٧، ٧٨).

(٢) في سراة غامد و زهران للشيخ / حمد الجاسر صفحة (٥٠٩).

ومن الأعلام الذين عاشوا قبل الإسلام في بيئة ثابت بن أوس (الشنفرى) تحت نير الجاهلية فترة من الزمن ثم أنقذهم الله منها فاستظلوا بظل الإسلام الوارف. الصحابي الجليل :

الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه :

أورد ذكره صاحب كتاب الأغاني عندما تحدث عن الحرث بن الطفيل وذكر نسبه نقتطف من ذلك الحديث ما يكفينا للدلالة على هذه الشخصية العظيمة ومما قاله بعد أن تحدث عن أخبار الحرث بن الطفيل ونسبه انه من مخضرمي شعراء الجاهلية والإسلام فقال[(١)] :

الطفيل بن عمرو شاعر أيضا وهو أول من وفد من دوس على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وعاد إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام (اخبرني) عمي قال حدثنا الحزنبل بن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه واللفظ في الخبر له والله اعلم (و اخبرني) به محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه ان الطفيل بن عمرو بن عبد الله بن مالك الدوسي خرج حتى آتى مكة حاجا وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر إلى المدينة وكان رجلا يعصو والعاصي البصير بالجراح لذلك يقال لولده بنو العاصي[(٢)]. فأرسلته قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا انظر لنا ما هذا الرجل وما عنده فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام فقال له إني شاعر فاسمع ما أقول فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هات فقال :

---

(١) كتاب الأغاني لأبي فرج الاصبهاني (م / ١٢ صفحة ٥٠).

(٢) لازالت هذه الكنية حية يكنى بها زهران كافة حيث يقال زهران العناصي و قد أضيفت إليها نوناً للتخفيف.

لا وإله الناس نألم حربهم	و لو حاربتنا منهب وبنو فهم
و لما يكن يوم تزول نجومه	تطير به الركبان ذو نباء ضخم
اسلماً على خسف و لست بخالد	و ما لي من واق إذا جاءني حتمي
فلا سلم حتى تحفز الناس خيفة	و يصبح طير كانسات على لحم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول فاستمع ثم قال:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ ثم قرأ قل أعوذ برب الفلق ودعاه إلى الإسلام فأسلم وعاد إلى قومه فأتاهم في ليلة مطيرة ظلماء حتى نزل بروق[1] وهي قرية عظيمة لدوس فيها منبر الطفيل.

الجائزة الإلهية :

يقول صاحب الأغاني رحمه الله تعالى : فلم يبصر أين سلك فأضاء له نور في طرف سوطه فبهر الناس ذلك النور قالوا نار أحدثت على قدوم ثم على بروق لا تطفأ فعلقوا يأخذون بسوطه فيخرج النور من بين أصابعهم فدعا أبويه إلى الإسلام فاسلم أبوه ولم تسلم أمه ودعا قومه فلم يجبه الا أبو هريرة وكان هو وأهله في جبل يقال له ذو رمعا [2].

---

(١) بروق : هكذا ورد في الأغاني. و الصحيح ثروق بالثاء و ليس بالباء و هي قرية عظيمة من قرى دوس بزهران لازالت محتفظة باسمها حتى اليوم.

(٢) ذو رمعا : هكذا ورد في الأغاني. و الصحيح ذو منعا. بالنون و ليس بالراء و هي عقبة في ديار دوس تصل بين السراة و تهامة و لازالت تحتفظ باسمها إلى اليوم. و قد صحح الشيخ حمد الجاسر هذا الاسم انظر الشكل (١٤) .

فلقيه بطريق يزحزح[١]. وبلغنا انه كان يزحف في العقبة من الظلمة ويقول :

يـا طولهـا مـن ليلـة وعنائهـا ‌‌ ‌ على انها مـن بلـدة الكفـر نجـت

ثم آتى الطفيل بن عمرو النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو هريرة فقال له (ما وراءك) فقال بلاد حصينة وكفر شديد فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال اللهم أهد دوسا ثلاث مرات قال أبو هريرة فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم خفت أن يدعو على قومي فيهلكوا فصحت(وا قوماه) فلما دعا لهم سري عني. ولم يحب الطفيل ان يدعو لهم لخلافهم عليه فقال لم أحب هذا منك يا رسول الله فقال له (ان فيهم مثلك كثير)[٢].

كل يعمل على شاكلته :

عندما تحدث الأستاذ/ مصطفى عيد الصياصنه عن نظرة ثابت بن أوس (الشنفرى) إلى الغيب قال (و للغيب دوره في حياة الشنفرى فهو يؤمن أن الأجل محدود مقدر ومنية الإنسان تصيبه أينما كان إذا حانت ولو كان جالسا بين عمودي خبائه لا يبرحه) ثم استدل ببيت من شعره وقال بعد ذلك والقول له : يستشم من ذلك إقراره بالبعث بعد الموت وربما يكون

---

(١) يزحزح : هكذا ورد في الأغاني. و الصحيح برحرح براءين و ليس زايين. وهي قرية عظيمة من قرى دوس تتبعها عقبة ذي منعا و قد صحح هذا الاسم الشيخ / حمد الجاسر في كتابه في سراة غامد و زهران. و هي لازالت محتفظة باسمها الصحيح برحرح إلى اليوم انظر الشكل (١٢).

(٢) راجع الحديث في الهامش ففيه رواية أخرى لبيت الشعر هذا.

ذلك الاعتقاد قد جاءه من بقايا موروثات الديانات التي كانت معروفة لدى عرب الجزيرة العربية من يهودية ونصرانية أو حنيفية على ملة خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام[١].

و على هذا أقول ان الباحث لم يأت بجديد. فالبشر جميعهم وعلى مختلف مللهم ونحلهم يدركون أن لهذا الكون مدبر حكيم خلقه وأحكم صنعه ولكن تاهت بهم الأفكار في الاهتداء إليه. فكان بعضهم يعبد الأوثان ويتقربون بهم إليه وبعضهم يسجد للشمس والقمر وبعضهم يعبد البقر وبعضهم يعبد الشيطان، وبعضهم يعبد الله على الملل السابقة للإسلام وعلى الشرائع السماوية السابقة للإسلام. فهو يعلم الحلال والحرام فيجتنب كبائر الأمور كالقتل والزنا وهتك الأعراض واغتصاب النساء وترويع الآمنين ومنهم من استسلم لهواه والشيطان فارتكب أعمالاً مخزية وألحق العار بأهله وقومه مثل ثابت بن أوس وحاجز وغيرهم كثير يقول الله تعالى في محكم التنزيل : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ [سورة الإسراء الآية (٨٤)].

قال الشيخ أبو بكر الجزائري أثابه الله في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ أي طريقته ومذهبه الذي يشاكل حاله في الهدى والضلال[٢].

ان ذكر الأستاذ الصياصنة وقوله ربما يكون الاعتقاد قد جاءه من بقايا موروثات الديانات التي كانت معروفة لدى عرب الجزيرة العربية من

---

(١) الشنفرى الازدى للصياصنه صفحتي (١٠٤، ١٠٥).

(٢) أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري (م / ٣ / ص / ١٧٣).

يهودية ونصرانية أو حنيفية على ملة خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام. يضيف إدانة جديدة لثابت بن أوس (الشنفرى) فلم يهده الله إليها ويوفقه للبحث عنها نتيجة لسيطرة الشر والشيطان والهوى عليه خاصة أن تلك الديانات لم تكن بقايا بل كانت منتشرة بقوة قبل أن يأتي الإسلام. فهذا جندب بن عمرو يرى ما رآه ثابت بن أوس. لكنه كان موفقا. يقول صاحب كتاب الأغاني : كان جندب بن عمرو بن حممه بن عوف بن غويه بن سعد بن الحرث بن ذبيان بن عوف بن منهب بن دوس يقول في الجاهلية ان للخلق خالقا لا أعلم ما هو فخرج حينئذ في خمس وسبعين رجلا حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وأسلموا قال أبو هريرة ما زلت الوي الآجرة[1] بيدي ثم لويت على وسطي حتى كان بجاداً اسود وكان جندب يقربهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً رجلاً فيسلمون[2].

ومن الأعلام الأفذاذ الذين لهم دور بارز في الإسلام يعرفهم القاصي والداني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليله روى عنه أحاديث كثيرة رجل ثقة وهو : أبو هريرة الدوسي رضي الله عنه. لقد عاش أبو هريرة رضي الله عنه في بداية حياته في ديار قومه دوس التي كانت ترزح تحت نير الجاهلية وشقائها. يفعل ما يفعلون ويشرك بالله غيره ويعبد الأصنام. لكن جذوة الإيمان في داخله كانت تتقد وتتطلع إلى الظهور لتحرق الأصنام تلك التي لا تنفع ولا تضر حجارة أو أشجار

(١) الآجرة : هي واحدة قصب الذرة و يطلقون عليها في السراة العجاره.

(٢) الأغاني لأبي فرج الاصبهاني (م / ١٢ صفحتي ٥١، ٥٢).

وغيرها مما لا حول له ولا طول وما أن بزغ فجر الإيمان وازاحت رياحه رماد الجاهلية والأصنام حتى برزت تلك الجذوة ووضح وهجها. كان أول من أجاب ابن عمه ورفيق دربه الطفيل ابن عمرو الدوسي الذي أسلم قبله وما أن دعاه للإسلام حتى أسلم وأصبح من أكثر الناس التصاقا برسول الرحمة والهدى عليه أفضل الصلاة والسلام وخليله روى عنه الكثير من الأحاديث.

لا شك ان سيرة هذا العلم من أعلام الإسلام قد درست من قبل باحثين منهم من صدق ومنهم من لم يصدق في نفسه وقد تصدى لهم المؤمنون فأبطلوا حججهم ومنهم علامة الجزيرة العربية حمد الجاسر رحمه الله تعالى كما سبق ان أشرت.

أما الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله الزهراني فقد أفرد له في مؤلفه معجم رواة الحديث الاماجد من علماء زهران وغامد مساحة كبيرة للحديث عنه وعن فضله ثم الرد على من يشكك في سيرته ونظراً إلى انه لا يوجد لدينا ابلغ ممن قاله وأدمغ حجة وصدق بيانه لذلك فاننا نحيل الباحث عن الحقيقة والقارئ الكريم إلى ذلك الكتاب ففيه الكفاية وعنده الخبر اليقين. والله المستعان[1].

ومن أشهر رجالات دوس قبل الإسلام : عمرو بن حممه الدوسي :

يقول عنه الأستاذ/ قينان بن جمعان الزهراني في كتابه بيت من زهران الصادر في طبعته الأولى في عام ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠٠م ترعرع في منطقة ثروق التي تنتمي لقبيلة دوس في بلاد زهران وآلت إليه رئاسة

---

(١) معجم رواة الحديث الاماجد من علماء زهران و غامد (م / ١ / ص / ٧٦) و ما بعدها.

دوس ولقد اشتهر بالمجد والرئاسة والحكمة بين حكام العرب المعدودين واشتهر دينياً برعايته لصنمي ذو الخلصه وذو الكفين[١]. إلى أن قال : والمعروف انه لم يدرك الإسلام[٢].

ونظراً إلى أن من توجهات هذا البحث تصحيح الرؤى عن البيئة التي عاش فيها ذلك الصعلوك ثابت بن أوس (الشنفرى) قبل الإسلام وبعده فان التوسع أمر قد سبقنا إليه إخوة كرام. لذا فانني أحيل القارئ الكريم إلى مؤلف الأستاذ/ قينان الذي اشرت إليه ففيه معلومات وافرة وموثقة عن هذه الشخصية العظيمة ونظراً لسعة اطلاعه ودقة بحثه. وقد تطرق لشخصيات عظيمة من هذه البيئة كان لها دور بارز في الإسلام[٣].

المرأة كما هو معروف للجميع هي شقيقة الرجل تسانده في العمل وتشد من أزره من اجل إنشاء مجتمع سليم معافى وذلك بتعزيز كيان الأسرة. ولقد ذكر لنا التاريخ ان هناك نساء اشتهرن في هذه البيئة التي عاش فيها ثابت بن أوس فكان لهن دوراً بارزاً في صدر الإسلام حفظن باستقامتهن وسمعتهن الحسنة كيان الأسرة الإسلامية وشرّفن قبيلتهن فكن قدوة حسنة لحفيداتهن. وقد أورد الأستاذ/ قينان جمعان الزهراني في كتابه الذي اشرت إليه مجموعة منهن حيث خصص الفصل الرابع للصحابية الجليلة (أم أبان) ثم خصص الباب الرابع لمجموعة منهن تحت عنوان نساء شهيرات وقد خصص القسم الأول منه إلى نساء قرشيات تزوجن من

---

(١) بيت من زهران لقينان جمعان الزهراني صفحة (٥٩).

(٢) بيت من زهران لقينان بن جمعان الزهراني صفحة (٨٢).

(٣) انظر الفصلين الثاني و الثالث من المصدر نفسه.

زهران والقسم الثاني خصصه لنساء زهرانيات تزوجن برجال من قريش ومن الاخيرات : أم سفيان بن حرب الدوسية، اميمة الصقب الزهرانية وأم رومان بنت عمير بن عامر بن سخبره الكنانية الزهرانية، عاتكة بنت أبي ازيهر الزهرانية، شميلة بنت أبي حناءه بن أبي ازيهر، وأم الطفيل بنت الطفيل بن عمرو بن عمرو بن المنذر بن سبيع بن عبد فهم الدوسية الزهرانية. و قد شرح عن كل واحدة منهن شرحاً موجزاً ومفيداً[١].

إن التقارب التاريخي بين القبيلتين العظيمتين قريش وزهران فيما يتعلق بالحلف والنسب أمر ثابت في التاريخ وقد ذكر ذلك الشيخ / حمد الجاسر رحمه الله تعالى في مؤلفه (في سراة غامد وزهران) [٢] وذكر معلومات قيمة عن رجالات هذه البيئة تفخر بهم وقد حافظ أبناؤها على تلك السمعة الحسنة وبرز منهم شخصيات في العلم والفكر والأدب في العصر الحاضر كما سنرى لاحقاً إن شاء الله.

الحرب بين الأشقاء وأسبابها ونتائجها :

سبق ان اشرت إلى ان قبيلة زهران تنقسم إلى أربعة فروع رئيسية هم دوس، وبني يوس، وبني عمر، وبني سليم.

فالفرعان الأولان يسكنان بجوار بعضهما البعض وحدودهما مشتركة فقريتا ثروق وحظوة المذكورتان في التاريخ تتبعان دوس ويحدهما من الشرق قرية أم عمرو التي ورد ذكرها في شعر ثابت بن أوس (الشنفرى) تتبع بني يوس. ويؤكد هذا القول ما ذكره الأستاذ/ قينان بن جمعان

(١) راجع مؤلفه بيت من زهران / الأقسام التي اشرت إليها.

(٢) في سراة غامد و زهران للعلامة / حمد الجاسر رحمه الله تعالى صفحة (٧٤) و ما بعدها.

الزهراني في كتابه قبيلة من زهران. حيث يقول : وأم عمرو تقع في الجهة الشمالية بمسافة تزيد على اثنين من الكيلوات عن قرية المغثه في أسفل الوادي وهي على الحدود الفاصلة بين قبيلة بني كنانة وقبيلة بالطفيل من قبائل بني سليم وقبيلة دوس بني فهم. إلى ان قال : وقبيلة بني كنانة من بني يوس كما سبق التعريف بها[١]. و تذكر كتب التاريخ ان هذه البيئة التي عاش فيها ثابت بن أوس (الشنفرى) وما سنورده من شواهد فيما بعد ان الرئاسة فيها كانت قبل الإسلام لبني الحرث بن عبد الله بن عامر بن الحرث بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران. ويطلق على جدهم الأول الغطريف وتوارث أبناؤه هذا الاسم فسموا بالغطاريف. وقد كانوا يسكنون وادي السيسبان الذي يقع شمالي مدينة المندق الحالية حيث رحل السكان من ذلك الوادي إلى مقرها الحالي[٢]. ولم ينازعهم أخوتهم دوس في ذلك. الا ان الظلم والجور وحب التسلط وفرض الإرادة جعل تحمل ذلك امراً صعباً فثارت دوس من جراء ذلك ورفضته وعلى اثر ذلك قامت الحرب بين الأخوة الأشقاء دوس وبني يوس(الغطاريف) وحتى يتضح للقارئ ما حدث بين الأخوة الأشقاء. سوف اقتبس من كتاب الأغاني لأبي فرج الاصبهاني بعض ما ورد في ذلك فهذا الكتاب من المصادر الموثوقة. لقد أورد صاحب كتاب الأغاني قصة حربهما في روايتين :

---

(١) كتاب قبيلة من زهران للأستاذ / قينان جمعان الزهراني صفحة (١٣٦).

(٢) راجع المصدر السابق لمعرفة أسباب رحيلهم صفحة (١٧٥) و ما بعدها.

الأولى : عن أبي عمرو الشيباني :

((ان ضماد بن مسرح بن النعمان بن الجبار بن سعد بن الحرث بن عبد الله بن عامر بن الحرث بن يشكر سيد آل الحرث كان يقول لقومه أحذركم جرائر أحمقين من آل الحرث يبطلان رياستكم وكان ضماد يتعيف وكان آل الحرث يسودون العشيرة كلها فكانت دوس أتباعاً لهم وكان القتيل من آل الحرث تؤخذ له ديتان ويعطون إذا لزمهم عقل قتيل من دوس دية واحدة فقال غلامان من بني الحرث يوما ائتوا شيخ بني دوس وزعيمهم الذي ينتهون إلى أمره فلنقتله فأتياه فقالا يا عم ان لنا أمراً نريد ان تحكم بيننا فيه فأخرجاه من منزله فلما تنحيا به قال له احدهما يا عم إن رجلي قد دخلت فيها شوكة فأخرجها لي فنكس الشيخ رأسه لينتزعها وضربه الآخر فقتله فعمدت دوس إلى سيد بني الحرث وكان نازلا بقنونا فأقاموا له في غيضه في الوادي وسرحت إبله فأخذوا منها ناقة فادخلوها الغيضه وعقلوها فجعلت ترغو وتحن إلى الإبل فنزل الشيخ إلى الغيضه ليعرف شأن الناقة فوثبوا عليه فقتلوه ثم أتوا أهله وعرفت بنو الحرث الخبر فجمعوا لدوس وغزوهم فنذروا بهم فقاتلوهم فتناصفوا وظفرت بنو الحرث بغلمة من دوس فقتلوهم ثم أن دوساً اجتمع منهم تسعة وسبعون رجلاً فقالوا من يكلمنا من يمانين حتى نغزو أهل ضماد فكان ضماد قد أتى عكاظ فأرادوا ان يخالفوه إلى أهله فمروا برجل من دوس وهو يتغنى :

فــإن الـــسلم زائـــدة نواهـــا و إن نـــوى المحـــارب لا تـــروب

فقالوا هذا لا يتبعكم ولا ينفعكم ان اتبعكم أما تسمعون غناءه في السلم؟

فاتوا حممه بن عمرو فقالوا أرسل إلينا بعض ولدك فقال وأنا إن شئتم وهو عاصب حاجبيه من الكبر فاخرج معـهم ولده جميعاً وخرج معهم وقال لهم تفرقوا فرقتين فإذا عرف بعضكم وجوه بعض فأغيروا وإياكم والغارة حتى تتفارقوا لا يقتل بعضكم بعضا ففعلوا فلم يلتفتوا حتى قتلوا ذلك الحي من آل الحرث وقتلوا ابناً لضماد. فلما قدم قطع أذني ناقته وذنبها وصرخ في آل الحرث فلم يزل يجمعهم سبع سنين ودوس تجتمع بإزائه وهم مع ذلك يتغاورون ويتطرف بعضهم بعضا وكان ضماد قد قال لابن أخ له يكنى أبا سفيان لما أراد ان يأتي عكاظ إن كنت تحرز أهلي والا أقمت عليهم فقال انا أحرز هم من مائه فان زادوا فلا وكانت تحت ضماد امرأة من دوس هي أخت مربان بن سعد الدوسي الشاعر فلما أغارت دوس على بني الحرث قصدها أخوها فلاذت به وضمت فخذها على ابنها من ضماد وقالت يا أخي اصرف عني القوم فاني حائض لا يكشفوني فنكز سية القوس في درعها وقال لست بحائض ولكن في درعك سخله بكذا من آل الحرث ثم اخرج الصبي فقتله وقال في ذلك :

الا هل أتى أم الحصين ولـو نـاءت — خلافتنـا في أهلـه ابـن مـسرح

و نظرة تـدعو بالفنـاء و طـلقها — ترائبـه يـنفحن مـن كـل منفح

و فر أبـو سـفيان لمـا بـدا لنـا — فـرار جبـان لامـه الـذل مقـرح

قال فلم يزالوا يتغاورون حتى كان يوم حضرة الوادي[1] فتحاشد الحيان ثم أتتهم بنو الحرث ونزلوا لقتالهم ووقف ضماد بن مسرح في رأس

---

(١) المقصود : حظوة الوادي.

الجبل وأتتهم دوس وأنزل خالد بن ذى السبله بناته هنداً وجندله وفطيمة ونظرة فبنين بيتا وجعلن يستقين الماء وتحضضن وكان الرجل إذا رجع فاراً أعطينه مكحله ومجمراً وقلن معنا فانزل. أي انك من النساء وجعلت هند بنت خالد تحرضهم وترتجز وتقول :

مـــن رجـــل ينـــازل الكتيبـــة فـــذلكم تزنـــي بـــه الحبيبـــة

فلما التقوا رمى رجل من دوس رجلاً من آل الحرث فقال خذها وانا أبو الزبن فقال ضماد وهو في راس الجبل وبنو الحرث بحضرة الوادي يا قوم زبنتم فارجعوا ثم رجل آخر من دوس خذها وانا أبو ذكر فقال ضماد ذهب القوم بذكرها فاقبلوا رأيي وانصرفوا فقال قد جبنت يا ضماد ثم التقوا فأبيدت بنو الحرث. انتهت الرواية الأولى[1]. ولي عند هذه الرواية عدة وقفات :

الوقفة الأولى :

ان اسم أبو ضماد هو مفرح بفاء بعد الميم وليس سيناً ذلك لان اسم مفرح هذا كثيراً في بيئة ثابت بن أوس من ذلك اليوم وحتى اليوم ومفرح بن خضران أحد مشايخ دوس وأكثرهم سمعة حسنة وشهرة في العصر الحاضر.

الوقفة الثانية :

تحذير ضماد من شخصين أحمقين يعرفهما من آل الحرث من عمل سوف يقومان به فيفسد على آل الحرث (بني يوس) رئاستهم. وقد حدث ما تنبأ به فقد قام شقيان من آل الحرث على شاكلة ثابت بن أوس (الشنفرى)

---

(١) كتاب الأغاني لا بي فرج الاصبهاني (م / ١٢ / صفحة ٥٢، ٥٣).

فاستدرجا شيخ دوس وكبيرهم الذي تنتهي إليه رئاستهم فقتلوه. وكان ضماد يتعيف : أي يتكهن. وهو ليس بكاهن إنما يتنبأ. وقد تصدق وقد لا تصدق. يقول صاحب لسان العرب في ترجمته لهذه الكلمة (العائف. المتكهن. وفي حديث ابن سيرين ان شريحا كان عائفا أراد انه كان صادق الحدس والظن كما يقال للذي يصيب بظنه وما هو بكاهن. وللبليغ في قوله ما هو الا بساحر)[1]. ونحن في تخاطبنا اليومي نسمع الناس يقولون عن الرجل أو المرأة عذب الحديث كثير التودد : فلان ساحر أو فلانة ساحرة. أي يستدر عطف الناس بحلو حديثه وهو ليس بساحر. وقد نقولها لأولادنا عندما يتوددون إلينا ويمعنون في ذلك للحصول على حاجة لولا هذا الأسلوب لما حصلوا عليها.

الوقفة الثالثة :

لم يترك دوس هذه الحادثة تمر بسلام بل أرسلوا أشخاص إلى سيد بني الحرث (بني يوس) وهو نازل في قنونا وقنونا هذه موضع في تهامة لا يتبع سراة غامد وزهران ولا تهامتها. بل يتبع قبيلة أخرى وكانت القبائل تحل على بعضها وقت الفاقة فترعى غنمها وإبلها حتى يرزق الله ديارهم بالمطر ثم يعودون إليها. فاستدرجوه بحيلة فقتلوه.

الوقفة الرابعة : الحرب سجال :

لما عرفت بنو الحرث (بني يوس) مقتل زعيمهم قرروا إعلان الحرب على دوس فغزوهم وبعد كر وفر تناصفوا الحرب فلم يفز أحد على الآخر لكن بنو الحرث استمروا في غيهم وعندما أتيحت لهم الفرصة ظفروا

---

(١) لسان العرب فعل "عيف".

بفتية من دوس ولم يخفروهم بل قتلوهم. وقد هز هذا الأمر دوسا فبدأت تجمع لهم وتعد لهم العدة لحرب تضع حداً لمعاناتهم[١].

الوقفة الخامسة : منطقة فكر وأدب :

عندما كانت دوس تحشد رجالها لمحاربة بني عمهم بني الحرث (بني يوس) كان ضماد قد ذهب إلى سوق عكاظ فأرادوا ان يستغلوا فرصة غيابه فيهاجموا أهله فمروا برجل من دوس وهو يتغنى بالسلم ويقول :

فـــان الـــسلم زائـــدة نواهـــا و ان نـــوى المحـــارب لا تـــروب

فهو يقول ان نواة السلم أي بذرته تنمو وتزيد وتؤتي ثمارها حلوة لذيذة. وان نوى. المحارب (طالب الشر) لا تنمو وان نمت أتت أكلها خبيثة. يقول لسان العرب في ترجمته لكلمة (روب): الرؤبه إصلاح الشأن والأمر)[٢]. وهذا القول يؤيد ما قاله الشيخ / حمد الجاسر رحمه الله تعالى بان السروات معقل الضاد. كما ان قوله هذا بالفصحى يؤيد قول العامة في أمثالهم (عصاة المتندّر مكسورة) أي ان طالب الشر المصر عليه دائماً مهزوما بإذن الله.

و لما سمعوا بقوله وهو يطالب بالسلم رفضوه لأنهم أشرار يطالبون بإثارة الفتنة. ثم أنهم أتوا حمه ابن عمرو فقالوا أرسل إلينا بعض أولادك. استعداداً للحرب فوافق بل استعد للذهاب معهم رغم كبر سنه لما شعر به من الظلم ورغبته في وضع حد لذلك فرسم لهم الخطة الحربية ونجح في ذلك.

---

(١) و من الاراحيز التي حفظناها عن الآباء و الأجداد قولهم عند حث الهمم على بلوغ أمر يصعب قولهم (ورده يا دوس على بني يوس) و ورده تعني الأقدام.

(٢) لسان العرب فعل "روب".

الوقفة السادسة :

يقول الراوي : وهم مع ذلك يتغاورون ويتطرف بعضهم بعضا. أي للتحرش. وكلمة يتطرف. تعني المناوشة من أطراف الديار والقرى دون الدخول في العمق وهو تعبير لا يزال مستخدماً في السروات حيث يقولون القرية الطارفة. أي التي تقع على الحدود أو البيت الطارف وهو الذي يقع في آخر القرية فلم يكن بعده شيء وهكذا.

الوقفة السابعة : قول ضماد لابن أخيه الذي كان يكنى أبا سفيان لما أراد ان يأتي عكاظ ان كنت تحرز أهلي وإلا أقمت عليهم فقال أنا أحرزهم من مائة فان زادوا فلا. هنا نجد ان كلمة تحرز" أي تحمي " فرد عليه ابن أخيه فقال أحرزهم من مائة. فكلمة يحرز بمعنى يحمي لازالت متداولة في بيئة ثابت بن أوس (الشنفرى) سراة زهران حتى اليوم. فهم يقولون عن الرجل الغير ثقة - فلان ما يحرز عشرة من الغنم - أي ما يحميها ولا يحفظها. كما يدلنا جواب ابن أخيه على قوة العزيمة والثقة بالنفس.

الوقفة الثامنة : شدة العداء :

فهذا ضماد اليوسي متزوج دوسية وهي أخت مربان بن سعد الدوسي فلما قامت الحرب بين زوجها وأبناء عمومتهم دوس سحب ابنها بعد ان حاولت تخفيه فقتله أمامها.

الوقفة التاسعة : يقول الراوي كانوا يتغاورون حتى كان يوم حضره الوادي فتحاشد الحيان وبدأت الحرب الفعلية. هنا نقف عند كلمة حضره. ففيها تصحيف أخل كثيراً بالموقع مما جعل الباحثون يتيهون ولم يعرفوا إذا كانت في السراة أو في تهامة ومن أولئك شيخنا العلامة / حمد

الجاسر حيث نقلها كما هي – حضره – حيث قال : تحت عنوان – من أخبار دوس في الجاهلية – يوم حضره وحضره بالكسر ثم السكون موضع بتهامة كان فيه يوم بين بني دوس بن عدثان وبني الحارث بن كعب وكان الغلب والظفر لدوس[1] نقل ذلك عن معجم البلدان. وكذلك الاستاذ / علي بن محمد بن معيض بن سدران في مؤلفه التبيان في تاريخ انساب زهران حيث نقلها كما هي[2].

و الصحيح هو حظوه بالواو. وهي قرية في واد خصيب من قرى دوس في السراة. تقع على الحدود مباشرة مع ديار يوس يقابلها ويحدها من الجنوب قرية أم عمرو وهي قرية يوسية ونستنتج من قول التغاور والتحاشد انها لما قرعت طبول الحرب بين الأشقاء تجمعت دوس في حظوه وتجمع بني يوس في أم عمرو وبعد ان اكتمل الحشد من كلا الجانبين هجم بعضهم على بعض أى أغار بعضهم على بعض فهزمت حينئذ بني يوس. ولا نعرف قرية أو موقع في السراة أو في تهامة مما يدخل في حدود قبيلتي زهران وغامد باسم حضره. قال الأستاذ/ علي بن صالح الزهراني الملقب (بالسلوك) في المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران : حضره بالكسر ثم السكون قال ياقوت : انه موضع بتهامة وكان فيه يوم بين دوس وعدثان وبني الحارث بن كعب وكان الغلب والظفر لدوس قلت لم استدل على معرفة مكان هذا الموضع بالضبط رغم البحث والاستقصاء بهذا الاسم. أما حضوة الحقيقية فقال عنها : حضوة

(١) في سراة غامد و زهران صفحة (٢٦٩).

(٢) انظر صفحة (١٥٩) الجزء الأول.

بكسر الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وفتح الواو فهاء تأنيث. قرية من قرى قبيلة دوس بني فهم. تقع جنوب وادي تربة زهران على مسافة ثلاثة أكيال عن آل نعمه في الجنوب الشرقي[١]. والصحيح انها تكتب بالظاء وليس الضاد. وقد شاهدنا لوحة مدرسة حظوه وقد كتبت من قبل وزارة التربية والتعليم بالظاء.

الوقفة العاشره : وفيها خمسة أمور :[٢]

١- للنساء في الحياة دور كبير سواء في السلم والحرب او بناء الحضارة الإنسانية فكما إنهن يشاركن في البناء يشاركن أيضا في الحروب يحفزن همم الرجال حتى يضاعفوا الجهد ويلحقن الهزيمة بالأعداء فها هن بنات خالد السبله : هند وجندلة وفطيمة ونظرة يعطين الفار من المعركة مجمراً ومكحلة ويقلن اقعد معنا وتدهن وتكحل فلست من الرجال أنت من النساء اقرب. وفي هذا تحقير له والقصد شحذ همته فيعود يقاتل.

٢- من بيت الشعر الذي كانت ترده هند بنت خالد وهي ترتجز وتقول :

مــن رجــل ينــازل الكتيبــة   فــذلكم تزنــي بــه الحبيبــة

نستدل ان الشعر لم يكن مقصوراً في تلك الأيام على الرجال فقط فقد كان هناك شاعرات يستخدمن شعرهن في السلم والحرب مما يدل على ان هذه البيئة كانت تزخر بالأدب والأدباء كما هو اليوم. انها موهبة متوارثة انتقلت من الأجداد إلى الأحفاد.

٣- عندما تقابلا الشقيقان في ساحة الحرب رمى أحد قبيلة دوس

---

(١) راجع المعجم المذكور صفحة (١٩٠).

(٢) راجع الشكل (١٨).

ابن عمه من بنو الحرث رمية صائبة فقال : خذها وانا أبو الزبن. عبارة تقال عندما يسدد شخص ضربة صائبة إلى خصمه فتصيبه وهي دليل على تمكنه من رمحه أو قوسه أو بندقيته. وهي عبارة لازالت حية في السنة أهل السراة إلى اليوم فإذا سددوا وأصابوا الهدف قالوا : خذها وأنا أبو فلان. ويسمي ولده. أو يقول خذها واشرب أي ذق مرارة الظلم والعدوان واشرب من الكأس المر الذي أسقيت خصمك منه.

٤- لما شعر ضماد بالهزيمة وسمع الدوسي يقول خذها وانا أبو الزبن نصح قومه فقال زبنتم فارجعوا فرمى دوسي آخر رميته فقال خذها وانا أبو ذكر فقال ضماد مكرراً النصيحة لقومه اقبلوا رأيي وانصرفوا لكنهم لم يقبلوا النصيحة وواصلوا حربهم وقالوا لناصحهم لقد جبنت يا ضماد. وهذا يدل على الكبرياء والتمادي في الخطأ مما سبب الهزيمة.

٥- قال الراوي ثم التقوا وأبيدت بنو الحرث. واسند هذا الأمر إلى رواية أبي عمرو واعتقد أنه يعني بكلمة الإبادة أي الهزيمة أما إذا كان يقصد القضاء عليم نهائياً فهذا قول غير صحيح لأن أبناء الحرث لازالوا يسكنون منطقتهم تناسلوا وتكاثروا حتى صاروا الآن اكبر فرع من فروع زهران وهم الغطاريف الذين ذكرهم أبو زكريا الازدى في كتابه تاريخ الموصل وسبق ذكره.

الرواية الثانية عن الكلبي نقتبس منها ما يلي :

لما أدرك عمرو بن حممه ابن عمرو[1] عرف ظلم وجور أبناء عمومتهم أبناء عامر بن يشكر الذي يقال له الغطريف ويقال لبنيه الغطاريف وكان

---

(١) أدرك : يعني بلغ سن الرشد.

لهم ديتان ولسائر قومه دية وكانت لهم على دوس أتاوه يأخذونها كل سنة قال لأبيه (ما هذا التطول الذي يتطول به أخواننا علينا فقال يا بني ان هذا شيء قد مضى عليه أوائلنا فأعرض عن ذكره فاعرض عن هذا الأمر حتى جاءه رجل من قومه يشكو من دخول احد الغطاريف بيته فجمع دوساً وقام فيهم يحرضهم وقال إلى كم تصبرون لهذا الذل هذه بنو الحرث تأتيكم الآن تقاتلكم فاصبروا تعيشوا كراماً أو تموتوا كراماً فاستجابوا له وأقبلت إليهم بنو الحرث فتنازلوا واقتتلوا فظفرت بهم دوس وقتلتهم كيف شاءت فقال رجل من دوس :

قد علمت صفراء حرشاء الذيل شـرابة المخـض تـرن للقتـل

ترخي فروعا مثل أذناب الخيـل ان بروقـاً دونهـا كالويـل

و دونهـا خرط القتـاد بالليـل

إلى ان قال : و قال الحرث بن الطفيل بن عمرو الدوسي في هذا اليوم عن أبي عمرو :

يـا دار مـن مـأوى بالـشهـب بنيت علي خطـب مـن الخطـب

إذ لا تـرى الا مقاتلـة و عجانـساً يـرفلن كالركـب

و مـدججا يـسعى بـشكـته محمَـرَّة عينـاه كالكلـب

و معاشـر صـدء الحديـد بهـم عبـق الهنـاء مخـاطم الجـرب

لما سمعـت نـزال قـد رعبـت أيقنـت انهمـو بنـو كعـب

كعب بـن عمـرو لا لكعـب بني العنقـاء و التبيـان في النـسب

فرميـت كـبش القـوم معتمـداً فمـضى وراشـوه بـذى كعـب

شـكوا بحقويـه القـداح كمـا ... نـاط المعـرض اقـدح القـضـب

فكـأن مهـري ظـل منغمـساً ... شـبا الأسـنة مغـرة الجـأب

يـا رب موضـوع رفعـت ... و مرفوع وضعت بمنزل اللـصب

و خليـل غانيـة هتكـت قرارهـا ... تحـت الـوعي بـشديدة العـضب

كانـت علـى حـب الحيـاة فقـد ... أحللتهـا في منـزل غـرب

جانيـك مـن يجـني عليـك وقـد ... تعِدي الـصحاح مبارك الجـرب

انتهى.......

و لي عند هذه الرواية وقفات :

الوقفة الأولى :

ان أول من تسمى بالغطريف هو عامر بن بكر بن يشكر ثم توارث أبناؤه هذا اللقب من بعده فأصبحوا يعرفون بالغطاريف. وقد ذكرهم الشيخ أبي زكريا يزيد ابن القاسم الازدى في كتابه تاريخ الموصل[1]. وقد انفرد الكلبي بذكر لقب أبناء عامر بن بكر بن يشكر ولم يذكره أبي عمرو الشيباني في روايته الأولى.

الوقفة الثانية :

اتفاق الروايتين على ان الرئاسة كانت لبني الحرث حيث كانت دوس تدفع وغيرها ديتين للقتيل من بني الحرث ويدفع بني الحرث إذا أدين احدهم منهم بقتل آخر من خارج بني الحرث دية واحدة.

---

(١) راجع صفحة (٧٨) من المؤلف المذكور.

الوقفة الثالثة :

ميول والد عمرو بن حممه إلى السلم ورغبته في عدم إثارة فتنة نائمة وذلك عندما اعترض ابنه على تصرفات بني الحرث ضدهم فأمره أبوه بالإعراض عن هذا الأمر فأعرض حتى جاء الدوسي يشكو من اليشكري.

الوقفة الرابعة : بالعزم والإصرار تتحقق الغايات :

العزم والإصرار على رفض الظلم من شيم الكرام ولذلك نجد ان عمرو بن حممه ابن عمرو أطاع والده عندما نهاه عن إثارة فتنة نائمة فاعرض إرضاء له لكن أخوتهم لما تمادوا فضل العيش كريماً أو الموت كريماً وبث في قومه هذا المبدأ فكان حليفهم النصر. وفي هذا درس لكل مظلوم فإن الصبر أمر مطلوب لكن على غير ذل ولا إهانه.

الوقفة الخامسة : تصحيح التصحيف :

في الأبيات الشعرية السابق ذكرها تصحيف كثير أخل بالمعنى كثيراً كما ان هناك عبارات لازال استخدامها في بيئة ثابت بن أوس سارياً منذ ذلك العهد حتى الآن. ومن ذلك ما يلي :

أورد صاحب الأغاني البيت الأول على النحو الآتي :

قد علمت صفراء حرشاء الذيل شــرابة المخــض تــرون للقتــل

هنا نجد التصحيف في الشطر الثاني من البيت حيث أورد كلمة - المخض - وصحتها - المحض - بالحاء وليس بالخاء وقال في الكلمة الثانية - ترون - بالتاء والنون. والصحيح - تروك - بالتاء والكاف وفي الكلمة الثالثة قال - للقتل - والصحيح هو - للقيل - بالياء وليس بالتاء وعلى

هذا تكون صحة البيت هي :

قد علمت صفراء حرشاء الذيل شرابة المحض تروك للقيل

وأورد البيت الثاني على النحو الآتي :

ترخي فروعا مثل أذناب الخيل ان بروقا دونها كالوبل

ففي هذا البيت نجد الشاعر وصف قومه بأنهم يربون شعورهم ويسدلونها على متونهم حتى تصبح من طولها كأنها أذناب الخيل. وهذه عادة كانت تمارس في بيئة ثابت بن أوس إلي عهد قريب. بالإضافة إلى تسميتها بالفروع يسمونها قرون. وتعتبر عندهم من علامات الرجولة. أما في الشطر الثاني فاننا نجد التصحيف في كلمتين الأولى قوله - بروقا - والصحيح - ثروقا - بالثاء وليس الباء. والثانية - كالوبل - والصحيح - كل الويل - ولهذا تكون صحة البيت على هذا النحو:

ترخي فروعا مثل أذناب الخيل ان ثروقا دونها كل الويل

و قد صحح هذه الأبيات علامة الجزيرة العربية الشيخ / حمد الجاسر في كتابه - في سراة غامد وزهران - عندما تحدث عن حرب دوس وبني الحرث حيث افرد لهذه القصة حديثاً خاصاً تحت عنوان (من أيام دوس في الجاهلية يوم ثروق) [1]. واقتبس هذه القصة من كتاب الأغاني من الصفحات التي اشرت إليها سابقاً.

أما وقفاتي عند أبيات الحرث بن الطفيل التي نسبها إليه أبو عمرو في هذا اليوم فتتمثل فيما يلي :

---

(١) راجع المصدر نفسه صفحتي (٢٧٢، ٢٧٣).

الوقفة الأولى : عند الشطر الثاني من البيت الثالث وهو قوله :

.... **محمَـــرَّة عينـــاه كالكلـــب**

هنا نجد الشاعر وصف ذلك المدجج بالسلاح لمقابلة الأعداء بالكلب محمر العينين. وهو وصف لا يزال حتى اليوم يوصف به الإنسان الذي اعتراه الغضب واشتد. وكما نعلم فان وصف الإنسان بالطير والحيوان بين العرب سائراً فيقولون : كالصقر، كالذئب، كالهامة، كالغراب، كالأسد، كالجمل، وكالحمامة للنساء الجميلات أو في السلم. والأمثلة كثيرة على ذلك. ولا شك ان هذا يدل على أصالة البيئة التي نشأ فيها هذا الشاعر الصعلوك وسلامة لغتها وجودة إنتاجها الأدبي. ولقد اقتفى أثره الشاعر العربي / علي بن الجهم عندما جاء من البادية ووقف أمام احد الخلفاء العباسيين فمدحه ببيت شعر قال فيه :

أنـت كالكلـب في حفظـك للـود و كـــالتيس في قـــراع الخطـــوب

فأراد صحب الخليفة ان يضربوه فقال اتركوه في المدينة ليتعلم من أهلها كيف يقرض الشعر ويخاطب الناس. وبعد فترة عاد إلى الخليفة فانشد رائعته التي يقول فيها :

عيون المها بـين الرصـافة والجـسر جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

الوقفة الثانية : عند البيت السابع حيث يقول :

فرميــت كــبش القــوم معتمــداً ....

هنا نلاحظ انه أورد كلمة - كبش - وأضاف إليها القوم مما يدل على انه يعني قائد القوم. وهذا المسمى لا يزال يستعمل في تخاطب أهل السراة من

ذلك اليوم حتى الآن فالكبش في تخاطبهم من الرجال هو قائد القوم ومن لديه منتهى رأيهم. وعائلة الكبش معروفة في ديار بني يوس.

الوقفة الثالثة : عند البيت الثامن حيث قال :

شـكوا بحقويـه القـداح كمـا ....

و الحقوي هو أسفل ظهر الإنسان مما يلي الآليتين. وآخر العمود الفقري وهو قول لا يزال حياً في السنة أهل السراة فإذا قلت حقويه عرف انك تقصد هذه المنطقة.

والوقفة الرابعة : عند البيت الأخير حيث قال :

جانيـك مـن يجـني عليـك وقـد تِعـدِي الـصحاح مبـارك الجـرب

في هذا البيت حكمتين الأولى قوله (جانيك من يجني عليك) أي ان خصمك الذي جنى عليك ولو كان مدفوعا من غيره. والثانية قوله: (تعدى الصحاح مبارك الجرب) أي ان الإبل إذا حلت بمراح كان فيه جمال مصابة بالجرب فإنها تصاب بالجرب. لوجود بقايا المرض في المراح. هذا المعنى الظاهر أما المعنى الخفي فانه يعني ان المرء إذا استعذب بيئة فيها فساد وقرر الإقامة فيها دون مغادرتها فانه حتما سينهج نهجهم وان لم يفعل اتهموه الناس بذلك فصار كأنه فاسداً مثلهم. وهذا القول يطابق تماماً القول الذي يتداولة العرب وهو - من عاشر القوم أربعين يوماً صار منهم - ولا شك ان بيئة ثابت بن أوس (الشنفرى) اشتهرت بكثرة الحكم والأمثال فيها ومثال ذلك قول مالك بن فهم في بيته المشهور :

اعلمــه الرمايــة كـــل يـــوم فلمــا اشــتد ســاعده رمــاني

و قول ثابت بن أوس الشنفرى عندما ألقي القبض عليه فقالوا أنشدنا

قال - إنما النشيد على المسرة -[١]. أما الأستاذ/ علي بن صالح الزهراني الملقب بالسلوك فقد أورد مجموعة من الحكم والأمثال في موسوعته (الموروثات الشعبية لغامد وزهران)[٢]. كما أورد الأستاذ/ علي بن محمد بن سدران الزهراني صاحب كتاب (التبيان في تاريخ انساب زهران) مجموعة منها في كتابه المذكور[٣].

الغطريف في الذاكرة الشعبية :

سبق ان قلت ان الشعوب لا تنسى تاريخها. فها هي الكاتبة العمانية/ بدرية بنت صالح بن حارث العبرية - بفتح العين وتسكين الباء - ترد عبر مجلة العربي على ما نشر في الاستطلاع المنشور عن قلب عمان الأخضر حوار الجبل والصحراء في العدد (٤٣٨) مايو ١٩٩٥م وتبدأ ملاحظاتها على ما جاء بالاستطلاع حول قلعة نزوى من حيث الارتفاع ومن بناها. اقتطف من ذلك الرد ما يهمني في بحثي هذا. فمما قالته الكاتبة : ((أما الذي بنى هذه القلعة فهو الإمام العادل سلطان بن سيف بن مالك اليعربي من قبيلة اليعاربة الازديه الذين حكموا في الفترة الممتدة من سنة (١٠٣٤ هـ إلى ١١٥٤ هـ) الموافقة (١٦٢٤م إلى ١٧٤١م) وقد قامت دولة اليعاربة بطرد الاستعمار البرتغالي من سواحل عمان والخليج العربي وشرقي إفريقيا كما أنها أنشأت قوة بحرية كبيرة كفلت امن الخليج وامن عمان وشاركت في السيطرة على المحيط الهندي في ذلك الوقت

(١) كتاب الأغاني لأبي فرج الاصبهاني (م / ٢١ / صفحة ٨٨).

(٢) راجع الكتاب الخامس من الموسوعة المذكورة.

(٣) راجع كتابه المذكور الباب الرابع عشر صفحة (٢٣١) و ما بعدها.

ووردت أيضا في هذا الاستطلاع في صفحة ١٤١ عبارة (مسفاة العبرانيين) إحدى بطون قبيلة (عبرى) الكبيرة وفي الواقع انه لا يوجد ثمة عبرانيين في هذه البلاد أو في أي بقعة من ارض عمان وإنما هي (مسفاة العبريين) بفتح العين وتسكين الباء وهذه البلدة جزء من ولاية حمراء العبريين والعبريون ينتسبون إلى عبرة بن زهران الازدى وليس لهذه القبيلة بطون وإنما هي بطن من بطون قبيلة الأزد اليمنية القحطانية ولمزيد من الإيضاح إليكم هاتين الفقرتين من كتاب (تبصره المعبرين في تاريخ العبريين) لمؤلفه الشيخ / إبراهيم بن سعيد العبري (لا يخفى على كل من له أدنى إلمام بعلم الأنساب ان هذه القبيلة هي من أعرق القبائل نسباً وأكرمها حسباً وانها من صميم قبائل الازد اليمنية القحطانية وسلسلة نسب جدها الهمام عبرة بن زهران على ما ذكره العلامة النسابة أبو الفوز محمد أمين البغدادي الشهير بالسويدي في كتابه (سبائك الذهب في انساب العرب) وغيره من علماء النسب كالشيخ العلامة الجليل أبي إبراهيم سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري في كتاب الأنساب الشهير بكتاب العوتبي هو: عبرة بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام بن شالخ بن ارفخشذ ابن سام ابن نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ بن اليارد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن ادم عليه السلام.
وقد كانت هذه القبيلة في اليمن مع أخواتها من القحطانية ولما وقع سيل

العرم وتفرقت قبائل اليمن من سبأ إلى سائر الآفاق انتقلت إلى عمان مع سائر قبائل الازد))[١]. انتهى..

هنا يتضح لنا من تعقيب الكاتبة ان تاريخ مالك بن فهم الدوسي الذي ترك ديار قومه دوس في زهران مغاضبا ورفضه الظلم الذي لحق بجاره كما أوردت سابقا واستقر في عمان كما جاء في قصيدته تلك قد دون في تلك الديار ذات التاريخ العريق فذكرتنا به تلك الكاتبة وأشارت إلى بعض المؤرخين هناك الذين حفظوا ذلك التاريخ والنسب العريق.

و بما ان الشعر سواء ما كان منه عامياً أو فصيحاً يعتبر مصدراً من مصادر اللغة والتاريخ وقد رأينا اتفاق المؤرخين الجليلين الشيخ / أبي زكريا محمد بن إياس بن قاسم الازدى والشيخ العلامة / حمد الجاسر رحمهما الله على ان بني الحارث (الغطريف) من أبناء مالك بن فهم الدوسي فان بين أيدينا ثلاث قصائد شعبية. الأولى ترحب بعامل بن إدريس وتشبه حملته لإخضاع العصاة بحملة المسلمين التي حدثت في فجر الإسلام لإخضاع الغطاريف المتمركزين في وادي السيسبان. الثانية تتحدث عن قبيلة بني كنانة اليوسية الزهرانية. والثالثة ذكر الشاعر فيها وادي السيسبان حيث قال ان إمام صنعاء حل في وادي السيسبان. وهو قول لم يذكره التاريخ حيث كان يسكنه الغطريف وقومه الذين توارثوا هذا الاسم وصاروا يعرفون بالغطاريف وقد كانت فيه رئاسة هولاء القوم منذ فجر التاريخ. ثم انتقلوا إلى موقع آخر باتجاه الجنوب أسموه المندق وقد

---

(١) مجلة العربي الكويتية العدد (٤٤٤) جمادى الآخرة عام ١٤١٦ هـ الموافق، نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩٩٥م صفحة (٧).

سئل الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله الزهراني صاحب معجم رواة الحديث الاماجد من علماء زهران وغامد عن سبب تسمية هذه المدينة بهذا الاسم فقال :

تقع على طريق القاصدين إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة للعمرة أو الحج أو البحث عن الرزق وكذلك المتجهين لزيارة المسجد النبوي الشريف والسلام على حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم فيدق أولئك العابرون الأبواب للبحث عن الطعام والمأوى خاصة أيام البرد القاسية فيسأل أهل المدينة عند سماع دق الأبواب.. فيقولون (من دق ؟) فإذا عرفوا من هو أووه وأطعموه. ونتيجة لكثرة السائلين سميت المدينة بذلك. وفي قول وتعليل آخر ان الحرب عندما قامت بين الأشقاء دوس وبني يوس وانتصرت فيها دوس سمي وادي السيسبان بالمندق يضم الميم أي المكان الذي دارت على أرضه رحى المعركة ووقع فيها الدق بين الطرفين المتحاربين ثم انتقلت إلى مكانها الحالي تحاشياً لحدوث معارك أخرى ورغم ذلك فقد احتفظت بمكانتها وبقيت فيها رئاسة قبيلة زهران منذ العهد الجاهلي وفي فجر الإسلام وحتى اليوم.

و قد روى الأستاذ/ قينان بن جمعان الزهراني الباحث القدير بعض أبيات هذه القصيدة في كتابه (قبيلة من زهران) الذي صدر حديثاً (١٤٢٦هـ) في سلسلة إصداراته تحت عنوان (من تاريخنا) حيث حدد موقع الوادي والأسباب التي جعلت السكان في وادي السيسبان ينتقلون إلى مقرهم الحالي مدينة المندق ومما قاله :

(وادي ضرك أو وادي السيسبان يقع شمالي المندق على بعد ثلاثة أكيال). ثم استمر في ذكر الأودية المحيطة به، إلى ان قال : وقد نسجت

حول هذا الوادي روايات وأقاويل كثيرة متوارثة وان كانت لا تستند إلى دليل موثق من كتاب أو وثيقة ولازالت موجودة الا ان الروايات المتواترة تقول ان هذا الوادي المسمى حالياً ضرك كان يسمى وادي السيسبان وكان عظيم الشأن وكانت بعض قرى المندق الموجودة آثارها حتى الوقت الحاضر كانت تلك القرى على جوانبه لوجوده بين جبلين من الغرب والشرق وقد ورد اسمه في عدة قصائد وان كانت غير متقدمة منها قصيدة للشاعر / محمد بن ثامره التي رحب فيها بأحد أعوان الإدريسي كما يمتدح الإدريسي وهي من القصائد الطويلة جداً وفيها كثير من المبالغات والتي يقول فيها:

مرحبا يا لمصطفى يـا عانـة ابـن إدريـس للجهـاد
مثلمـا جاهـد رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم
يوم لف المسلمين علـى الكفـر وتبـارزه الفرّاسـة
و الخيول الـدهم ظلـت ترسـب أيـديها في الـدمي
و الدم انجل والنهار اظلـم بهـم في حومـة الميـدان

إلى ان قال :

و اهترى سيدي محمد قال يا عيسى ابن مريم ضمرى
رح لوادي السيسبان اكشف لـنا كم فيه مـن كفـر
و أنقطف يسعى وحير قال فيه عـساكر الغطريف

و الحقيقة ان من يتتبع القصيدة يجد فيها كثير من المترابطات فهو يربط احد أعوان الإدريسي بأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ويشبه أعمال الإدريسي بجهاد الرسول صلى الله عليه وسلم وأمور كثيرة لا نريد

الخوض فيها.لكن لعل الشعراء يبينون معانيها أكثر ومعروف ان الغطريف الأكبر والغطريف الأصغر هم من زهران وهذا وادي السيسبان في زهران أيضا.

و القصيدة الثالثة وردت في الكتاب الثالث من الموروثات الشعبية في صفحة (١١٤) بين صالح ابن عقار من قبيلة بالخزمر قرية الحناديد وبين محمد أبي شمال من قرية النصباء من قبيلة بني كنانة والتي بدأها ابن عقار بقوله :

إمـــام صـــنعاء نـــزل في وادي السيـــسبان
خذلـــه مـــن العـــصبة ميئـــه حطهـــم في قنـــا

إلى آخر القصيدة. و رد عليه أبو شمال فقال :

حيـا الله يـا مـن يـسوس العلـم والـسيس بـان
أحـب محظاركـم يـا لربـع و أفيـق انـا[١].

لا شك ان كل باحث يبذل جهداً كبيراً ليظهر بحثه خالياً من الأخطاء التاريخية والإحصائية والإملائية وأن يأتي كاملاً مكملاً. لكن هذا أمر يصعب تحقيقه إما لاستقاء المعلومات من رواة مشافهة وهؤلاء يزيدون وينقصون كما ورد في هاتين القصيدتين وإما من مصادر مكتوبة لكنها تقادم عهدها وتعرضت للنقل عدة مرات وتعرضت للتصحيف وإعادة الطباعة مرات ومرات دون المطابقة مع الأصول. يقول علامة الجزيرة العربية الشيخ / حمد الجاسر عليه شآبيب رحمته في كلمته الاستدراكية في مؤلفه في سراة غامد وزهران وهو الخبير في النقل والتأليف :

(مهما بذل المرء من عناية وجهد وتأليف أي كتاب فقد تفوته أشياء كثيرة

---

(١) كتاب قبيلة من زهران لقينان بن جمعان الزهراني صفحة (١٧٥) وما بعدها.

وهكذا كان الشأن في هذا المؤلف الذي قد يكون من أوائل المؤلفات عن سراة غامد وزهران ولقد حرصت ان يبرز بخير صورة أستطيع إيراده بها)[١].

و في شأن كثرة التصحيفات في الكلمات وعدم الدقة في ذكر المواقع يقول رحمه الله تعالى :

(و تجدر الإشارة إلى أمرين هامين أحدهما أن المتقدمين قد يعرفون المواضع الواقعة جنوب الكعبة بأنها في اليمن فمواضع السراة كثيراً ما يقولون عنها انها من اليمن ولا يقصدون التحديد الجغرافي الدقيق لإقليم اليمن).

الثاني ان أسماء المواضع والأعلام وقع في كثير منها من التصحيف والتحريف ما أبهمها وأعجمها ولكنها بمقارنة ما يذكر معها تتضح للباحث خاصة إذا كان من أهل البلاد[٢].

و هذه صورة أخرى من صور معاناة الباحثين في الأنساب والسير يقول عنها الأستاذ/ حامد محمود بن محمد بن منصور ليمود في كتابه - منتقى النقول في سيرة أعظم رسول - تحت عنوان - نقد ما روى في عدد أولاد عبد المطلب - وهذا لون مما يدخل على الروايات من الخلط فيتناقلـــه الرواة دون نقد وتمحيص حتى يتقادم فلا يعرف مخرجه أو يتمحل له وهو كثير في روايات التاريخ الجاهلي ولا تخلو منه روايات التاريخ الإسلامي وقد انخدع به كثير من الباحثين المعاصرين ونحن ننبه على ما يعرض لنا منه في ثنايا البحث مما قد يصادم حقيقة تاريخيه[٣].

---

(١) كتابه في سراة غامد و زهران صفحة (٤٩٣).

(٢) المصدر نفسه صفحة (٤٦٨).

(٣) كتاب منتقى النقول في سيرة أعظم رسول لصاحبه / حامد محمود بن محمد بن منصور ليمود صفحة (٥٤) جاء على الغلاف الخارجي انه البحث الفائز بالجائزة الرابعة لمسابقة

من هذه التجارب والمعاناة أرى أنه لا غرابة إذا وجدنا بعض الأخطاء التي وردت فيما أشرت إليه سابقاً وما سيأتي لاحقاً ومنها ما حدث في هذه الأبيات التي رواها الباحث القدير الأستاذ/ قينان جمعان الزهراني نتيجة للنقل من شخص إلى شخص ولا اشك بأي حال من الأحوال في قدرة الكاتب وتحريه الدقة فيما يرويه فليس هذا الكتاب الأول الذي يؤلفه فله خبرة سابقة في ذلك كما أنه من الحريصين على تراث هذه البيئة ويحاول إخراجه كما هو لأنه تراث أصيل يدل على موروث قديم نقي صافي فله الشكر والتقدير وفيما يلي بعض الملاحظات.

١- نقله لبيت الشعر الذي يقول :

مرحبا يا لمصطفى يا عانة ابن إدريس للجهاد

هنا نجده أضاف لام التعريف إلى كلمة مصطفى وهذا خطأ في النقل والصحة هي : مرحبا يا مصطفى دون لام تعريف. لان ممثل ابن إدريس اسمه مصطفى والثاني ان المصطفى هو رسول الله محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. فلام التعريف هنا لا تضاف إلا إلى اسمه كما نعلم. وعلى هذا تكون صحة البيت :

مرحبا يا مصطفى يا عانة ابن إدريس للجهاد

و قد قال بهذا التصحيح الأستاذ/ علي بن صالح الزهراني في الكتاب الذي أشار إليه الأستاذ/ قينان وكما سمعناه من أكثر من راو من رواة القصص الشعبية وشعرها.

السيرة النبوية التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي و هو كتاب جيد و جدير بالقراءة.

٢- جاء في البيت الثاني قوله :

مثلما جاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

هنا نلاحظ ان المؤلف أورد كلمة جاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رويت له وهو خطأ حيث يشبه الراوي جهاد مصطفى رسول ابن إدريس إلى شرذمة قليلة بجهاد رسول الله العظيم الذي نشر الدين وهدى البشرية بعد هداية الله إلى الدين الإسلامي الحنيف. وهذا خطأ في النقل حيث أن الشاعر لم يقصد ذلك بل قصد مدح ابن إدريس لأنهم يدّعون أنهم ينتسبون إلى بيت آل الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا فان صحة البيت هي:

مثلما جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم

و قد أورد الأستاذ/ علي بن صالح السلوك الزهراني هذا البيت بهذه الصيغة وقد سمعناه هكذا من أكثر من راو من محبي التراث.

٣- ثم أورد الأبيات الثلاثة بعدها وهي :

يوم لف المسلمين على الكفـر وتبارز الفرّاسـة[(١)]

و الخيول الدهم ظلت ترسب أيديها في الدمي[(٢)]

و الدم انجل والنهار اظلم بهم في حومة الميدان[(٣)]

---

(١) الفَرّاسه : بفتح الفاء مع تشديد الأخير. أي الفرسان .

(٢) ترسب : أي تغوص. و أهل السراة هنا يتخاطبون بهذه الكلمة بمعنى نزل الشيء إلى أسفل مثلما تضع الحب في إناء به ماء فان الحب ينزل إلى الأسفل.و استخدامهم لها صحيح قال لسان العرب (الرسوب الذهاب في الماء سفلاً).

(٣) الدم انجل : أي سال بغزاره. و كلمة انجل : مشتقة عندهم من النجل و حو حبل الماء الذي يغذي الآبار و الكظايم قال لسان العرب (النجل الماء السائل) إلى ان قال : استنجل الموضع أي كثر به النجل و هو الماء يظهر من الأرض. انظر فعل "نجل".

هنا نلاحظ اختلافاً في نص الأبيات وتقديم وتأخير عما ذكره الأستاذ/ علي بن صالح في موسوعته كما سيأتي لاحقاً ويعزى هذا إلى المصدر الذي استقى منه كل منهما هذه المعلومة.

ثم أورد الأبيات الثلاثة التي بعدها حيث قال :

و اهترى سيدي محمد قال يا عيسى ابن مريم ضمرى(١)

رح لوادي السيسبان اكشف لـنا كم فيه من كفـر(٢)

و أنقطف يسعى وحيِّر قال فيه عـساكر الغطريف(٣)

هنا نجد أيضا اختلافا في نصوص المفردات ثم تقديم وتأخير بين ما رواه الباحثين. خاصة البيت الأول فكلا هما نقلا البيت خطأ. والعلة في ذلك من الرواة وليس الباحثين.فقد رواه الاستاذ / قينان هكذا :

اهترى سيدي محمد قال يا عيسى ابن مريم ضمرى

و رواه الاستاذ/ علي بن صالح السلوك في موسوعته على النحو التالي:

اتصل ماي الغويري قال يا عمرو ابن مي الضمرى

---

(١) اهترى : أي صاح بقوة لأمر عظيم. حيث يقولون في تخاطبهم في السراة : اهترى المزارع على الراعي. أي صاح فيه لمنع غنمه من النزول في المزرعة و هكذا. و استخدامها صحيح قال لسان العرب (ابن الأعرابي هاراه إذا طانزة وراهاه إذا حامقه) فعل "هرا".

(٢) وصف الشاعر أهل وادي السيسبان بالكفر و يبدو ان المعركة كانت في فجر الإسلام و في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم و خليفته علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

(٣) أنقطف : أي انطلق مسرعا. و هذه من الكلمات الحية في السنة أهل السراة إلى اليوم بهذا المعنى و استخدامهم لها صحيحاً قال لسان العرب في فعل قطف : القطاف. تقارب الخطو في سرعة من القطف. وهو القطع. انظر فعل "قطف".

والصحيح هو :

اتصل أمية الغوير وقال يا عمرو ابن أَمَيَّة الضمرى ويبدو ان أَمَيَّة هذا قائد من قواد المسلمين حيث يتضح من أبيات القصيدة أن معركة حدثت بين جيوش المسلمين وجيش الغطريف في وادي السيسبان هذا من أجل دفعهم للإسلام وقد أمر أحد قواده ويدعى عمرو بن أَمَيَّة الضمرى بالتوجه إلى قوم الغطريف لدعوتهم إلى الدخول في الإسلام وإلا محاربتهم وقد حدثت المعركة وانتصر المسلمون. يقول صاحب لسان العرب (بنو ضمرة من كنانه رهط عمرو بن أَمَيَّة الضمرى).

و حتى أوفر على القارئ مشقة البحث عنها فسوف اوردها هنا كما رواها الاستاذ / علي بن صالح الزهراني في موسوعته. حيث ابتدأ ذلك بنبذة عن سبب قول هذه القصيدة. ثم تبعها بالنص الذي حصلت عليه من راو آخر للتراث. ولاوضح للقارئ الكريم حقيقة اختلاف الرواة في النقل. وهو شائع مثلما ذكره لنا سابقا الشيخ / حمد الجاسر والاستاذ / محمود بن محمد بن ليمود.

يقول عن سبب القصيدة :

بعد عودة وفد زهران برئاسة بن رقوش ووفد غامد برئاسة عبد العزيز الغامدي أرسل الإدريسي قائده مصطفى النعمي يجس النبض وكان ذلك في العام ١٣٢٨هـ وفي قرية الظفير التي أقيم فيها حفل استقبال الضيف قال الشاعر : محمد بن غرم الله الزهراني " **الملقب بابن ثامره** " :

مرحبا يا مصطفى يا عانة ابن إدريس للجهاد [١]
مثلما جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم لفوا المسلمين وجاهدوا بالمال والأرواح
بالدروع وبالسيوف وبالدرق والخيل والقنا [٢]
و اتصل ماي الغويري قال يا عمرو ابن مي الضمرى
رح لوادي السيسبان المح لنا وش فيه من كفر [٣]
و انطلق يسعى وعود قال فيه عساكر الغطريف
و اهترى سيدي محمد قال يا ربا علي غثنا به
و انتبه من بطن مكة قال يا لبيك يا نبي
و اقتلد بالسيف واقفا غاضب يبغي المقاتلة [٤]
و ندب شامان وأطلق رأسن الميمون فوق الرتبة [٥]
وبرز برزه بغت تهتز منها الأرض والسماء [٦]
و الدم الجل والنهار اظلم بهم في حومة الميدان
و جواد الخيل ظلت ترسب أيديها في الدمي

---

(١) عانة ابن إدريس : معاونه أو رسوله.
(٢) الدَّرق : الترس الذي يقي المحارب من سلاح العدو.
(٣) المح : انظر.
(٤) اقتلد : تقلد السيف.
(٥) ندب : أي هز. شامان سيف علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.
(٦) برز : برزه : أي قفز قفزة قوية .
(٧) تقلع مسامعه: يعني هزمه هزيمة منكرة. المسامع: هي الأذان و استخدامها كناية عن الهزيمة.

و نــدر كنــدار يلمــح عنــه وتقــلع مــسامعه[٧]
واهلك الغطريف والباقي اسلموا ظـلا لهم هِلاَّلـه[١]
و الجبــال تزلزلــت واهتــزت الثقلــين مــن علــي

و قد أورد القصيدة وأسباب قولها في موسوعته الموروثات الشعبية لغامد وزهران الكتاب الثاني صفحة (٢٥).

أما الصيغة الثانية لهذه القصيدة التي رواها لي أحد هواة التراث الشعبي تقول :

مرحـبا يـا مـصطفى يـا عانـة ابـن إدريـس للجهـاد
مثلمـا جـدك رسـول الله صــلى الله عليـه وسـلم
يــوم لــف المــسلمين وجاهــدوا بالمـال و الأرواح
و اتصل ماي الغوير وقال يا عمر ابن ميه الـضمرى
رح لوادي الســيسبان المح لنـا كـم فيـه مـن كفـر
و انطلق يسعى وعــود قـال فيـه عـساكر الغطريـف
ثم لـف المسلمين علــى الكفـر وتبـارز الفرَّاسـه
بالــسيوف وبالــدروع وبالــدرق والخيــل والقنـا
و الدم انجل والنهار اظلـم بهـم في حــومة الميـدان
و جـواد الخيـل ظلــت ترسـب أيـديها في الـدمي
و ادعى سيدي محمــد قـال يـا ربـي علـي غثنـا بـه
و انتبــه مــن بطــن مكـة قـال يـا لبيـك يـا نـبي

(١) هِلاَّله : اسلموا بعد الهزيمة و نطقوا بقول لا اله الا الله.

و اقتلـد بالـسيف واقبـل غاضـب يبغـى المقاتلـة
و أنـدر يلمـح عـن الكنـدار وتقلـع مـسامعه
و ندب شامان وأطلق رأسـن الميمـون فـوق الرتبـة
و ابـرز بـرزه بغـت تهتـز منهـا الأرض والـسماء
و اهلك الغطريف والتالي اسـلموا ظـلا لهـم هِلاَّلـه
و الجبـال تزلزلـت واهتـزت الـثقلين مـن علـي

هنا نلاحظ تقديم وتأخير في أبيات القصيدة وإضافات لم تكن في النصين السابقين بالإضافة إلى بيت لم يذكره الاستاذ / علي بن صالح السلوك في النص الذي أورده وهو قول الشاعر :

ثم لف المسلمين على الكفر وتبارز الفراسه وقد أوردت هذه النصوص لقصيدة واحدة تظراُ لاختلافها من راو إلى آخر للدلالة على أن ما أشار إليه الشيخ حمد رحمه الله والأستاذ حامد ليمود في كثرة التصحيف في التاريخ الجاهلي والإسلامي أيضا صحيحاً والله اعلم بالصواب.

إن هذه القصيدة مهما اختلفت صيغ نقلها من راوٍ إلى آخر إلا أنها تتحدث عن فترة قديمة ذات صبغة من تاريخ بيئة ثابت بن أوس (الشنفرى) وقد ورد فيها اسم الصحابي عمرو بن أمية الضمري. رسول رسول الله صلى الله عيه وسلم إلى الحبشة ليخطب له أم المؤمنين حبيبه.

جاء في الحديث : ((وفي سنة سبع من الهجرة تزوج صلوات الله وسلامه عليه أم المؤمنين حبيبة بنت أبي سفيان واسمها " رمله " وكانت تحت عبيد الله بن جحش وهاجر بها إلى أرض الحبشه الهجرة الثانية ثم تنصر وارتد

عن الإسلام ومات هناك وثبتت أم حبيبه على الإسلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ليخطبها عليه فزوجها إياه. أي تولى عقدها) [١]

أستنتج من هذه القصيدة وإرسال عمرو بن أمية الضمري إلى الحبشه إنه كان من الثقات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما أنه كلف بمهمة إخضاع الغطاريف في وادي السيسبان إما من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم. أو من قبل أحد الخلفاء الراشدين. والله أعلم بالصواب.

و القصيدة التاريخية الثانية للشاعر نفسه / محمد بن غرم الله الثوابي الزهراني الملقب بابن ثامره يتحدث فيها عن الأجداد الأوائل الذين أسسوا سوق ربوع الصفح الذي لا يبعد كثيراً عن بني سلامان لكنه يقع في ديار بني كنانة اليوسية وقد أورد القصيدة نصاً الأستاذ/ علي بن صالح السلوك في موسوعته السالف ذكرها في الكتاب الثاني منها صفحة (٣٨) حيث يقول الشاعر:

حيا الله سوق عقيد طالب الشر فيه ينكره [٢]
ما بناه الا فلاح الجد الأول وثّقوا حدانه [٣]
اسود المقداد وسميدع وعامر يوم طالبه
كم درجنا يا ربوع الصفح ما رينا لك أنت زي [٤]

---

(١) كتاب منتهى النقول في سيرة أعظم رسول لمؤلفه حامد محمود ليمود صفحة (٤٥٥).

(٢) سوق عقيد : أي محمي و مصان من العبث فيه.

(٣) و ثّقوا حُدانه : أي صانوا حدوده و حموها. و حدانه : جمع حد و هو الفاصل بين شيئين حتى لا يطغى احدهما على الأخر.

(٤) مالك أنت زي : يمدح الشاعر السوق و يقول أنت مالك مثيل.

و الشهود كنانة بن عـامر وحـارث عالـسمة والذهلـة[١]
و كتـــب شــدته بــو عمــران والمــولى حجيبهــا[٢]
شدة تحكــم كمــا حكـم الـدول وجنـود حتمـات[٣]
و الله يا في شـــدته ما نتبـع الخطـلان والـصلفاني[٤]
كـــل بيّـــاع وشـــرّايٍّ يقـــول مـــوافقي هنـــا[٥]
دونـــه الله ثـــم مرتـــين رصاصـــة ينبعـــا فيـــه[٦]

---

(١) عالسمة و الذهلة : أي حدوده مرسومة و معروفة حتي لا يذهل الناس عنها و ينسون ذلك وعند الاعتداء يحتجون بعدم معرفة الحدود و هذا القول يستمد قوله من قوله تعالى : {..... وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَان لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَان مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء ان تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى..... } [سورة البقرة الآية (٢٨٢)]. فهو يقول ان من الشهود على وضع قوانين و أنظمة السوق كنانة بن عامر. الجد الأول لقبيلة بني كنانة في زهران.

(٢) الشّده : نظام القبيلة الصارم. و شدة هذا السوق كتبها أبو عمران و الشاهد عليها والحافظ الله. وقوله و الله حجيبها : أي يحفظها كلمة مستقاة من نمط الكتابة القديم عندهم في حججهم حيث يقولون في نهاية كل وثيقة : شهد الله ثم من خلقه فلان و فلان.

(٣) حَتَّمات : بفتح الحاء والتاء مع تشديد الأخير و هو يعني حكم الشدة الصارم. حيث وصفها بأنها من قوتها تشبه حكم الدول التي لديها جنود يقومون بتنفيذ أحكامها و تطبيق بنودها. و حتمات : كلمة لا تزال حية في السنة أهل السراة حيث يقولون فلان (تحَتَّم في فلان) بفتح الحاء و التاء و تشديد الأخير. أي املاء عليه شروطه. وباع فلان سلعته بحتم رأسه : أي بالسعر الذي قرره و لم يحد عنه. و استخدامهم لهذه الكلمة صحيحاً. قال لسان العرب (حتمت عليه الشيء) أوجبته و في حديث الوتر : الوتر ليس بحتم كصلاة المكتوبة. إلى ان قال : الحتم اللازم الواجب الذي لابد منه. انظر فعل "حتم".

(٤) الصلفاني : العنيد المتغطرس.

(٥) موافقي : أي في هذا السوق كل ما يوافق رغبتي.

(٦) المرتين : سلاح ايطالي يعتقد ان أصل الاسم مرتيز بلغة البلد الذي صنعه.

هنا نجد الشاعر تحدث عن الأجداد الأوائل في منطقة ربوع الصفح وهذا سوق معروف يتبع قبيلة بني يوس. حيث ذكر الجد الأول فلاح، واسود القداد، وسميدع وعامر (في رواية أخرى وسويدا بن عامر) وهو أقرب إلى الصحة لانتشار الأسم هذا في المنطقة، ثم قال إن الشهود كنانة بن عامر. وهذا الأسم ذكره الأستاذ / قينان بن جمعان الزهراني في مؤلفه الذي خصصه للتعريف بقبيلته بني كنانة حيث قال : إن هذه القبيلة تنتسب إلى جدهم الأول كنانة بن عامر[1]. وقد ذكر رحلة هذا الرجل الغرامية إلى صنعاء والظفر بمن حب بعد مشقة كبيرة وهي قصة شيقة فيها مغامرة تدل على ما يفعله العشق بالعاشقين.

والقصيدة الثالثة : ورد فيها ذكر وادي السيسبان والتي ذكرنا جزءاً منها للشاعر الكبير / صالح ابن عقار الزهراني ثم جزء من رد أبو شمال على ما قاله الشاعر صالح رواية عن الباحث الاستاذ / قينان بن جمعان الزهراني في كتابه السابق ذكره. والذي ردنا إلى الموروثات الشعبية لغامد وزهران تأليف الاستاذ / علي بن صالح السلوك التي سبق ذكرها. وقال انها في الكتاب الثالث صفحة (١٢٤) والصحيح انها في الصفحة (١١٤) في الكتاب نفسه. ولما لهاتين القصيدتين البدع والرد من معان جميلة فقد رأيت إيرادهما هنا كما رواهما الاستاذ / علي بن صالح السلوك. ففيهما صياغة عذبة فكاهية ومسلية وترمز إلى شيء في نفس الشاعر الأول وفهمه الشاعر الثاني واتخذ الأول من وادي السيسبان التاريخي العظيم مدخلاً لحدث يماثله في مكانته التاريخية. وقد مات الشاعران

---

(١) قبيلة من زهران ص/ ٥٣.

فرحمهما الله وتجاوز عنا وعنهما.

يقول الشاعر صالح بن عقار:

إمـام صـنعا نـزل في وادي السيـسبان[١]
خَذّ لـه مـن العصبة مِيَّـه حطهـم في قنـا[٢]
مـا ادري عَمَـى رشـد والا لا يكـن بـه جنـون
ان كـان مجنـون فـأعطوني الحبـل وأكتفـه

فرد عليه أبو شمال بقوله:

حيا الله يا من يسوس العلم والسيس بـان[٣]
أحـب محـضاركم يـاالربع وأفيـق انـا[٤]
لجـل ان لـك ينـبه الخـاطر وينْبَهجْ نـون[٥]
إمـا أنـت يـا لـلاش قِـصّر حجتـك وأكتفـه[٦]

رؤيا محايدة:

قليل أولئك الذين يتحملون مشاق السفر والتنقل والبذل بسخاء للتنقيب عن تراث الآباء والأجداد وما خلفته الأمم السابقة من حضارة تستحق بعثها لتطلع عليها الأجيال الحاضرة ولتكون حافزاً لهم للمحافظة عليها

---

(١) وادي السيسبان هو الوادي الذي سبق ذكره و الذي حدثت فيه المعركة بين جنود الغطريف و جنود المسلمين كما ورد.

(٢) ميه: يعنى مائة : حطهم في قنا : أي اقتناهم جنود له.

(٣) السيس : السياسة بان ظهر و المعنى انها بانت السياسة.

(٤) أفيق انا : انتبه وافرح لحضوركم.

(٥) ينبهج نون : أي تفرح العين برؤيتك وتبتهج.

(٦) أكتفه : أي اكتف بما حصلت عليه و عد إلى رشدك.

والإضافة عليها مما تنتجه أفكارهم لتكون حلقة في سلسلة الحضارة الإنسانية ثم تسليمها كإرث للأجيال القادمة وهكذا ولا شك ان الشيخ/ حمد الجاسر رحمه الله الذي نال شرف لقب علامة الجزيرة العربية واحداً من أولئك القلائل الذين جابوا أرجاء الجزيرة العربية باحثاً ومنقباً عن تراث دفنه الزمن وتآمر عليه الجهل والفقر فكاد أن ينسى. لكن همم الرجال الأفذاذ تصنع المعجزات.

و لقد تكبد مشقة السفر إلى هذه المنطقة التي تسمى بلاد غامد وزهران وتعرف هذه الأيام في التقسيم الإداري في المملكة العربية السعودية بمنطقة الباحة في زمن كانت تفتقر فيه إلى أدنى وسائل الراحة والتنقل والنور فلا خطوط إسفلتية ولا إنارة كهربائية ولا شقق سكنية ولا أطعمة من أطعمة هذا الزمن الشهية فنتج عن زيارته الأولى كتابه الأول عام ١٣٩١هـ الموافق ١٩٧١م واحتوى على معلومات قيمة وبذلك نال شرف السبق في بحث تراث المنطقة من خارج أبنائها وفتح عيون أبنائها على الكنوز التراثية فيها. ونتيجة لطموحاته وولعة بالتراث الذي لا يقف دونه عائق فقد عاود الزيارة إليها بعد ثمانية عشر عاماً بدعوة من إمارة منطقة الباحة.

لقد كانت نظرته نظرة باحث محايد لا يهمه أحداً سوى الحقيقة. لهذا دعنا عزيزي القارئ نلقي لمحة سريعة على ما قاله في زيارته الثانية في محاضرته التي ألقاها على مسرح إدارة التربية والتعليم التي عنونها بقوله :

لمحات وانطباعات عن مشاهداتي في السروات

محاضرة ألقيت في يوم الأربعاء ٢١/ ١١ / ١٤٠٨هـ

في مدينة الباحة ضمن البرنامج الثقافي

الذي نظمته إمارة الباحة

حيث قال :

(خير ما استفتح به هذا الحديث حمد الله مستحق الحمد والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وعلى كل سائر على نهجه.

ثم أتوجه بالشكر الجم لهذا الأمير الشهم. حضرة صاحب السمو الملكي الأمير/ محمد بن سعود بن عبد العزيز هذا الفرع الباسق من فروع هذه الشجرة المباركة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء فقد هيأ لي فرصة طيبة أستجلي خلالها ملامح ذكريات رحلة مضى عليها ثمانية عشر عاماً. سعدت فيها بالاستمتاع بمشاهدة هذه الربوع الطيبة من وطننا الحبيب بما استفدته عنها من علم ومعرفة، باللقاء بإخوة أحبة غمرني من فضلهم وشملني من حسن استقبالهم وكرم ضيافتهم ما لا يستغرب منهم. و ها هي المناسبة تتاح لي مرة أخرى لتجديد المعرفة ولأضيف بهذا اللقاء المبارك بهولاء الأخوة الأحبة الجديد المفيد إلى ما كان لهم فضل تفصيله عن مشاهداتي في كتابي - في سراة غامد وزهران - الذي نشر عام ١٣٩١هـ اثر رحلة لم يحل قصر زمانها عن عمق آثرها، كان لأمير هذه البلاد في ذلك العهد / سعود بن عبد الرحمن السديري طيب الله ذكره بما أضفاه عليَّ من فضل وما بذله من عون طيلة أيام الرحلة مما يستدعي الذكر ويستوجب جزيل الشكر. و ما أسعدني أيها الأخوة الآن بالتحدث إليكم حديث المستزيد من المعرفة، المشارك في البحث، لإثارة ما في نفوسكم من رغبات عن إيضاح جوانب ذات صلة بتاريخكم أنتم بإدراكها ومعرفتها أعمق مني صلة وأقوى إدراكاً وأوسع علماً ومن هنا فلن أستغل الوقت في التحدث إليكم ولن يستغرق حديثي من الزمن ما

يحدث إملالاً أوسأ ما لكنني سأصغي للاستماع لأحاديثكم إصغاء ارتياح واستزاده واستفادة). ثم استطرد بقول العالم الوقور المتمكن والواثق فيما يقول : ولئن كان الطعام يستطاب بتقديم بعض التوابل (المقبلات) التي تيسر سهولة هضمه فان من ذكريات تجوالي بين ربوعكم الكريمة ما يضفي على جفاف الحديث نعومة ورقة :

١- لم تزد أيام الرحلة عن أيام الأسبوع وكان الدليل سديرياً (من إقليم سدير) تميمياً ولا عيب فيه سوى عيب ممدوحي النابغة الذبياني :

و لا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب

و الدليل الكريم يهوى أن يكون آمراً لا مأموراً وهذه من صفات الرجولة ويرغب انتهاء الرحلة على أسرع وجه وكنت أود ان أختلط بمن ألتقي بهم من سكان القرى وأن أطيل الجلوس بينهم لاستمع لأحاديثهم وأسجل بعض لهجاتهم وأدرك مقدار ما يلمون به من ثقافة وما يتناقلونه من أشعار وأخبار وذلك مما فاتني في تلك الرحلة ولعل حرص التميمي الدليل على راحتي دفعه إلى الحيلولة دون الالتقاء بأولئك.

٢- من أجمل البقاع التي رأيتها فرعة دوس وهي أعلى قمة في سراة زهران، وهناك بلدة دوس الشهيرة (ثروق) وعلى مقربة منها موقع معبودهم قبل الإسلام (ذي الخلصه) الذي ورد فيه الحديث (لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصه) وفي تلك الفرعة تقع قرية (رمس) وعلى مقربة منها مكان اعتاد أهل القرية الجلوس فيه وممارسة بعض ما يزجون به أوقات الفراغ من ممارسة بعض ألعابهم ويتوسط المكان صخرة كبيرة رسم فوقها خطوط متقاطعة للعبة

المعروفة في نجد باسم (أم الخطوط). و تعرف عندهم باسم (الخط) وهذا من أسمائها في اللغة العربية كما تعرف أيضا باسم (القرف) بكسر القاف وإسكان الراء. (السُدَّر) بضم السين وفتح الدال المشددة وقد رأيت أمير تلك الجهة الشيخ / عبد ربه بن فرحه من بني علي من دوس وبعض جماعته يلعبونها وانا ممن يجيد لعبتها فطلبت من الشيخ أن نتبارى بلعبها وكأنه لم يأخذ كلامي مأخذ الجد احتراماً أو احتشاماً. ولقد كان أبو هريرة الصحابي الجليل الدوسي وهو من أهل هذه البلاد يمر على لاعبيها فلا ينكر عليهم.

٣- ومن بين قرى أعلى وادي أبيده (بيده) قرية رغدان وسوقها يقام يوم الأحد وهو اليوم الذي مررنا فيه بهذه القرية فرأيت من فواكهها الموز فأعجبت بمنظره إذ الإصبع منه بحجم الباذنجانة المتوسطة الحجم وكان ذكي الرائحة مما دفعني إلى حمل عدد من الأصابع لكن موظف الجمرك في بيروت حرمني من إتحاف أبنائي بها.

٤- في وادي بطحان من فروع وادي أبيده يجود الرمان بحيث يضاهي رمان ليه ويقول البطحاويون : انه يفوقه ومع صغر بساتين هذا الوادي الا انها نظره مما يدل على جودة التربة.

٥- حين شاهد أخي ورفيقي في الرحلة الاستاذ / محمد سعيد كمال قريتي الطرفين المطلتين على وادي العلي لبني ضبيان من غامد أعجب بهما أيما إعجاب وطلب من سائق السيارة المكوث لحظة لاستجلاء منظرهما قائلاً : ان القريتين شبيهتان بقرية كيفون الواقعة بسوق الغرب في لبنان.

٦- اتجهنا من قرية حواله وبعد مسيرة ميلين سرنا نحو قرية الحمران من

غامد وقد قام أهل القرية بإصلاح الطريق رصفاً وغرساً بالأشجار على جانبيه حتى اتصل ببساتين قريتهم الجميلة التي بدت نظيفة مضاءة بالكهرباء. وبيوتها حديثة البناء واقعة على ضفاف واد صغير وعلى مقربة منها يشاهد المرء تهامة تحته في انخفاض.

٧- في بلاد بني فهم بن غنم بن دوس واد معروف هو وادي برحرح منه عقبة تفضي إلى قرية البعره لآل الطفيل، قاسينا الاشدين وذقنا الأمرين في اجتيازهما في الذهاب والإياب ولم نمر أثناء تجوالنا في هذه البلاد عقبة أشد منها ولكن هَوَّن ما قاسينا استجلاء ذكريات عزيزة من تاريخنا المجيد فقد مر الصحابي الجليل أبو هريرة الدوسي بهذه العقبة وقاسى منها أشد مما قاسينا وتمثل وهو يزحف في ظلمة الليل :

يــا طولهــا مــن ليلــة وعنائهــا على أنها مـن بلـدة الكفـر نجَّـتِ

و ذلك في طريق هجرته إلى المدينة حين دعاه ابن عمه الطفيل بن عمرو إلى الإسلام.

و بعد فلقد كادت جوانب الموضوع وأطرافه تستأثر بالوقت وتثير الملل فلنقتصر على وقفتين في لب الموضوع :

الوقفة الأولى : صراحة انساب سكان السروات :

لعل أبرز ظاهرة تتضح لمن يعنى بدراسة أحوال سكان هذه السروات هو صراحة نسبهم. ثم استمر في شرح أسباب ذلك وكان من أهم الأسباب في نظرة حصانة بلادهم وعدم اختلاطهم بغيرهم...... الخ.

ثم عَرَّف السراة فقال السراة لغة : هي أعلى كل شيء وظهره ووسطه وسُراة القوم خيارهم ثم استدل ببيت الشاعر العربي الذي يقول:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم و لا سـراة إذا جهـالهم سـادوا
ثم ذكر قبائل السراة جميعها أو اغلبها بالاسم. ولم يقتصر على بلاد غامد وزهران.

الوقفة الثانية :صفاء لغة أهل السراة :

فقد قال في هذه الوقفة (عرف سكان السروات منذ القدم بكونهم من أفصح العرب فقال أبو عمرو بن العلاء الإمام اللغوي المعروف (٧٠ - ١٥٤هـ) أفصح الناس أهل السروات وهن ثلاث :
(الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن أولها لهذيل وهي تلي السهل من تهامة ثم بجليه وهي السراة الوسطى وقد شركتهم ثقيف في ناحية فيها ثم سراة الازد (أزد شنوءة) وهم بنو كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الازد. انتهى ويقصد ببني كعب زهران وغامد وبالقرن وثمالة وفروع هذه القبائل). ثم استمر في شرحه عنها وعن صفاتها ورجالها في التاريخ. ثم أنهى محاضرته بكلمة عتب وأمل حيث قال تحت هذا العنوان :

عتب.... وأمل :

و لتكن الخاتمة أيها الأخوة كلمة حب بل همسة عتب موجهة إلى جامعاتنا السبع لانصراف المهتمين بالدراسات الاجتماعية فيها وعن الاتجاه إلى هذا العالم المجهول اعني به عالم السراة واسمحوا لي بان ادعوه (مجهولاً) فلم اسمع ان جامعة من تلك الجامعات هيأت الوسائل لأحدى الجهات المعنية بالدراسات الاجتماعية أو الاقتصادية أو الجغرافية للتغلغل داخل هذا العالم المجهول لتمد الباحثين بوسائل جديدة من وسائل العلم

والمعرفة عن هذا الجزء الحبيب من وطننا. و لم أقرأ لأحد الدارسين في إحدى الجامعات من أبنائنا اية دراسة علمية لنيل شهادة عالية عن مظهر من مظاهر الحياة في هذه السروات مع كثرة الدراسات وتنوعها وبعدها عما نحن بحاجة إلى معرفته مما يتصل بحياتنا ويرتبط بأرضنا التي خلقنا منها ولا نزال ننعم ونعيش فوق ترابها ويجب ان نقوي كل الوسائل لارتباطنا بها. ولكن الآمال لا تزال وستبقى دائما معلقة على هذه الصفوة الممتازة المثقفة من رجال جامعاتنا وشبابها إذ هم بعد الله سبحانه مناط الرجاء وبجهودهم وأعمالهم النافعة نحقق الآمال والسلام عليكم رحمة الله وبركاته[1] وتجدر الاشاره الى ان جامعاتنا اصبحت ولله الحمد ضعف هذا العدد وازدادت بازديادها الآمال..

نستنتج من هذه المحاضرة القيمة عدة أمور :

١- يعتبر الشيخ حمد الجاسر رحمه الله أول باحث جاء خصيصاً من خارج المنطقة لغرض البحث الصرف عن التراث.

٢- اتسمت محاضرته وكتابه الذي سبقها بالحيادية فليس له غرض آخر غير البحث عن الحقيقة.

٣- لم يكن دليله في جولاته من أبناء المنطقة وقد وصفه بحرصه على انتهاء الجولة بأسرع وقت ولم يتح للشيخ فرصة الاختلاط والاستماع لأهلها كما كان يرغب هو وذلك بسبب عدم إدراكه لأهمية الجولة ولو كان يدرك ذلك أو لو كان الدليل من أبناء المنطقة ممن يدرك ذلك لكانت

---

(١) هذه الخطوط العريضة للمحاضرة قد وزعت في مذكرة مطبوعة على من حضر هذه المحاضرة. و يمكن الرجوع إليها و قد سجلت بالصوت و الصورة حينذاك.

النتيجة أكثر تحصيلاً وأبلغ أثراً.

٤- كان ينظر للأمر بعين الباحث العاشق للتراث والتاريخ فعرف الشيء الكثير ومع ذلك لم يبلغ طموحاته في استجلاء كل شيء وقد دعا أبناء المنطقة لإكمال المسيرة فقد يكونوا أكثر دقة لمعايشتهم التراث والتاريخ مباشرة.

٥- كان جم التواضع ثاقب الرأي والبصيرة احترم الناس فقابلوه بمثله وما قصة دعوته لشيخ دوس لمنازلته في لعبة (أم الخطوط أو الخط أو القرف) التي تعرف (بالقَطْره) الا دليلاً على ثقته بنفسه وصعوبة مهمته وانها تحتاج إلى مرونة وسياسة للغوص في أعماق الناس ليظْهِرُوا ما عندهم خاصة إذا عرفوا أن الهدف نبيل والقصد شريف وقد دخل قلوبهم عنوه.

٦- ابتعاده عن العبارات المثيرة للاشمئزاز لإدراكه بأن العالم كله فيه السيئ وفيه الحسن وفيه الشريف والوضيع فكان ظنه أن الحسن يغلب السيئ. ولا شك ان هذ أسلوب العالم المتفقة والمتفكر في طبيعة الحياة والباحث المنصف.

٧- عتبه على الجامعات فيما مضى وجدد الأمل في الآتي ونحن بعد ثمانية عشر عاماً من دعوته تلك وانتقاله إلى الدار الآخرة وبعد ارتفاع عدد الجامعات إلى قرابة عشرين جامعة نجدد العتب ونذكر بدعوته فالأمل ما يزال حيا رغم وفاة من دعا إليه. ولو كان حيا وعرف هذا العدد من الجامعات لكان عتبه أكثر وأمله متجدد أكثر من ذي قبل.

و لقد بحث وتحدث بروح المواطن الصالح الذي يهمه رفعة شأن وطنه

وأمته وأدرك قبل غيره أهمية المواطنة الحقة فنادى بها ضمنا. وشعرنا بأهميتها في زمننا الحالي زمن تكالب الأعداء وغياب كثيراً من القيم والمثل العليا لدى كثير من الناس. اما فيما يتعلق بقوله «يكاد اسم دوس يطغى على اسم القبيلتين ودوس كما هو معروف فرع من زهران» فهو قول صحيح فقد نبغ منهم رجال عظام سجل التاريخ اسمائهم باحرف من نور.

اما عن تسلسل الرئاسة في زهران فقد قال الاستاذ / قينان جمعان الزهراني ما يلي :

(كانت منطقة قبائل زهران سراة وتهامة ترجع في أمورها الحياتية إلى أمير زهران مستقلاً كان أو تابعاً لمركز القوى في مكة أو نجد أو عسير أو في صبيا عند الإدريسي وكل الذي وصل إلينا موثقاً أو مكتوباً أو شفاهية بعد ان تناقلته الألسن عن رئاسة زهران يأتي على راس القائمة :

١- شُدِيَّ أبو البرش :

اسمه شدي بن عرعره البرشي. وهذا أول بيت تدور حوله الروايات إنه كان رئيساً على قبيلة زهران من بطن بني يوس قبيلة بالخزمر من قرية حديد.

٢- بخروش بن علاس :

من قرية العدّيه من قبيلة قريش من بني عمر. كان ذلك في نهاية القرن الثاني عشر الهجري وبداية القرن الثالث عشر الهجري وهو الذي كان يحارب الأتراك وآخر معاركه معهم كانت عام ١٢٣١هـ [1] وكان موالياً للدولة السعودية الأولى.

---

(١) قال ان مصدره في ذلك مجلة عالم الكتب العدد الرابع محرم / صفر ١٤١٤هـ. ص / ٣٦٥.

٣- القفعي :

اسمه الكامل (احمد بن خضر القفعي) من قرية قُرَأَء من قبيلة بيضان من بطن بني يوس آلت إليه إمارة زهران من بعد مقتل بخروش وبقي أميراً حتى أواخر عام ١٢٥٨هـ حيث اتفق مع الشيخ جمعان بن رقوش بنقل إمارة زهران إليه وحرر خطاباً لأمير مكة آنذاك محمد بن عبد المعين وقد وافق أمير مكة[(١)] .

٤- بالرقوش :

انتقلت الإمارة إلى بيت آل بالرقوش وكان في ذلك الوقت جمعان بالرقوش من قرية بني سار شيخ قبيلة بني عامر من بطن يوس ذلك عام ١٢٥٨ هـ..... الخ[(٢)] .

و بعد أن فرد الأمن السعودي جناحه على البلاد أبقت الحكومة السعودية المشايخ وأمراء القبائل على عاداتهم فكل شيخ أمير لقبيلته يرأسها وتراجعه في كافة أمورها وهو بدوره يمثلها لدى الحكومة السعودية وينفذ ما يصدر إليه من تعليمات في كافة مجالات الحياة .

مقتطفات من كتابه القيم في سراة غامد وزهران :

لو عدنا إلى مؤلفه الذي أشار إليه في محاضرته والذي صدر في عام ١٣٩١هـ لو جدناه يحتوي على معلومات قيمة عن قبيلتي غامد وزهران حيث ذكر الكثير من ديارهم ورجالهم في الجاهلية و الإسلام وفيه الرد الكافي

---

(١) نفس المصدر الأول ص / ٣٦٥.

(٢) قبيلة من زهران للأستاذ / قينان جمعان الزهراني صفحتي (٤١، ٤٢).

والشافي على من يشكك في البيئة التي عاش فيها ثابت بن أوس (الشنفرى) وإذا كان يصعب ذكر كل ما توصل إليه فإنني سأختار نماذج مما قاله في نظرة عجلا عملا بقول العرب (يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق).

قال رحمه الله تعالى :

((فسراة الحجاز التي منها هذا الجزء الذي سعدت بزيارته تكون جزءا كبيراً من بلادنا يسكنه قبائل من العرب الاقحاح منذ عهد بعيد جدا ولهم عاداتهم وتقاليدهم العربية الأصيلة. وبلادهم بلاد بكر في كل ما يتعلق بها. لهذا فليس في مستطاع باحث مهما أوتي من القدرة أن يفي أو أن يقارب الوفاء ليقدم للقراء صورة كاملة واضحة، وحسبي إنني وضعت لبنة في أساس بناء هيكل ضخم يجب أن يتعاون في بنائه مثقفوا هذه الجهة الكريمة وما أكثرهم. وما عملته لا يعد أن يكون تعبيراً عن تقدير وإجلال وتحية صادقة لمن أغدقوا علي من كرمهم وحسن استقبالهم ما لا أستحق، ومما كان من أثره تسجيل هذه المشاهدات[١].

كما قال :

لهذا فأهل هذه البلاد لا تزال كثير من عاداتهم وتقاليدهم هم اقرب من غيرها إلى التقاليد والعادات العربية القديمة، وهذا يفسر لنا رغبة كثير من علماء اللغة في الزمان الماضي الاتصال بأهل السراة لتعلم اللغة العربية منهم))[٢].

و قد خص دوساً بجانب كبير من حديثه في مؤلفه ذاك ومما قاله :

(و منها ان دوساً انتشرت خارج بلادها فانتقل منها أناس إلى الأطراف الشرقية من الجزيرة وعمان والحيرة فأسسوا هناك إمارتين اشتهرتا منذ

---

(١) كتابه في سراة غامد و زهران صفحة (٥).

(٢) المصدر نفسه صفحة (٩).

العهد الجاهلي فأضفت شهرتهما على دوس). إلى أن قال والكلام للمؤلف : منها ان دوساً سارع بعض رجالها في قبول الدعوة الإسلامية فنالوا مكانة سامية في صدر الإسلام مما زاد في رفع منزلة القبيلة. كما عرف من رجالها من برز في جانب من جوانب المعرفة كالصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه الذي يعتبر من أكثر الصحابة ان لم يكن أكثرهم حفظا للحديث النبوي. وكالخليل بن أحمد أول من وضع معجما للغة العربية، وكمسدد بن مسرهد أول من صنف مسنداً للحديث في مدينة البصرة وكابن دريد العالم اللغوي الأديب وغيرهم ويضاف إلى ذلك ما عرف من إخلاص كثير من رجال دوس وصدقهم في تلقي الدعوة الإسلامية[1].

وختم **ذلك بقوله** : (لا أريد الاسترسال في الموضوع، لكنني ذكرت هذا للفت أنظار المعنيين بدراسة اللهجات بأنهم سيجدون في السروات أخصب مكان لأبحاثهم وحبذا لو عني أبناء السراة أنفسهم بتسجيل لهجاتهم فان في ذلك خدمة جلىً لا للبلاد وحدها بل لكل من يعني بدراسات اللهجات العربية)[2].

ب - أعـــلام معاصرون...

كلمة حق واعتذار :

عندما قال علامة الجزيرة العربية الشيخ / حمد الجاسر في كتابه في سراة غامد وزهران. إن التاريخ لا يقبل المحاباة فانه لم يقلها عبثاً وهو العالم بما يقول المدرك لما عمل من خلال تجاربه ولقاءاته وهو يجوب الجزيرة العربية

(١) كتاب سراة غامد و زهران المذكور سابقاً صفحة (٢٦٦، ٢٦٧).

(٢) المصدر نفسه صفحة (٤٩٠).

شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ومعوله في جيبه مع قرطاسه وقوت يومه باحثاً ومنقباً عن تراثها فجاءته طائعة منقادة مادحة شاكرة جميل صنعه ووفاءه لوطنه. و بدون شك فإنه لو لم تتوفر له عزيمة أسود الشرى وصبر الجمال إذا جف الثرى. والصقر إذا بلغ الذرا. ثم جهود قادة عظماء كان همهم الأول تحكيم كتاب الله فيما شجر بين الورى ثم إرساء قواعد الأمن وإعادة المحبة والصفاء لما استطاع المبدع أن يبدع بحرية دون تعصب فيضيف إلى حضارته القديمة حضارة جديدة تتفق وروح العصر وتدل على أن إنسان هذه الجزيرة العربية خيرة الله من أرضه ومهبط وحيه ومبعث صفوة خلقه ومحط أنظار عباده وموضع أول بيت من بيوته لم يستطع ان يفعل ما فعل.

و لئن كانت جزيرة العرب كافة وبيئة ثابت بن أوس (الشنفرى) وموطن الحضارة القديمة قد خبت جذوة حضارتها ردحا من الزمن وهذا شأن شعوب كثيرة فإنها لم تمت وبقيت حرارتها وكأنها بركان ينتظر الأمر الإلهي. وما أن هبت رياح الأمن والاستقرار حتى اشتعلت من جديد فبعثت الحياة في الأجساد المنهكة والدفء في القلوب الباردة.

وفي هذا القسم من هذا الجهد المتواضع عندما اقدم كوكبة من المفكرين والمبدعين من بيئة ثابت بن أوس (الشنفرى) في العصر الحاضر فإنما أذكّر بان هذا امتداد لما سبقه من حضارة في العهود القديمة وانها لازالت تلد الرجال القادرين على العطاء. أنهم يرفضون ما يتعارض مع الفكر السليم. يحبون وطنهم ويسعون لرفعته وينبذون كل ما يسئ إليه من فكر منحرف. يؤيدون كل فكر صائب هدفه الإصلاح. ندرك تماما أن هذه قلة

قليلة من رجال هذه البيئة وما هم الا نموذجاً مع انني أعلم علم اليقين ان هناك الكثير والكثير ممن يماثلهم فكراً وعطاء وإخلاصاً لوطنهم وأمتهم يضيق جهدي المتواضع بحصرهم ولم يحالفني الحظ باستقطاب إنتاجهم فلهم أقدم العذر ولا أقول الا كما قال الشاعر العربي :

اقبل معاذير من يأتيك معتذراً إن بر عندك فيما قال أو فجرا

فقد أطاعك من أرضاك ظاهرة و قد أجلك من يعصيك مستترا

خير الخليطين من أغضى لصاحبه و لو أراد انتصاراً منه لانتصرا

كما أقول أيضا أن التاريخ كفيل بأن يتولى المهمة عنا فلكل مجتهد موقع ولكل مبدع مكان فالتاريخ لا ينسى ولا يتناسى كما نظن.

و الله المستعان،،،،،،

الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن سعيد الزهراني :

يعتبر الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله الزهراني من قرية بني عمار التي لا تبعد عن وادي السيسبان الذي سبقت الإشارة إليه إلا بضعة أكيال لا تتعدى أصابع اليد الواحدة وعن مدينة المندق مقر الرئاسة في زهران سوى كيلاً واحد تقريباً وكيلاً واحداً آخر عن قرية بعره[١] التي ورد ذكرها في شعر حاجز بن عوف الزهراني. شيخ المؤلفين والمفكرين في منطقة الباحة فهو من الرعيل الأول في هذه المنطقة المهتمين بنفض الغبار عن تاريخها المجيد والقابع تحت أنقاضها منذ من زمن بعيد ولقد كان في بداية حياته مسئولاً في الدولة ساهم في نهضتها وكان آخر منصب له قبل

---

(١) جرى تغيير اسمها إلى بحره. وقد أصبحت تعرف بهذا الاسم.

إحالته للتقاعد رئيس بلدية فرعية في مكة المكرمة بلد الله الحرام ولم يشغله ذلك عن دياره وتراثها وقد قضى قرابة الخمسين عاماً من عمره في البحث والتنقيب فأصدر نتيجة لذلك سفراً من ثمان مجلدات تحت عنوان - معجم رواة الحديث الأماجد من علماء زهران وغامد -(١). اثبت من خلاله أسماء أعلام من بيئة ثابت بن أوس (الشنفرى) خدموا الإسلام وحفظوا لأمتهم تراثاً نبوياً خالداً. ولم يسبقه أحد إلى ذكرهم بهذه الإحصائية الدقيقة الموثقة. وهذا يدعم القول بأن سبعين أسرة رحلت من هذه الديار مع بزوغ فجر الإسلام فكان لها دوراً بارزاً في نشره والدفاع عنه. و قد أوضح الشيخ بعد مقدمته مسالكه لطلب العلم وإجازاته من العلماء وهم فضيلة الشيخ العلامة/ أبي محمد عبد الخالق بن عبد الواحد بن محمد بن هشام رحمه الله تعالى والشيخ العلامة/ سليمان بن عبد الرحمن الحمدان. مدرس التوحيد والحديث في المسجد الحرام. وقدم له فضيلة الشيخ د/ حماد بن محمد الأنصاري وقد استغرق الباحث في بحثه جهداً ووقتاً كبيرين حتى أخرجه بالصورة الرائعة المتقنة والموثقة فأصبح من أمهات الكتب التي لا يستغني عنه أي باحث عن الرجـال الأفذاذ الذين خدموا إسلامهم وأمتهم. وقد أصبح سفراً يحكي سير الصحابة الأجلاء من هذه البيئة التي تتشرف بهم ويفخر كل محب لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تضم جنبات مكتبته الخاصة والعامة اسماء هذه النخبة من العلماء. و رغم كبر سنه الا أن قلمه لا يزال سيالاً

---

(١) صدر الكتاب في طبعته الأولى عن مكتبة نزار مصطفى الباز بمكة المكرمة عام ١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٨م.

ففي العام العشرين بعد الأربعمائة والألف أصدر كتابين:

الأول تحت عنوان - صور من سيرة شباب الرعيل الأول - [(١)] .

يقول في مقدمته بعد حمد الله والثناء عليه :

عندما يشعر المسلم بتقلص الإحساس بالكرامة عند بعض شباب المسلمين وفقدان الشعور بالعزة وروح الثقة بالنفس والاعتماد على الله بحيث حجبوا أنفسهم باختيارهم عن نور الحرية والكرامة والحكمة ثم انحدر بعضهم حتى استقر بهم الهبوط في ظلام التخلف والضياع وتقلصت من نفوسهم الغيرة الإسلامية وهبوط بعضهم من مرتبة التفوق وعلو المنزلة الرفيعة التي رفعت أسلافهم إلى أرقى مكارم الأخلاق ومراتب الكمال ثم هوى الأتباع إلى منحدر الضياع وأصبحوا ضحية للتقليد الأبله . إلى ان قال : (و هنا يتحسر المسلم على ضعف أمته وهوانها على نفسها :﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾. [سورة يوسف الآية (٢١)].

ثم يختتم مقدمته بقوله : ليعلم الغافل أن حياة الإنسان المسلم ليس فيها متسع للتسكع والتسيب والضياع. فتلك هي حياة البهائم الضالة لا حياة الإنسان الكريم على نفسه الكريم على مجتمعه الكريم على الله قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾ [سورة الإسراء الآية (٧٠)] .

لا شك أن شيخنا الفاضل وهو صاحب الخبرة الكبيرة يتحدث بدافع

---

(١) انظر صفحة (٥) و ما بعدها.

الغيرة على أمته الإسلامية ويهيب بشبابهم ان يحذو حذو شباب الرعيل الأول من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهم في الشاب القائد الملهم أسامة بن زيد رضي الله عنه أسوة حسنة فقد ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قيادة جيش المسلمين في أحد الغزوات وعمره ستة عشر عاماً ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل توجه ذلك الجيش للجهاد في سبيل الله أشار بعض قادة المسلمين على خليفة رسول الله أبو بكر الصديق رضي الله عنه بتسليم القيادة لقائد آخر لصغر سن أسامة فرفض وقال عبارته المشهورة : والله لا أحل لواء عقده رسول الله. ثم قاد الجيش أسامة وانتصر انتصاراً مؤزراً.ثم أصدر كتابه الثاني في نفس العام ١٤٢٠هـ تحت عنوان - خواطر إسلامية حول الجمع بين الشيء وضده - [(١)].

يقول في مقدمته بعد حمد الله والثناء عليه :

(فان فكر المسلم ينشغل بواقع أمته الإسلامية وما يدور في مجتمعه من خير وشر، حق، باطل، أمور متشعبة تجمع بين الحسن والقبيح ووالشيء ونقيض الشيء وما يبدو من تباين في الأفكار والآراء المختلفة.

و قد دفعني إلى تسجيل هذه الخواطر هموم المسلم وما يسود المجتمع الإسلامي من تباين وتناقض بين الأفكار الجادة والأفكار الهدامة، وتصورت ركاكة البناء الداخلي في مجتمعنا الكبير وتنافر القلوب وتقلص الود والاحترام بين الأفراد). وقد عزا ذلك إلى بعد الناس عن المنهج الرباني.

---

(١) انظر صفحة (٥) و ما بعدها.

ثم أصدر كتابه الثالث تحت عنوان - إبداع الخالق في نظام خلقه دليل على وحدانيته - صدر في طبعته الأولى عام ١٤٢٥هـ حيث قال في مقدمته بعد حمد الله والثناء عليه[1]:

(أما بعد فان عظمة الكون دليل على عظمة من خلقه ولله في كل شيء آية تدل على جلاله وعظمته ووحدانيته). إلى ان قال :

(فسجلت هذه الخواطر لنفسي ولمن ينفعه الله بها لعلني إذا هجمت عليَّ الوساوس أتذكر ما كتبت لعل النفس اللوامة تقول لي انك إنما توبخ نفسك بما كتبت فتكون حافزاً لي على طرد تلك الوساوس التي أسأل الله أن يعصمني وكل مسلم من شرها إنه على كل شيء قدير).

لا شك ان شيخنا الفاضل ينبه في مؤلفاته تلك إلى أمور هامة في حياة المسلم يجب عليه العض عليها بالنواجذ وفي مقدمتها توحيد الله بالعبودية والانقياد له بالطاعة. ثم العمل على ما من شأنه رفعة الإسلام والمسلمين. إنه بهذه الكلمات المضيئة في مؤلفاته يسلم الراية للأجيال ويتمنى أن لا تنطفئ جذوتها المضيئة بنور الإسلام ولا يخدع الشباب ببهرج الحياة الحاضرة الزائفة.

جمعان بن عايض الزهراني :

مفكر إسلامي غيور على دينه وأمته دفعته غيرته الوطنية والإسلامية إلى التفكير بعمق فيما يحيط بها من أعداء فجرى قلمه المبدع بما عانى منه فكره ليبصر الناس إلى هذه الأخطار المحدقة فأدلى بدلوه فكان ما حواه ماء زلالاً يروي العطشى وينبه الغفلى. وقد ألف ثلاثة كتب نشرت للملأ.

---

(١) انظر صفحة (٥) و ما بعدها.

صدر الأول منها عام ١٤٠٥هـ تحت عنوان (الإنسان السعودي) وهو عبارة عن مقالات متفرقة نشرت في الصحافة السعودية وضح الكاتب فيها همومه بوطنه وأمته خاصة الشباب.

وقد قدم له الدكتور عبد الله محمد الزيد الذي قال في تقديمه :

(ان كل الثروات ناضبة الا انتم فأنكم أمل الأمة وعدة المستقبل. هكذا يخاطب الاستاذ / جمعان بن عائض الزهراني الجيل الجديد في أمته بمقالته المعنونة (إليكم يا شباب بلادي)..... الخ[1].

و قد أهدى جهده هذا إلى صاحب السمو الملكي الأمير / فيصل بن فهد بن عبد العزيز.. أمير الشباب وراعي الشيوخ.. تقديراً وعرفاناً.. ومما قاله الكاتب في مقدمته :

هذه مجموعة مقالات نشرت في مجلة اليمامة، صحيفة عكاظ المدينة، ولا أعلم أن كانت صحيفة الرياض نشرت ما بعثت به إليها، مقالات أخرى لم تنشر وهي وليدة تأثري بمواقف أو توارد فكرة أسارع بعدها إلى قلمي ودفتري لترجمة ما أشعر به إلى كلمات وسطور.... الخ[2].

و الكتاب في مجمله نصائح للشباب بدافع الغيرة على الوطن والمواطن. ثم أصدر كتابه الثاني تحت عنوان (أسلوب جديد في حرب الإسلام). قال عنه فضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري الذي قدم له (الكتاب الذي أزاح الستار عن الحداثة وفضح الحداثيين وفتح أعين العلماء والأمراء والمصلحين على خطرها وحسبه البرهنة على أن الحداثة نفثة

---

(١) انظر صفحة (٧) من الكتاب نفسه.

(٢) انظر صفحة (٩) المصدر نفسه.

مسمومة من نفثات الماسونية الهدامة العالمية[١]. صدر الكتاب في طبعته الأولى عام ١٤٠٩هـ الموافق ١٩٨٩م عن رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق . وقدم له فضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري ومما قاله في تقديمه بعد حمد الله والثناء عليه :

(فان كتاب - أسلوب جديد في حرب الإسلام - للكاتب الإسلامي الغيور جمعان الزهراني أكثر الله من أمثاله قد كشف الغطاء عن عصير قاتل مسوم لولا أن الله تعالى قيضه ليكشف غطاءه ويرى المسلمين عظيم خطره وشدة ضرره لهلك به من طلاب الأدب العرب ومن غير العرب ما لا يحصى له عد ولا يعرف له حد. إذ الكتاب تناول بأسلوب الصدق والأمانة الكشف عن أخطر وسيلة ماسو نية من إفرازات الثالوث المجوسي واليهودي والصليبي حامل راية الحرب والعداء للإسلام....) إلى ان قال : وفي هذا الكتاب الذي قرظناه صورة واضحة لهذا المذهب المدمر الخبيث فليقرأه كل ذي علم وبصيرة ويعمل على نشره في أوساط الطلاب..... الخ[٢].

وفي تقديم الكاتب لكتابه قال :

(قد لا يفطن العامة إلى ان هناك أناس يقودون جحافل في مقتبل العمر نحو تحقيق أهداف مهمة لا تقل أهمية عن الأهداف الإستراتيجية العليا لأي تجمع بشري أولئك القادة الذين لا يعرف مناهجهم الا من قيض الله له سهر الليالي الطوال في القراءة والبحث والمقارنة يتبوؤن مراكزهم

---

(١) انظر السطور المدونة تحت العنوان الداخلي.

(٢) انظر صفحتي (٥، ٦) من الكتاب.

القيادية بارتياح وغبطة ويصنعون خططهم ويرسمون مناهجهم في هدوء وصمت وينفذون ما رسموا بحكمة واقتدار وجنودهم صامتون لا يفشون الإسرار ولا يأنفون الأوامر). إلى ان قال :

أولئك القادة هم المفكرون من المربين جنودهم أقلامهم متى ما أرادوا شرعوا أسنتها ويمموا شطر عقول البشر... على اثر ذلك تتحرك القوى البشرية بين مؤيد ومعارض تتشكل الأحزاب وتصطف الجماهير من أولئك من يعمل لصالح البشر ومنهم من يعمل على تدمير البشر (و كل في فلك يسبحون).

و لقد تلقى الكاتب إشادات عدة من كُتَّاب وأدباء كبار أورد اسماءهم في نهاية كتابه منهم الدكتور/ محمد خضر عريف، الاستاذ/ محمد عبد الله مليبارى، الدكتور عاصم حمدان، الدكتور/ مصطفى عبد الواحد، الدكتور/ عمر الطيب الساسي، الدكتور/ عبد العزيز الخويطر، الكاتب الإسلامي المعروف/ محمد صلاح الدين صاحب زاوية الفلك يدور في جريدة المدينة والدكتور/ محمد بن حسن بن عبد الرحمن الزيني وبعض القراء ممن قرأ الكتاب وأعجب بطرحه والقضية الهامة التي ناقشها الكاتب.

أما جريدة المدينة فقد حللت في زاوية قراءة في كتاب أهمية الكتاب وما احتواه من مفاهيم لم يسبقه إليها احد حيث قالت :

كتاب - أسلوب جديد في حرب الإسلام - لمؤلفه جمعان بن عايض الزهراني من الكتب المهمة السبَّاقة في كشف مكائد الأعداء في حربهم المتصلة بالإسلام[1].

---

(١) جريدة المدينة العدد (١٤٠٤٣) تاريخ ١٧/ رجب/ ١٤٢٢هـ الموافق ٤/ أكتوبر/ ٢٠٠١م.

ثم اصدر كتابه الثالث تحت عنوان - الماسونية والمرأة - في طبعته الأولى عام ١٤١٥هـ[١] ومما قاله في مقدمته وهو يتساءل : عما يحدث الآن في العالم في حق المرأة هل هو في صالحها ؟ هذا هو السؤال الذي نحاول في هذا البحث الإجابة عنه، اليوم هجرت المرأة البيت، تخلت عن الأمومة، دخلت المصنع، المتجر، الملعب، الجيش، الشرطة، الفندق، الملهى، أصبحت هي التي تذيع، تبيع، تشتري، تصور، تجري اللقاءات والمقابلات وتعلن عن السلعة، تقدم الحفلات، تغني، ترقص إلى آخر الوضع القائم الآن. فهل استفادت المرأة ؟ هل كسبت أم خسرت ؟ وماذا كسبت مقابل خروجها من بيتها ؟ وماذا خسرت ؟ ثم قال : أحاول في هذا البحث الموجز أن أبين للمرأة بالدليل القاطع المأخوذ من الواقع الحي لماذا أخرجت من بيتها ؟ إلى ان قال : (فقدت المرأة أنوثتها وعفتها وطمأنينة قلبها وراحتها النفسية وتعالت الأصوات منادية بأن تعود المرأة لحصن كرامتها وحمى عفتها ولكن هيهات فقد فات الأوان وأصبح التبرج، الاختلاط، مشاركة الرجل وكل أنواع الأعمال الا ما ندر هو أسلوب الحياة في العالم الغربي وفي كثير من دول العالم الأخرى. وختم بقوله: فإلى كل امرأة تريد معرفة الحقيقة أقدم هذا البحث الموجز علها تعود إلى وعيها وتفيق من غفلتها ولتعتبر أولئك اللائي لم يقعن في المصيدة الماسونية القاتلة للعفة والشرف والكرامة فلا ينخدعن بالتعاليم والنظرية

---

(١) أصدرته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ضمن برنامجها دعوة الحق و هو كتاب شهري يصدر عن قطاع الإعلام و الثقافة فيها.

الماسونية وليلتزمن بشرع الله وهدى رسـوله محمد صلى الله عليه وسلم ففيها الفوز في الدنيا والآخرة[١].

علي بن صالح السلوك الزهراني :

علي بن صالح السلوك الزهراني من المفكرين الأوائل المهتمين بتراث بلاد غامد وزهران وهو من قرية قرن ظبي اليوسية التابعة لقبيلة بني حسن بطن من بطون زهران بل هو أعظمها. ذكرها الشيخ حمد الجاسر في كتابه - في سراة غامد وزهران - وأشار إلى أنه جرى فيها وقعة بين أهلها وجيش الشريف وقال انه نقل خبر هذه الوقعة عن العصامي وقد عرفت بغزوة يوم الخميس[٢].

اصدر المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران في طبعته الأولى عام ١٣٩١هـ ضمن المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية. ثم اصدر الطبعة الثانية في عام ١٤٠١هـ ثم اصدر الطبعة الثالثة عام ١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٦م. وقد أضيفت إليها فصول جديدة وزيادات مهمة :

و ذكر في غطاء الطبعة الأخيرة من هذا المعجم المنفصل عنه فقرة تحت عنوان (ماذا قالوا عن هذا الكتاب) حيث ذكر أنه تلقى إشادة وثناء من كل من : الاستاذ / ضياء الدين رجب، الاستاذ الشاعر / محمد حسن عواد، وعلوي طه الصافي، احمد عبد الغفور عطار، الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجي، عبد العزيز الرفاعي والشيخ عثمان الصالح وذكر أن الشيخ عثمان الصالح أشار عليه بإضافة بعض أعلام المنطقة المعروفين

---

(١) انظر صفحة (٨) من الكتاب و ما بعدها.

(٢) راجع صفحة (١٧٦) من الكتاب نفسه.

فعمل بنصيحته وأضاف من عرف منهم واعتذر للبقية. كما تلقى إشادة من علي حافظ.

لا شك انه يعتبر جهداً مميزاً وغير مسبوق يدل على علو همة الباحث ووطنيته وقدرته على تحمل التعب والمشاق والتنقلات في سبيل إظهار هذا الجهد في صورة مشرقة وبحث علمي موثق. وقد حصل. و لا يخفى على القارئ الفطن ما يعاني الباحث من تعب في سبيل جمع مثل هذه المعلومات الهامة والقيّمة وتوثيقها. ثم اصدر بعد ذلك موسوعته التي اسماها (الموروثات الشعبية لغامد وزهران) في خمس مجلدات صدرت في طبعتها الأولى ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٥م جمع فيها ما تيسر له من تراث هذه المنطقة وكانت على النحو الآتي :

المجلد الأول : احتوى على قصائد الجبل واللبيني.

المجلد الثاني : احتوى على قصائد العرضة في مناسباتها المختلفة.

المجلد الثالث : احتوى على قصائد اللعب والمسحباني والهرموج والعزاوي والسامري.

المجلد الرابع : احتوى على الأناشيد الشعبية (القاف).

المجلد الخامس : احتوى على مجموعة منتقاة من الحكم والأمثال الدارجة على ألسنة أهل هذه البلاد.

و لا شك أنه جهد غير مسبوق بهذا الكم وهذه الكيفية يصدر عن المنطقة يستحق الشكر والإشادة فلقد حفظ الباحث كثيراً من تراث هذه البقعة من وطننا الحبيب المملكة العربية السعودية. والذي يتضح من نصوصه الدعوة الصادقة إلى التمسك بالقيم والأخلاق النبيلة والدعوة

إلى الأخذ بأسباب الفضيلة والبعد عن الرذيلة ونبذ الفرقة والخلاف والدعوة إلى التسامح والأخذ بكل ما من شانه عزة الإسلام والمسلمين ثم تقدم الوطن وحضارته.

قينان جمعان الزهراني :

باحث متمكن فكر في أمته التي خيم عليها الجهل فترة من الزمن فدفن تراثها وأصالتها حتى ظن كثير من الناس أنهم أمة خارج دائرة التاريخ لكنها لم تكن كذلك بل كانت في منتصف دائرته وعندما نشر الأمن أجنحته على ربوع الجزيرة العربية وقيض الله لها حكاماً كان همهم الأول تحكيم كتاب الله فيما شجر بين عباده ثم القضاء على الجهل والفقر والمرض ثم لم الشتات. أطلقت للباحثين عن التراث العنان وطلبت نفض الغبار عنه في كل مكان وزمان فقد كان من أوائل الذين استجابوا فاتخذ طريق البحث الجاد المستند على حقائق ثابتة وموثقة بعيداً عن التعصب والانحياز وحتى يروي عطشه وعطش المتعطشين الذين بدؤا يبحثون في المكتبات العامة والخاصة ويستخرجون ما في صدور الناس من معلومات متوارثة عن ديارهم ورجالهم الذين كان لهم باعا طويلا في تأسيس حضارة قديمة والذين تناقلت قصصهم الأجيال وحفظت صدورهم أشعارهم وحكمهم وأمثالهم ولم يفرطوا فيه باعتباره أرثاً لا يمكن التغاضي عنه أو إهماله. شأنهم في ذلك شأن أبناء مملكتنا الحبيبة بجميع أطيافهم ومشاربهم.

ولقد شهدت الأعوام الثلاثة المتتالية : ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢ هـ أول انطلاقه للبحث عن تراث هذه المنطقة محاولة استجلاء تاريخها ومعرفة

رجالها بدأها الأستاذ الدكتور / محمد بن مسفّر الزهراني بكسر الفاء وتشديده فألف كتاباً عن قبيلة زهران (لم اطلع عليه) ثم تلاه في العام ١٣٩١هـ علامة الجزيرة العربية الشيخ / حمد الجاسر الذي كان أول باحث يأتي إلى هذه المنطقة من خارجها وخارج أبنائها فأصدر كتابه الأول في سراة غامد وزهران وجمع فيه ما استطاع جمعه وشرح فيه ما شاهده وسمعه فجاء مفيداً ويعتبر مصدراً لا غنى عنه لكل باحث عن تراث هذه البلاد ثم جاء الأستاذ/ قينان بن جمعان في العام الذي يليه بدراسة مماثلة بذل فيها جهداً كبيراً وتوصل إلى معلومات مفيدة لا غنى للباحث عنها. وسوف اتطرق إلى بعض ما توصل إليه في بحثه باعتباره من المهتمين بالتراث وله أكثر من مؤلف.

ففي عام ١٣٩٢هـ أصدر كتابه الأول تحت عنوان - دراسة شاملة عن قبيلة زهران - تاريخية - اجتماعية - أدبية - جغرافية - طبيعية.

قال في مقدمة كتابه :

(تبلورت فكرة الكتابة عن زهران في فكري منذ مدة طويلة وقد ارتسمت صورتها في ذهني بشكل متكامل فصورتها وهي شامخة في جبالها وتنبسط في سهولها وتزدحم في أفرادها وسكانها وكنت في كل مرة أحاول الكتابة عنها فتتمثل أمامي مجموعة من الموانع والعراقيل منها احتياجي إلى المراجع التاريخية والجغرافية. ومنها ما يتعلق بالاتصال برجالها العديدين ومع هذا فقد عزمت على شد الرحال لزيارة كل قرية من قراها وكل شبر من أرضها) الى ان قال : (فإذا تكللت مساعي بالنجاح فهذا ما أتمناه

لنظهر كل مكنون عن زهران وإن باءت محاولاتي بالفشل فلن يكن ذلك مثبط همتي....... الخ)[١].

و في عام ١٤٢١هـ الموافق لعام (٢٠٠٠م اصدر كتابه الثاني تحت عنوان - بيت من زهران - خصصه عن حمه الدوسي - وقد صدَّره بكلمة إهداء إلى صاحب السمو الملكي الأمير / محمد بن سعود بن عبد العزيز. أمير منطقة الباحة. ثم صاحب السمو الملكي الأمير الدكتور / فيصل بن محمد بن سعود وكيل إمارة منطقة الباحة وإلى زهران المكان والزمان..في ماضيها وحاضرها.. والى كل مواطن غيور يبحث وينقب في صبر وأناة عن أمجاد وطنه. ثم كلمة شكر لكل من ساعده على انجاز هذا العمل.

أما في المدخل لهذا البحث فقد تحدث عن حكايته مع البحث وتجربته في هذا المجال والصعوبات التي واجهها في ندرة المصادر. لكن لم يفت هذا من عضده ويقلل من عزيمته بل استمرت جذوة الحب للماضي والحاضر تعتمل في صدره فأصدر بتشجيع من أصدقائه كتابه الأول منذ أكثر من ربع قرن من الزمن وأسماه - دراسة شاملة عن قبيلة زهران ونوه عن عدم رضاه عنه واعترف بجراءة الباحث عن الحقيقة ان طريقة إخراجه كانت من العوامل التي صرفت النظر عن إعادة طباعته مؤقتا. لكن هذا لم يقلل من عزمه على البحث. حيث قال : (و مرت الأيام وسارت خطى الزمن وئيدة ورتيبة لكن جذوة البحث لم تنطفئ فلم انقطع يوما عن البحث والقراءة والتنقيب عن كل ماله صلة بالبيئة التي انتمي إليها..... الخ)[٢].

---

(١) صفحة (٥).

(٢) صفحة (١٤).

وفي العام ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠٠٥م. اصدر كتابه الثالث تحت عنوان - قبيلة من زهران وقد خصص معظم مادته عن قبيلة بني كنانه وهي بطن من بطون بني يوس وقد تحدث عن نسبها ورجالاتها ونسائها عبر التاريخ وما حظيت به من مشاريع في العهد السعودي الزاهر ومما قاله في مقدمته: (قال الجاحظ : كان النفر في زمن البرامكة إذا سافر أحدهم أخذ معه من تربة أرضه في جراب يتداوى به) وأضاف فالجزيرة العربية كلها وطني (و بني كنانه مسقط رأسي) وهكذا ولا شك أن القصد من إيراد هذه المقولة كما أرى هي كناية عن حب الوطن وتغلغل هذا الحب في الدم والأحشاء.

إن الجهود المبذولة في هذا الكتاب وسابقيه من جمع لمعلوماتها ومصادرها وإخراجها في أحداث تاريخية متسلسلة وموثقة لعظماء عاشوا على مر العصور قديماً وحديثاً على تراب جبال هذه البيئة إنما هو عمل جليل لا يلقى التقدير الذي يستحق إلا ممن مارس البحث والتأليف وسهر الليالي وتحمل المشاق من سفر ونفقة لكي يحصل على معلومة لا يراها القارئ العادي تستحق هذه التضحية والذين لا يجذبهم إلا العناوين البارزة وتستهويهم الصور الملونة ولو كانوا يدركون ذلك لحرصوا على تفحص كل مجهود من هذا النوع صفحة صفحة بل وسطراً سطراً ثم بحثوا بعد ذلك عما وراء السطور. لكن حسب الباحث فيما يبذل من جهد وتعب ومشقة ونفقات ماليه أنه وجد ذاته في ذلك حياً وميتاً فالشاعر العربي يقول :

الخــط يبقــى زمانــاً بعــد كاتبــه

و كاتــب الخــط تحــت الأرض مــدفونا

والله المستعان،،،،

الدكتور : معجب سعيد الزهراني :

الدكتور / معجب سعيد الزهراني، أستاذ الأدب المقارن في جامعة الملك سعود خريج جامعة السربون الفرنسية ناقد تعدت مشاركاته النقدية وطنه المملكة العربية السعودية فقد اشترك في حوارات أدبية خارج المملكة وصار علماً بارزاً يشار إليه بالبنان ونتيجة لدراسته في فرنسا وإجادته للغتهم واحتكاكه بأدباء ومثقفين غربيين وفي مقدمتهم سفراء فرنسيون ولما تأكدت لديه مشاعرهم نحو وطنه وأمته واعتزازه بذلك كما يشعر بذلك الجميع أصدر كتاباً بمناسبة المئوية تحت عنوان - المملكة العربية السعودية بعيون فرنسية - جاء في مائة وثمان وثلاثين صفحة من المتوسط ودعمه بصور بالأسود والأبيض التقطت ربما قبل زمن الألوان. ثم ألحقه بعدة صور ملونة تبرز نهضة المملكة العربية السعودية العملاقة. وقد ترجم من خلاله مشاعر أولئك الغربيون. وقد بدأه بصورة كبيرة لجلاله المؤسس الملك عبد العزيز رحمه الله وجزاه عن الوطن والأمتين العربية والإسلامية خير الجزاء لما قدمه في سبيل عزها وتمكينها ثم كتب الإهداء تحت الصورة قال فيه (إلي الوطن وأهله وأصدقائه بمناسبة مئوية التأسيس إلى روح الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يرحمه الله)[1].

ثم بدأ كتابه هذا بأقوال بعض من شاركوا في هذا الكتاب من الغربيين تحت عنوان إشارات حيث قال بعضهم :

(إن المملكة العربية السعودية منظور إليها من أوروبا كثيرا ما تبدو مختزلة

---

(١) انظر الصفحة الثانية من الكتاب نفسه.

في صورة بلد صحراوي تتكاثر فيه آبار البترول فحسب).

كلود وكوليت ليوتو.

(إن التنمية التي أنجزت في هذا البلد منذ عهد الملك المؤسس إلي اليوم تثير في مشاعري السعادة والأمل في أن يكون مستقبله في عظمة ماضيه المجيد).

جورج كوراى.

(كنا جميعاً متساوين أمام القدر المجهول في هذا الفضاء الصحراوي الذي لا نهاية له، لقد امحى كل اختلاف عرقي أو لغوي أو ثقافي في هذه اللحظة المصيرية والروحانية في نفس الوقت، ان هذه الروحانية التي تجلل كل شيء وكل كائن في مثل هذا المقام هي ما يمثل حسب ظني تلك القيمة الجوهرية لجزيرة العرب التي جذبتني إليها باستمرار).

جان لويس شار دينيه.

ثم قال في كلمة شكر : (بما أن هذا الكتاب نتاج جهود جماعية لم يكن من الممكن انجازه من دونها فان كلمة شكر وعرفان لكل من ساعد على انجازه تمثل واجباً لابد من أدائه).

و في تقديمه لهذا الكتاب قول كثير. لكن ما يهمنا في هذا المقام هو قوله (بعد هذا كله لا أحد يستطيع ان يزعم أن المملكة العربية السعودية وصلت إلى نهاية تنميتها وتاريخها لأن الانجازات تتزايد وتكبر بزيادة أشكال الطموح والتحديات التي ترسم وتسمي للوطن وللمواطن ذلك المستقبل المشرق الذي نصبوا جميعا إليه وينبغي ان نعمل بكل جد وإخلاص للوصول إليه ان شاء الله وبعونه تعالى وتوفيقه)[(١)].

و الدكتور / معجب بن سعيد الزهراني. واكب إصدار قوافل الذي

---

(١) انظر صفحة (٨) من الكتاب نفسه.

يصدر عن نادي الرياض الأدبي منذ عددها الأول الذي صدر في سنته الأولى في شوال عام ١٤١٣هـ الموافق ١٩٩٣م وكان عضوا مشاركا في هيئة التحرير حيث كتب مقالاً مطولاً فيه تحت عنوان - نيويورك في ثلاث قصائد محلية -[١] واستمر عضوا في هيئة التحرير وقد شارك في العدد الخامس تحت عنوان - اللغة الحلمية الهذيانيه في لغة القص - قراءة في (الحفلة لعبد الله باخشوين)[٢] كما شارك في ندوة - إشكاليات القصة القصيرة المحلية بين الواقع والأفق - المنشورة في هذا العدد[٣].

و لم ينس مسقط رأسه منطقة الباحة فقد ألقى أكثر من محاضرة في نادي الباحة الأدبي كما أن له زاوية في مجلة تجارة الباحة تحت عنوان باحة الكلام.

و الدكتور/ معجب شاعر أيضا فقد ألقى قصيدة جيدة في حفل تكريم الأستاذ/ احمد بن محمد الزهراني أحد رجال التربية والتعليم والإداريين البارزين عندما أحيل للتقاعد. حيث كان يعمل مديراً للشؤون المالية والإدارية وهو ابن الشيخ/ محمد ابن احمد الزهراني أول مدير لفرع وزارة المالية في منطقة الباحة وابن عم الأستاذ/ إبراهيم بن سعيد الزهراني الذي كان يعمل مساعداً لمدير عام التعليم بمنطقة الباحة وكان قائداً إدارياً بارزاً. حيث كانت القصيدة بعنوان - احتفالية بمواطن ووطن -[٤] حيث يقول فيها :

طرب الوقت والهوى قد تجدد و المساء الندي لان وغرد

و الأقاويل كلها مسرح الشعر إذا البوح غنى وأنشد

---

(١) انظر صفحة (٧٣) من العدد الأول.

(٢) انظر صفحة (٥٨) و ما بعدها .

(٣) انظر صفحة (١١١) و ما بعدها.

(٤) نشرت بمجلة تجارة الباحة العدد (٥٩) محرم، صفر ١٤١٦هـ.

لـست بالـشاعر الغـوي ولكـن لـست عِيًّـا إذا الكـلام تمـرد

انتقي من معادن القول ما أهوى وانظمه لؤلواً وزبرجد

كلمـا قيـل ان الكـريم طـروب خلـت إنـي انـا الفـريض ومعبـد

*****

باحة العز ملعب الغيم جئناك نشـارك الـربع أجمـل مشهد

داعي الاحتفال نادى فلبينا لنحـتفي مع المحتفين بأحمد

أحمـد الله إن مـن إسمـه فيـــه أطـيب معنى .. بل فيه أزيـد

علـم بـث فينـا محبـة العلـم و نمـى فينـا الطمـوح وعـضـد

ماجـد ورث المجـد عـن ماجـد و هكـــذا ينتمـــي مجيـد لأمجـد

مذ عرفناه وهـو النمـوذج الحـي للمربـي الكـريم يـبني ويرشــد

مــذ عرفنـاه وهــو حــر أبــي جاهر الصوت إذا الفصيح تـردد

نبل القصد منه في خدمـة العلـم فأكــرم بقـصده مــن مقـصد

فــارس يـستريح بعــد جهــاد عل جيلا يمضي بحلمه لـلأ بعـد

كل جيـل يـسلم المشعل للآتـي ليـــستمر البنــــاء ويـــصعد

لـيس للجهـل بيننـا مـن مقــام بعد أن شعشع النور في كل معهد

بين جيل التأسيس وجيل التطوير يتصل التنوير والحبل يعقد

قـدر أن نمجـد مـن يخـدم العلـم و الفكر والفــن قــدر أن نمجـد

نبـذل الـروح للـوطن الغــالي ان سل سيف و ان الـسيف اغمـد

وطـن للعلـى قـدم العهـد أوجـد فكم اتْهـم العــز فيـه وأنجـد

منه شعت حضارة طوت الأفق وراحت وراءه تترصد

جانحاهـا ديـن حنيـف وروح   يعربـي مـن طبعـه اباء وسؤدد

خـصه الله بالرسـالات بـالأمس   و اليوم هـا نحـن نـصونها ونجـدد

قـد يتيـه التـاريخ عنـه وعـنا   غـير انـا نعيـده أشـد وأرشـد

ننشد السلم ننكر الظلم نكسر الخصم إذا الخصم صال وعربد

نحمي الدار نسعف الجار ونشتاق للجهاد في كل ثغر و مرصد

لا نبـالي إذا الخطـوب تنـادت   لا نـساوم إذا الحـق يجـحد

لـيس في القـول زيـف افتخـار   عندمـا القـول بالفعـل يـسند

هكـذا نحـن طـوال التـاريخ   لنـا يـشهد الله والخلـق يـشهـد

****

باحـة الخـير عـانقي فيَّ صـوتا   يتغنـى بعـاشقـيك ويـسعـد

أنت جزء من دوحة العز تعطيك فبادليها العطاء بأجود

امنحيها الـسواعد ربتهـا الجـبال   على النبـل والوفـاء الـمؤكد

وامنحيها العقول الخصيبة كالأرض إذا غازلها الغيم تعطي وترفد

جددي عهد بخروش إذ مد كفه لآل سعود كي تكوني أعز وأرغد

كلنـا سليـل عـامر بـن طفيـل   كلـنا سليـل الخليـل بـن احمـد

مصيف أنت للجمال في الصيف   و مـشتىً لـه إذا الهـواء تجمـد

فافتحي القلب وامنحي الحب حتى   كل صب يكون فيك مضنى مسهد

كرمي في الرجال كـل كـريم   و امحضيه الوداد كـما فعلت لأحمد

الدكتور / صالح سعيد الزهراني :

الدكتور/ صالح سعيد الزهراني رئيس قسم الدراسات العليا العربية بجامعة أم القرى.له نشاط أدبي واسع فقد شارك في عدة لقاءات أدبية في انحاء المملكة وألقى عدة أمسيات في نادي الباحة الأدبي منها الأمسية التي ألقيت مساء يوم الثلاثاء الموافق ١٤٢٦/٨/٢٣هـ بمناسبة اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية وكانت محاضرته تحت عنوان - الخروج من ثقب الإبرة قراءة في ثقافة الخوف -.و الدكتور شاعر متألق له ديوان شعر بعنوان - تراتيل حارس الكلاء المباح - صدر في طبعته الأولى عن النادي الأدبي بالباحة في عام ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨م، افتتح ديوانه بإهداء لوالديه اللذين تعلم منهما الثبات على المبادئ وحرقة الشعر ولا شك أن هذا وفاء من الآباء لوطنهم سابقا واتبعه الأبناء جيلاً بعد جيل ومن قصائد الديوان قصيدة موجهة لمسقط رأسه الباحة. وهذا وفاء آخر يشكر عليه. نقطف منها الأبيات الأولى حيث يقول تحت عنوان:

- **الباحة القصيدة** :

توســدي أحــرفي واســتدفئ هــدبي

و حلقــي فــوق حــرفي واســلكي لهــبي

جــوبي الــسراة الــتي رصــعتها قــبلا

مــا زجتهــا وبفمــي، أســقيتها تعــبي

تحســـسي نغمـــي فيهـــا وقـــافيتي

و ســائلي زمــر العــشاق عــن طربــي

و فتــشي تجــدي لــوني ورائحــتي

فــوق الربــا في زهــور اللــوز والعنــب

أميرة الحب مات الحب فانتفضي

و حركي معزفي المخبوءو اقتربي

مدى ظفائرك الخضراء فوق يدي

و سامري رعشة الموال وانسكبي[١]

ثم ختم ديوانه بقصيدة تحت عنوان - فواصل للصبح الجنوبي -[٢] يقول فيها :

يا جبال السراة غيرك ينسى ... لست ممن يموت حباً وينسى

بين جفنيك تستريح حروفي ... تتجلى أحلى وأعمق جرسا

فاعصري الغيم في فمي واغرسيني ... في بلاد طابت ترابا وغرسا

علميني صفو الهوى واشرحي لي ... يا قلاع الجنون في الحب درسا

يا جبال السراة حُمِّلتُ هماً ... في زمان مات الورى فيه حسا

كل قومي في حرقتي في فؤادي ... كيف يقوى هذا الفؤاد الموسَّى

يشرب الأبعدون من فيض حزني ... في وريدي جمعت "بكراً وعبساً"

كان كفي لكل جدب غماماً ... كان صدري لباعة الحب ترسا

كنت ماء وخيمة وصباحاً ... كنت للمظلمين أشرق شمسا

كنت عشا لكل زغب الصحارى ... كنت للمدجلين في الهم مرسى

كان يأتي صوت المحبين قصفا ... و أنا أسكب المحبة همسا

و تناسى أحبتي لون وجهي ... صرت في عرفهم سقوطاً ورجسا

شربوا من دمي ومصوا رحيقي ... و أقاموا فوق الفجيعة عرسا

(١) انظر القصيدة كاملة في ديوانه المذكور صفحة (٣٥) و ما بعدها.

(٢) الديوان السابق ذكره صفحة (١١٩) و ما بعدها.

و اشــرأبت أعنــاقهم لــوداعي يرفعون للزمان الأكف "روماً وفرساً"
و أنــا في دمــي أغــني لقــومي حافظـا للزمـان مـا لـيس ينسى
حــاملاً همهــم شــجى أبــدياً و أقاسـي لأصـبح اليـوم أقسى

وعند زيارة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله حفظه الله لمنطقة الباحة عندما كان ولياً للعهد في ربيع الآخر من عام ١٤١٩هـ الموافق ٣/ أغسطس/ ١٩٩٨م. ألقى الدكتور صالح قصيدة تاريخية رائعة بين يدي جلالته. كان عنوانها - رعشة من نشيد الذاكرة - قال فيها :

المستحيل مـع الأقـدام محتمـل و تحت أقدام من يهوى العلا زحـل
لهذه الأرض في شعري لو اعجهـا و العاشقـون لهم في عشقهم مِلل
مـاذا أقـول إذا حـدثت عاشـقتي و أومأت للقوافي الأعـين النجـل
أقول تأتي القوافي وهـي خاشـعة يهل من ناظريها الكحل والكحـل
في حضرة الأرض هذى تنحني لغتي و فوق زاهي ثراهـا تسجد الجمل
و الشعـر عـشق جنوبي أجادلـه عـشرين عامـا ولمـا يتنـه الجـدل
عصرته من سحاب العصر أحرفه مسك وإيقاعـه الريحـان والنفـل
و "الباحة" اليوم أحلى في مفاتنهـا و في عيون العذارى يحسن الغـزل

****

تـرد للعـرب الأحـرار سيفهم و في النفوس جيوش البغض تقتتل
بيت العروبة" مشدود على شجن" في كل ركن قصي عششت علـل
فهل تحدث في "الجـولان" ألويـة و جرحنا في جبين القدس يندمل
مازال فينا "صلاح الدين" متشحاً شموخـه نابت في رحمـه الأزل

****

ما جئت جاءت صبا نجد محملة بزهوها جاءنا التاريخ يحتفل
جاءت لنا من شموخ النخل باسقة و حل فوق الرواسي هذه جبل

****

من أين أبدأ حبي حين انشده عراه من أمد الآماد تتصل
في كل فصل من النجوى لنا قبس و كل "فتح" لنا في زحفه رسل
صقر الجزيرة" لحن في حناجرنا" أنغامه في غصون القلب تشتعل
و لم تزل زفرة الشاهين في دمنا تغلي وأرواحنا بالزهو تغتسل
هنا جرى، لجنود، الترك مقصلة لما رماهم الى إبائنا الأجل
تهشمت في مواضينا جماجمهم كما تهشم في "ليث الشرى" حمل
و عندما مد صقر المجدّ خافقة و هز سيف المعالي وانتخى البطل
هزت جبال السراة الخضر هامتها و أنصل من كل شبر مخصب رجل
قرن" على الحب ما ملت قصائدنا و لا تولد في قاماتنا" كلل"

****

ماذا أقول وجوه الناس مفصحة جباههم لمعاني حبهم حلل
و فارسا العشق في آفاقنا لغة يأتي بها العطف لا يأتي بها البدل
محمد بن سعود وابنه أمل و من غمام المعالي يرتجى الأمل
والضوء من لمم الزيتون منهمر و السيسبان له في روضه زجل
مسافرون على وعد إذا انعقدت خطى المحبين قادت خطونا السبل
و المبحرون بليل الوهم ما وجدوا درباً ولا رحموا ظهراً ولا وصلوا
يحاربون "طواحين الدجا" أمما و يدعون ولا حس ولا خجل

"محنطون" على حقد النهى ولدوا — و من عجين الخطايا والخطا جبلوا
كم يكتمون على جهل فضائلنا — و الناس يا سيدي أعداء ما جهلوا

****

قصائدي يا أمير الحب مرهقة — لأنني بهوى الأحباب مشتغل
أحفتهم بحروفي تاركا حرقي — فكل حرف بنجوى إخوتي ثمل
ما قلت عنهم تضاريسي تباعدني — وليس لي ناقة فيهم ولا جمل
لو أن أيتام "كوسوفو" ذو ونسب — للغرب ما فعل الأعداء ما فعلوا
أو أن "غزة" منفى في ممالكهم — بقبلة في جبين الجدب ما قبلوا
على ظهور الثكالى ينبني وطن — و المرملات لهن الدمع والمقل
كل الموازين بخس حين تحكمنا — لكنها عندهم بالكيل تعتدل
كم حاصروا في بقاع الأرض من وطن — حر وكم احرقوا قلبا وكم قتلوا؟
لكن نفح هوى الأحرار مؤتلق — أدنى صبا بات قلب الحر معتقل
جراحنا يا مداد الحب راعفة — لكن أبناء هذا الدين ما بخلوا
من كل دمعة محزون لهم سقر — جزاؤهم عندنا من جنس ما عملوا

****

انا دم من عروق المجد كل فتى — كلت يداه له في رعشتي أمل
انا من الطين هذا شكلت حقبا — ذراته وهو خصيب ليس يكتهل
زيتونة جذرها في نجد متكئ — و طلعها في الجنوب اللوز والعسل

****

أتيتنا يا أمير الحب فانبلجت غمامة وكسا وجه الذرا جذل
و الشعرأبحر في بحرين من الق و ضاع في موجه "المجتث" و"الرمل"
واسترسلت لغة الأحلام في خلدي و أشرعت وجهها أيامنا الأول
أيام من عجنوا الصوان واقتسموا خبز الكفاف وما مالوا وما انخذلوا
أيام شيخ سعودي أراقبه يجر عنف الصحارى وهو مبتهل
فوق اللظى سطرت كفاه ملحمة فصولها عجزت عن حبكها دول
جعلتها اليوم موال الهوى وغداً عنها أحدث أبنائي إذا سألوا

وها هو يخاطب ضمير العالم من خلال مجلس الأمن على صفحات ملحق الرسالة بجريدة المدينة تحت عنوان - كيف يشكو إلى القيود الأسير - [1] فيقول :

يا ضمير الأحرار أين الضمير و بلادي مجازر وقبور
كيف يخفى "يا مجلس الأمن" جرحي و دمائي في الخافقين تمور
كيف تنسى "يا مجلس الأمن" وضعي و لديكم عن حالتي تقرير
يا ضمير الأحرار ما جئت.. أشكو كيف يشكو إلى القيود الأسير
و إذا كانت المبادئ أسمى فالعسير الذي ألاقي يسير
ما خبا في دمي شعاع المعالي في وريدي لا ينضب "التكبير"
واقف فوق سيفكم أتلظى وقفتي رجفة وهمسي سعير
يا ضمير الأحرار.. ما عر قوم من قراراتكم .. ولا انهل نور

(١) ملحق الرسالة. الجمعة ٤ / رجب / ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠ / أغسطس ٢٠٠٤م.

مــسر حياتــك استبانت رؤاهــا   شاحـــبات يخـــونها الــتفكير

و الغلاف الذي رسمــت "صليب"   و المــضامين كلـــها "تنــصـير"

يا ضمير الأحرار.. دهــرك ظلـم   و دهور الظــلام يــوم قـصـير

كــل يــوم تمــد كــف حنــون   بالعطايــا وأنــت كلــب "عقــور"

فــي ربوع الصومال فرقت أهـلي   فــأ فاقـــوا ومجـدهم زمهـــرير

و دخلــت البلاد من ألـف بـاب   وأقيمـــت معابـــد وجـســور

وعــلى القدس راعف من هـواكم   شرقـت مـــنه بالمدامع صـــور

كـــل فجـر جنـازة، ورصـــاص   و عليهـا مـن عـدلكم منشـــور

حدثوني عـــن غزة، عن هــواها   كيف ماتت فوق الغصون الطيـور؟

حــدثوني عـــن برتقالــة صـيدا   كيـف شاخت أغصانها والجذور؟

حــدثوني عــن وجـــه لبنـان لمـا   جف فيه الندى، وجف العبــير؟

حدثوني عـن طفلــة ساءلتكـم   عن أبيهـــا، أين احتواه المـصير؟

الــشهادات والقــضاة لديكـــم   و ضحايا الأسى غياب حضـور

كــل دعــوى لهـا لــديك بيـــان   و دليـــل وشـــاهد مــــنك زور

يخنق الصوت في الحناجر ظلمـاً   و تظـل القلـــوب فـــيها زفـير

يخسف البـدر، والنجـوم تهـادى   و الليـالي بالمذهـــلات تـــدور

أيهـا المـسلمون هـذا خطـــابي   عربـي مـا فيـه حـــرف أجـــير

فاقرأوا سحنتي وفحـوى خطـابي   و افهموا ما تغـض عنـه الـسطور

انـا قلـــب متـيم بهواكـــــم   انا قلـب علـى أسـاكم غيـــور

أيها الصابرون طال التمادي   في خلافاتنا وطال المسير
و إذا لم يكن على الصدر سيف   فليكن في الضلوع قلب جسور
مجلس الأمن ... لعبة أحكمتها   كف باغ، بالموبقات خبير
لكأني بكم شياه بليل   شتويّ، و الليل ليل مطير
كيف يرضى الفتى وقد كان رأسا   أن تطأ أوجه وتحنى ظهور
كيف يغد وللخانعين مطيعاً   و هو في ناظر الزمان أمير
نحن مليار لاقرار جريء   يصطفينا، ولا بنان يشير
نحن مليار عر فيه رشيد   عر فيه للمجد سرج وكور
عرفينا .. وكيف والأمر فوضى   عر فينا وقت النداء النصير
غير أنا يا "مجلس الأمن" فجر   أحمدي وليس للفجر سور
يسقط المسرح الكئيب جهاراً   و المغني، والمخرج المشهور
يسقط المبدأ الذي كان يأتي   يتسلى بزيفه "الجمهور"
صوتنا قادم .. وصعب عليكم   لو علمتم .. ما يحتوي التفسير

وللدكتور الشاعر/ صالح قصيدة قصيرة نوع ما تعتبر من عيون الشعر العربي الفصيح تحت عنوان - خصوصية -[1] يقول فيها :

لنا البحر، والموج، والمرفأ   لنا الكف، والصف، إذ نبدأ
لنا دائما نكهة المستحيل   فقل للمحبين أن يهدأوا
و لدنا من الريح والمعصرات   و نوَّارة النهر لا تظمأ

(١) انظر جريدة الندوة العدد (١١٤٨٤) الخميس ١/ ربيع الثاني ١٤١٧ هـ.

مـن الأفـق تنـداح شـــامية إذا أسـرجت وجهها طأطـأوا

لنـا قامـة النـــخيل، قنديلـــها و بـرق علـى صــدرها يهـزأ

****

و في مقلـة الحـر تزهـو القـذاة لأن الــدجى قلــــبه مطفـــأ

و يمـضي النهـار علـى رســله أصـاب المريبـون أم اخطـــأوا

لنـا الـبرق، الخفــق ، المنتـهى لأنـــا بغـــاياتنا الأكفـــأ

خبرنـا نفوســاً لهـــا مـــبدأ رديء و معــــــــدنها أردأ

و لكننـــا فوقهـــا غيـــمة و طبـع الغـــطاريف أن يربـأوا

غـسلنا الحـزازات ولكــن أبـت فـــنفس المنافــــق لا تـــبرأ

****

لنـا فـوقهم صيقل مـن هـــوى و سـيف الــصبابة لا يــصـــدأ

لهـم في الهـوى مبــدأ راســخ و نحـن لنـا في الهـوى مـــبدأ

هـــمُ يلـــجأون إلى كيدهـــم و نحـــن إلى ربنـــا نلـــجأ

حسن بن محمد حسن الزهراني :

حسن محمد حسن الزهراني، مدير مدرسة القسمه التابعة لمحافظة القرى بمنطقة الباحة له باع طويل في نظم الشعر العربي الفصيح وشعر التفعيلة.يعتبر من فحول الشعراء في هاذين النوعين من الأدب العربي الراقي. وهو عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية. ونائب رئيس النادي الأدبي بالباحة ورئيس اللجنة الثقافية. أطلق عليه محبوه بحتري الباحة

لجودة وغزارة إنتاجه الأدبي. ينفرد عن غيره من الشعراء ويتميز عنهم بأسلوبه الفريد في الإلقاء يهز المشاعر عند إلقائه فيجعل من لا يحب الشعر يحبه ويصغي إليه يملك قدرات قلما يتمتع بها شاعر على إخضاع القوافي وبنات الأفكار لرغبته فتاتيه طائعة وترتمي في أحضانه فيجنّح بها وتجنّح به ويجنحّان معا بالملتقى إلى آفاق الحب العذري والوفاء.

صدر له عدة دواوين شعرية على النحو الآتي :

١- أنت الحب : صدر عام ١٤٠٨هـ.

٢- فيض المشاعر : صدر في طبعته الأولى عام ١٤١٢هـ وحاز على جائزة أبها الأدبية في نفس العام الذي صدر فيه.

٣- صدى الأشجان : صدر في طبعته الأولى عن نادي الباحة الأدبي عام ١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٨م وصدر في طبعته الثانية عام ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦م.

٤- ريشة من جناح الذل : صدر في طبعته الأولى ١٤٢٠هت وخصصه الشاعر لرثاء والدته رحمها الله تعالى.

٥- قبلة في جبين القبلة : صدر في عام ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠٠٢م.

٦- تماثل : صدر في طبعته الأولى عام ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠٠٥م.

٧- قطاف الشغاف : صدر في طبعته الأولى عام ١٤٢٧هـ الموافق ٢٠٠٦م.

٨- أوصاب السحاب: صدر في طبقة الاولى على ١٤٢٧ المؤافق ٢٠٠٧م تشرف الشاعر بإلقاء قصيدة بعنوان - بحر الخصال وزورق الشعر[١] - بين

---

(١) نشرت في جريدة الندوة العدد (١٢٠٨٦) يوم الاثنين ١١/ ربيع الأول / ١٤١٩هـ.

يدي خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز في حفل استقبال جلالته في المندق عندما زار المنطقة حفظه الله [1] وهو ولي للعهد. في ربيع الآخر عام ١٤١٩هـ الموافق أغسطس عام ١٩٩٨م حيث قال فيها :

أشرق الحب واستبان الصفاء	و تدانت من "السراة" السماء
سألتها السراة : أين التعالي؟	أين ذاك الشموخ والكبرياء
فأجابت دنوت أحظى بقرب	من قريني إن الغرام عناء
ضيفكم ياسراة ضيف عزيز	بين جنبيه جنة غنَّاء
كوكب السعد جاءكم في وقار	فتجلَّى على الوجود الضياء
قلت أهلاً ومرحباً يا أميراً	طبعه العدل والتقى والسخاء
قال أهلا (محمد بن سعود)	قالها (فيصل) فزاد البهاء
(يا أبا متعب) أتيت فأهلا	رددتها القلوب والأعضاء
رددتها الأزهار والطير شدواً	رددتها جبالنا الشماء
كل شبر في (باحة) الحب حيَّا	ركبك الحي حين حان اللقاء
كل غصن وكل ذرة رمل	كل مزن ينساب منها الماء
كل روض وكل تل وواد	نث منها الترحيب فاح النقاء
كل روح وكل قلب ونبض	زفها نحو مقلتيك الولاء
كل هذي الجموع جاءت سرورا	وتغنت حبا فطاب الغناء

---

(١) نشرت في ديوانه قبلة في جبين القبلة صفحة (١٩) و ما بعدها.

كلنــا هاهنــا بــساتين صـــدق كلنا الحب والــرضا والـــوفاء
يا أبن (عبد العزيز) هذي خطـاه رسمتهــا النجــوم والأضـــواء
صـاغ (عبـد العزيـز) للعـز تاجـا اســتظلت بظلـــه الـــصحراء
فغــدت جنــة وطابــت ثمـــارا ســاد فيهـا الأمـان عـم الرخــاء
وسـلكتم مـن بعـده خـير نهـج طرزتــه الــشريعة الــسمحاء
يا أخا (الفهـد) أبلـغ الفهـد أنـا جـند فهـد إذا أتانـــا النـــداء
ان وثبنـــا أرواحنـــا سابقتنـــا وتـــوارى عـــن جمعنـا الأعـداء
يـا أبـا متعـب لـك الـشكر منـا كـل مـا داعـب الغـصون الهـواء
جئت أهلا في وجهك الطلق نـور جئت أهلا في راحتيـك العـطاء
جئتنـــا يـــا حبيبنـــا فـــا القـــوافي مـــن ذهـــول كأنهـــا خرســـاء
أنت بحـر مـن الخـصال وشـعري زورق مـــا لـــشوقه مينـــاء
أنت شمس تـضيء في كـل أرض أنـت للمـوجعين مـنا الـدواء
حبـك العـذب للقلـوب حيـاة ومحيـــاك شـــع منـــه الحيـــاء
ألف أهـلاً يـا خـير ضـيف أتانـا صـانها البـدء خانهـا الانتهـاء
ألـف أهـلاً وألـف أهـلاً وسـهلاً مـا تـوالى صـــباحنا و المـساء

وقد تابعت جريدة المدينة مع كل الصحف المحلية زيارة جلالته للمنطقة باهتمام بالغ فكتب الأستاذ/ محمد على الزهراني تحت عنوان - حرارة اللقاء وروعة المشاعر -[1] حيث قال : (لم تتجسد فرحة أهالي منطقة

---

(١) انظر جريدة المدينة صفحة محليات العدد (١٢٨٨٩) الاثنين - ١١-ربيع الأخير-١٣١٩هـ الموافق ٣-أغسطس -١٩٩٨م

الباحة بزيارة سمو ولي العهد حفظه الله ورعاه في المشاعر ومظاهر الحب والولاء فخروجهم على الطرقات والشوارع العامة وهم يرفعون راية التوحيد ويحملون صور خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي العهد الأمين لم تتجسد فقط بل تجاوزت هذا الأمر حيث شعر كل فرد منهم بان هذه الزيارة الميمونة ليست للمنطقة بل لكل فرد منهم على حده فخرجت الحفاوة في حجم الضيف الكبير) إلى أن قال (وكان واقع الحال يقول كما قال الشاعر حسن الزهراني :

أشرق الحب واستبان الصفاء ... وتدانت من السراة السماء

يا أبا متعب أتيت فأهلا ... رددتها القلوب والأعضاء

وفي العام الذي تلاه تشرفت المنطقة باستقبال صاحب السمو الملكي ولي العهد – سلطان بن عبد العزيز آل سعود – عندما كان نائب ثانيا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للدفاع والطيران ومفتشا عاما فألقى الأستاذ/ حسن بن محمد بن حسن الزهراني بين يدي سموه قصيدته التي كانت تحت عنوان / من لؤلؤة الجنوب إلى حبيب القلوب[1]: قال فيها:

في كل يوم لليقين أذان ... فمتى ستدرك كنهه الآذان

ومتى يثوب السادرون لرشدهم ... إن الزمان لغيهم يقظان

من سف لم يبرح حدود مكانه ... ولمن سما بين النجوم مكان

كل امريء يبني جسور حياته ... وفقاً لما قد قدر الرحمن

فإلى رياض الرشد من لبس التقى ... وإلى الردى من غره الشيطان

---

(١) انظر جريدة المدينة صفحة الوطن العدد (١٣٤٩٠) الخميس – ٢٤-ذي الحجة -١٤٢٠هـ الموافق ٣٠- مارس -٢٠٠٠م وديوانه قبله في جبين القبلة صفحة (٤٥) وما بعدها. انتهى

مـاذا يقـول إذا دعـاه إلهـــه ... قف للحساب كما تدين تـــدان
تـأبى الجـوارح أن تحـرك سـاكنا ... و يخـر تحـت ذهولـه الإنـسان
يـا نفـس مـا أنـا واعـظ لكـنني ... في مـوج مفـترق المنـى حـيران
اسعى فترتحل الدروب عن الخطا ... و أطـير يمحـو رسمـه العنـوان
و تضيق أوراقي بفيض مشاعري ... و تحـار في تنغيمهـا الأوزان
قلـبي علـى فـنن القـوافي طـائر ... يشد وفترهـف سمعهـا الألحـان
يبكي على "القدس" السليب وتـارة ... تنـداح عـبر دموعـه "لبنـان"
كـشمير" و"البلقـان" في زفراتـه" ... تـسري وتوقـد حزنـه "الشيـشان"
كـم بـات موجوعـاً يـسامر همـه ... و تحيطـه الآهـات و الأحـزان
حتـى تـذكر أن رايـة نـصرنا ... بـيمين "فهـد" حولـه الفرسـان
و عضيده ليث يذود عـن الحمـى ... فكـأن ثـورة عزمـه بركـان
و يدور من حول العرين على المدى ... بدهائـه في خفـة "سلطـان"
أبنـاء مـن جمـع الـشتات بحكمـة ... و حمى الجزيرة إذ هوى الطغيان
أرسـى دعـائم مجـدنا بكفاحـه ... حتـى تـسامق بالهـدى بنيـان
"عبد العزيـز" الفـارس الفـذ الـذي ... مـا رام ناصـع ذكـره نـسيان
قامـت بفـضل الله ثـم بفـضلـه ... للعـز مملكـة و قـام كيـان
دستورها (القـرآن) منـذ قيامهـا ... أيـضل مـن دستوره القـرآن ؟
العـدل في أرجائهـا متـربع ... و يـسود أمـن طاهـر وأمـان
قـرن مـضى والنـور في قـسماتها ... فجـر يـسير أمـامه الإيمـان
مـن ثغـر مكـة والمدينـة للـورى ... ينـساب في الكـون الفـسيح أذان
عشنا هنـا وهنـاك نـشرب طهـره ... و يفـوح مـن أنفاسـنا العرفـان

و اليوم يا سلطان جئت معايداً   و العيد أنت و بعدك الخسران

لو قالت الأيام من بحر الندى؟   لأشار نحوك بالبنان بنان

أهلاً أمير الخير ما لسرورنا   وصف وما لحبورنا شطآن

الباحة الغناء لما جئتها   جاءتك قبل رياضها الأبدان

والورد والكادي حباك عبيره   و كساك عذب أريجه الريحان

جاءتك لؤلؤة الجنوب فؤادها   لسناك يا محبوبها عطشان

و أميرها نعم الأمير"محمد"   أفعاله من حوله برهان

و وكيله الشبل المحنك "فيصل"   نمنا وطرف حنانه سهران

جاءتك "غامد" والوفاء شعارها   و أتت بصادق ودها زهران

جئناك و الآمال فيك كبيرة   و نداك مات بسيفه الحرمان

نشكو إليك القحط بعد إلهنا   يا من تعشق كفك الإحسان

البحر يهدر قربنا وحقولنا   ماتت وناحت بالأسى وديان

والنازحون عن الجفاف هوت بهم   كف القنوط ودمعهم هتان

فاجلب إلينا الماء يا من جوده   لقضاء حاجات العباد حصان

و يظل "سفاح الجنوب" يروعنا   و يذوق فاتك بطشه الخلان

هذا طريق الموت شرب دموعنا   و دمائنا في شرعه إدمان

في كل يوم في الجنوب مناحة   و بكل بيت يندب الصبيان

كم من أب حرم الحنان صغاره   و طوته رغم شبابه الأكفان

كم من فتى آماله ممدودة   قطعت وذاب لحاله الصوان

ها نحن قد بحنا ببعض همومنا   و رحاب قلبك رحمة وحنان

سلطان أهلاً ما ترنم طائر   و تمايلت من شدوه الأغصان

كل الـذين هنـا رجـال شــهامة و لهم بساحات البطــولة شأن
سل تربـة الـوطن الأبـي وجـوه ينبيـك عـزم صـادق ولـسان
بعض الشيوخ هنا جنود أبيك اذ نـادى فانجـد نحوه الأعـــوان
أمـا البقيـة هـــم جنـود قـدموا للفهد عهداً مـا تـلاه جبـــان
ما عـاش في قمـم الـسراة مخادع أبـداً ولم يمكـث بهـــا خوَّان
ألقى الـولاء رحالـه في نبضنا لبلادنـا وتجلــت الأشــجان
فـإذا النـشيد تحيـه قــدسية و إذا بصمــت الـمخلصين بيـان
و إذا الـسحاب يقـول في عليائـه اهلاً بركب الخير يـا سلطـــان

و قد تشرف الشاعر بتقديمها لسموه الذي تسلمها بيد الأب الحاني ووعد بتسليمها لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد وقد وفّى بوعده وها هي رقبة سفاح الجنوب تُدَقُّ ليطاطيء رأسه العالي لإقدام حجاج بيت الله الحرام وزواره والمعتمرين وزوار مسجد رسوله صلى الله عليه وسلم وقد كتب الدكتور/ مازن بليله في زاويته حين ذاك - صباح الخير - معلقا على روعة قصيدته وروعة تجاوب سموه لمطالب أهل هذه المنطقة ومما قاله تحت عنوان - جئناك والآمال فيك كبيرة - الشطر الأول من البيت السادس والثلاثون. حيث قال :

(ألقى الشاعر الكبير الأستاذ/ حسن محمد الزهراني قصيدة رائعة بين يدي سمو الأمير/ سلطان بن عبد العزيز في حفل الأهالي بالباحة وأجمل ما في القصيدة التي كتبت من البحر الكامل بالفصحى أنها لخصت مطالب واحتياجات أهل المنطقة بأسلوب مختصر ولكنه مؤثر وفعال حازت على إعجاب كل من سمعها أو قرأها وتفاعل مع الآم وآمال

المواطنين هناك، فكيف وقد خاطبت رجلاً كريماً له كف شبهه الشاعر بأنه احد من السيف القاطع للحرمان قائلاً :

جئناك والآمال فيه كبيرة ... و نداك مات بسيفه الحرمان

وكل أبيات القصيدة التي زادت عن الخمسين رائعة ومؤثره لكن الأكثر روعة والابلغ تأثيراً كانت المواقف النبيلة لسمو الأمير سلطان في تجاوبه مع احتياجات الأهالي بصفة خاصة ومطالب المنطقة بصفة عامة..... الخ)[1].

و في قصيدة له بعنوان - كذب ابن هانئ -[2] ظهر دفاعه عن دينه جليا حيث قال :

(ما شئت لا ما شاءت الأقدار ... فاحكم فأنت الواحد القهار)

يا رب يا من لا يرد قضاءه ... عزم ولا حزم ولا إصرار

يا من له سجد العباد مهابة ... و الطير والأشجار و الأحجار

و خلقت هذا الكون دون مشقة ... في الستة الأيام يا جبار

و صنعت فيه من العجائب كل ما ... عجزت تفسر لغزه الأفكار

و جعلت سرك فوق فهم عقولنا ... سر تخر أمامه الأسرار

و بعثت بالدين القويم محمداً ... هلت بساطع هديه الأنوار

و جعلت في القرآن منهجنا فما ... أضحى لنا بعد الهدى أعذار

و رزقتنا نعما تعذر حصرها ... اجلها الأسماع والأبصار

---

(١) انظر العدد (١٣٤٩٢) جريدة المدينة صفحة الوطن الصادرة يوم السبت ٢٦/ ذي الحجة/ ١٤٢٠هـ الموافق ١/ ابريل / ٢٠٠٠م.

(٢) انظر ديوانه صدى الأشجان صفحة (٨٧).

و اجل منها العقـل سـر غـامض ... و الـروح أعظـم واللبيـب يحـار

ووهبتنا الأرض الفسيحة عندمـا ... تهمي على أجزائها الأمـطار

تحيـا ويـصبح كـل جـزء قاحـل ... روضـا تـزين وجهـه الأزهـار

و حفظت في الأعماق ماء طـاهراً ... و جرت على وجـه الثرى انهـار

و تبسمت أبها الـورود بعطرهـا ... و تسامقت في جوهـا الأشـجار

فبسطن تحت الشمس ظلا وارفـا ... و نمـت علـى أغـصانهن ثـمار

سبحانك اللهم يـا مـن جـوده ... لا ينتهـي وعـطاؤه المـدرار

إني وقفت أمام جـودك حـائراً ... فلـه علـى كـل الـورى آثـار

فشكرت فضلك يا كريم وليس لـي ... أمـل سـوى الغفـران يـا غـفار

رحمـاك يـا ربـي بعبـد تائـب ... غلبـت علـى حـسناته الأوزار

فأتـاك يرجـو رحمـة مـن ربـه ... فـارحم فأنـت الـراحم الـستار

يا ربي إني قد كتبت قـصيـدتي ... رداً علـى مـا قـاله الأشـرار

قال "ابن هانيء" "للمعز" مشيـعاً ... "ما شئت" فاستـولى عليه العـار

جاءت قـصيدته لتفـضح سـره ... فكأنهـا بـين القـصائد نـار

ساءت قـصيدته فـساء مـصيره ... و تأوهت مـن جـهله الأسـفار

و تأذت الأسمـاع مـن أبيـاته ... و تعففت عن نقلهـا الأخبار

فشدوت يا ربي بعونـك قائـلا ... "ما شئت" لا ما شاءت الأقـدار[١]

---

(١) انظر ديوانه صدى الأشجان في طبعته الأولى صفحة (٨٧).

وقد تفاعل الأدباء مع هذه القصيدة فنشرت الندوة الأدبية تحت عنوان - ابن هانئ والزهراني بين الخطأ والصواب - تعليقا للأستاذ الشاعر / معيض البخيتان جاء فيه :

(أبدى الأستاذ الشاعر معيض البخيتان إعجابه بشاعرية الأستاذ حسن محمد الزهراني وقال : ان هذا الشاعر يتمتع بحس مرهف وموهبة أصيلة وصور إبداعية جميلة ولقد كان البخيتان يبدي ذلك الإعجاب منذ بروزه عبر ملحق الندوة الأدبي ولازال يتابع كل ما ينشر له من قصائد جديدة والتي كان آخرها قصيدته التي نشرت بالصحيفة الأدبية في عدد يوم السبت الماضي تحت عنوان - كذب ابن هانئ - التي يرد فيها على قصيدة الشاعر ابن هانئ الأندلسي التي شيع بها المعز لدين الله الفاطمي عندما كان ذاهباً من المغرب إلى القاهرة حيث يقول في مطلعها :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

حيث عارضها على نفس البحر والروي، لكنه خالف الشاعر لتجاوزه شطحاته.

و قد أظهر " البخيتان " امتعاضه لتجاهل النقاد لهذا المبدع الأصيل وهو يرى بعض التراكمات والتزييف والمبالغات التي يغدقها الشللية على بعضهم البعض مع أن بعضهم لا يمتلك من الموهبة الشعرية أي شيء وقد أردف قائلاً : (لكن الأيام كفيلة بكشف الزيف وتعرية أولئك المتنفجين والأدعياء وقد لمسنا خلال الفترة الماضية انحسار الكثير واختفاء الأسماء الملمعة التي لا يشفع لها ما سلط عليها من أضواء أو ألقاب وقد خفتت وتلاشت وبقي الأصيل والشاعر الزهراني واحد من فرسان

القصيدة الأصيلة المتجددة الملتزمة فكيف تجاهله النقاد ؟)[١].

وبعد أسبوع من تاريخ نشر هذا التعليق للأستاذ البخيتان نشرت الندوة الأدبية تعليقا نثريا وقصيدة للشاعر محمد خواجي تعقيبا على الموضوع تحت عنوان - ابن هانئ ومعارضة الزهراني -[٢]. حيث قال :

(عندما قرأت قصيدة الأخ الشاعر/ حسن محمد الزهراني بعنوان " كذب ابن هانئ " تفاعلت راضياً عن منهج الأدبية الصحيح وعلاجها الناجع وأنها صورة للإصلاح والنقد الأدبي الفني فعارضت بهذه المقطوعة ثناء على الأدبية عبر الندوة وان كانت لا توازي بما يستحق الذكر قياساً بدفاع الزهراني وعطائه) تقول القصيدة :

نشطت صحائف والتقت أفكار ... و على الموائد تنتقى الأخيار

يا ندوة الآداب فيك أصالة ... و الصدق درع والصفاء إزار

أصلحت للأدب القويم طريقة ... و النقد لولاه طغت أشرار

وبنيت صرحاً للعقول بناته ... من حرف هذا الضاد لا ينهار

أدبية، علمية، فنية ... و علت باسمك حكمة وشعار

نجني قطوفاً من رياضك ذوقها ... حلو تلذ لطعمه الأفكار

و نقدت أهل السوء في أشعارهم ... "ما شئت لا ما شاءت الأقدار"

هذا بن هانئ ضل في توحيده ... فتشابهت أفكاره ونزار

و للشاعر/ حسن بن محمد بن حسن الزهراني قصيدة تعتبر من عيون

---

(١) راجع الندوة الأدبية العدد (١١٤٤١) الأربعاء ١٠ / صفر / ١٤١٧ هـ.

(٢) راجع الندوة الأدبية الصادرة يوم الأربعاء ١٧ / صفر / ١٤١٧هـ.

الشعر العربي الفصيح ألقاها في اجتماع رؤوسا الأندية الأدبية أمام صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر أمير القصيم وقد أعجب سموه بها وأثنى على الشاعر وقصيدته فتشرف الشاعر بإهداء سموه نسخة منها وليس بغريب ان يعجب سموه بهذه القصيدة ويثني على الشاعر وهو من الأسرة السعودية الحاكمة والمعروف ان فيهم نسبة كبيرة من الشعراء المبدعين في الفصحى والنبطية يأتي في مقدمتهم صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل صاحب ديوان محروم وقد غنى له أكبر المطربين في الوطن العربي ثم صاحب السمو الملكي خالد الفيصل أمير منطقة مكه المكرمه. والأسرة يتذوق غالبيتهم الشعر بصفة عامة. ولديهم القدرة على معرفة أسراره وما وراء سطوره. والقصيدة بعنوان – عذّب فأنت محبب –[1]: يقول فيها.

جـاء المحـب لخلـه بفـوائــده — في كفـــه ودمـــاؤه تتـــصبب
قال اقبل القلب الجريح هــدية — يا مـن بظلمـك خـافقي يتعـذب
هذا فؤادي نصب عينك كي تـرى — صـدقي بحبـــك أيهـا المتقلـب
خذ قلبي المـضنى ليطفــئ نزفـــه — نـيران شـكك عنـدما تتلهـــب
و كفـاك تعـذيبا لخـل مخـــلص — تسقيه كاس الموجعات ويـشرب
فتنـاول المحبــوب قلــب محبــــه — و رماه فهو على الـثرى يتقلـب
فإذا دمـاء القلـب تكتـب صـدقة — عذب كما تهــوى فأنـت محبـب

و للشاعر/ حسن قصيدة أخرى تعتبر من عيون الشعر العربي الفصيح

---

(١) انظر ديوانه صدى الأشجان على الغلاف الأخير من الخارج و صفحة (٩٠) داخل الديوان الطبعة الثانية الصادرة عام ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠٠٥/٢٠٠٦م.

ومن أجمل ما قيل في مدح الوطن وولاته الذين كان لهم بعد الله الفضل في نهضته المباركة في العصر الحاضر بعنوان - قبلة في جبين القبلة -[١] تقول كلماتها :

إليك تهفو قلوب الخلق يا وطني ... و منك يشرق نور الحق في الزمن

يا قبلة الكون هذا يوم وحدتنا ... كنا ولكن هذا السعد لم يكن

كنا شتاتا "فمد الصقر" خافقة ... و ضمنا بجنان دافق هتن

ما زال "عبد العزيز" اليوم في دمنا ... ينساب بين هضاب الشام واليمن

إحدى يديه بها المرجان ناصعة ... و لؤلؤ في اليد الأخرى على السفن

وفوق هامته الشماء مصحفة ... و راية الحق نور في دجى الإحن

بنى على العدل والإحسان دولته ... و كان سهماً على الأحقاد والفتن

و خط دستورها من هدي خالقه ... فرفرف الأمن في الصحراء والمدن

و سوف تبقى له في كل ثانية ... من عمرنا دعوة في السر والعلن

من كان هدي إله الكون منهجه ... لم يخش باس بني الدنيا ولم يهن

يا قبلة الكون هذا يوم وحدتنا ... شدت بلابل أفراحي على فنني

عيد تسطره الآمال في كبدي ... و بهجة نقشت في صفحة الشجن

قصيدتي قبلة خضراء يطبعها ... ثغر الرضا في جبين المجد للوطن

يا موطني كيف أبدي عشق قافيتي ... و لست وأسفي بالشاعر اللسن

فتحت عيني فكنت النور يا وطناً ... شربت عشقك في مهدي مع اللبن

فما انا غير جزء منك تحملني ... بكل عطف وأنت الروح في بدني

---

(١) انظر ديوانه قبلة في جبين القبلة صفحة (٧) و ما بعدها.

و أنت رعشة حب صادق ولـدت بيضاء تمتـد مـن مهـدي إلى كفـني
أراك في يقظتـــى شمـــسا محلقـــة أراك بدرا من الأحلام في وسـني
أراك ظـلاً يبـث الأمـن في قلقـي أراك عزماً يـشب النـار في وهـني
أراك في رايـــة التوحيـــد مؤتلقـــا تشع ضوء هدى من وجهها الحسن
يا قبلة الكون غنت كـل أوردتـي و رددت شدوها الأنفاس للبـدن
و قامت الروح تتلو الـشدو قائلـة سلمت من نائبات الدهر يا وطني

و لا شك ان اختيار بعض أبيات هذه القصيدة من قبل وزارة التربية والتعليم وتدريسها ضمن مقرر النصوص للصف الثالث المتوسط لملايين الشباب فتشدو بها حناجرهم في كل حين تمجيدا لوطن الإسلام ومنبع الرسالة ولقادته العظام الذين ارسوا قواعد الأمن فيه وبنوا نهضته الحديثة حتى أصبح في مصاف الدول المتقدمة تحت عنوان - قبلة في جبين الوطن - لشرف للشاعر ولبيئته التي عاش فيها وترعرع. انها البيئة التي حاربت الصعلوك ثابت بن أوس "الشنفرى" حتى قضت عليه في الناصف من أبيده التي لا تبعد عن مرابع هذا الشاعر إلا قليلاً من الكيلوات. نتيجة لعقوقه لوطنه الذي كان له الفضل عليه بعد الله[1].

و الله المستعان،،،،،

الدكتور / عبد الرزاق بن حمود الزهراني :

أستاذ علم الاجتماع في جامعة الأمام بن محمد بن سعود ، رئيس الجمعية السعودية لعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية في المملكة العربية السعودية

---

(١) راجع كتاب النصوص المقرر على الصف الثالث المتوسط و على الأبيات المختارة صفحة (٤٥) و ما بعدها.

وبالإضافة إلى ذلك فله اهتمامات أدبية وقد شارك في أمسيات شعرية عديدة في نادي الباحة وغيره وهو ممثل هذا النادي في منطقة الرياض وله دواوين شعرية مطبوعة منها ديوانه - الوادي المهجور -. صدر في طبعته الأولى عام ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠٠٢م يتنقل فيه ما بين شعر الفصحى والتفعيلة.أودع فيه أشواقه وحنينه لأيام الصبا عندما كانت الأودية تجري بالماء الزلال والجبال مكسوة بالبساط الأخضر والمحاريث تشق الأرض لتزرع قوتا للفقراء والأغنياء على حد سواء واليوم وبعد أن غاب فترة من الزمن وعاد إلى تلك المرابع وجد الجداول ناضبة والأرض قاحلة وقد هجر الناس ديارهم ليرحلوا إلى بلاد أخرى وإلى حياة أخرى فهزه الشوق إلى الماضي فاستدعى قريحته ذلك المنظر فجادت بعبارات مؤلمه يتأثر بها من يتخيل المنظر من الشباب وتسيل العبرات على وجنات من عاش تلك الفترة وتمرغ في حضارة اليوم الزائفة. و مما قاله في تقديمه لقصيدته التي حمل الديوان اسمها : (كان واديا يعج بالنشاط والحركة والإنتاج وعندما هجره أهله إلى المدن تحول إلي وادي أشباح)[1]:

مـرت عليـك نوائـب الـدهر	يـا وادي الأشـباح و القفـر
مـرت عليـك وأنـت لا تـدري	يـا واحـة تـشكو مـن الهـجر
يـا واديـا مـا كـان أجملـه	في سـالف الأيـام والعـصر
مـن حولـه الأشـجار باسـقة	والمـاء في أحـضانه يجـري
والطـير أرواح مغـردة	و قـصورها تزهـو على الـشجر
و هنـاك كـان أبـي و والـدتي	يتعهـدان الأرض بالـبذر

(١) انظر الديوان صفحة (٤٦) و ما بعدها.

و أخي و أختي والصغار معي نلهو بلا خوف بلا حذر
نبني قصوراً من حجارته و نطير لا نخشى من الخطر
نلهو و جل حياتنا مرح و نواجه الأيام بالبشر
ما كان في مشوارنا عرض نخشى عليه غوائل الدهر
نحيا الحياة بكل بهجتها و لذي الجلال عواقب الأمر
أبدانا تشقى و راحتنا في موسم يزدان بالثمر
وعلى السقيفة ينقضي زمن في ذب أفواج من الطير
نحمي المزارع من غوائلها و نذودها لنعيش في يسر
و كأنها جيش طلائعه قد دربت للكر والفر
تأتي وتهجم ثم نطردها و تعود بعد قليل للكر

****

و على ضفافك كم مضى جمل يرعى ويحصد عالي الشجر
و مع الصغار له صداقات تبقى كمثل النقش في الحجر
يا واديا ملئت جوانبه بالحب يسقي الأرض كالمطر
تتعانق الأصوات في نغم يأتي مع إطلالة السحر
الكل يمضي في مشاغله بسواعد قدت من الصخر
و عزائم تمضي لغايتها في صبرها أقوى من الصبر

****

و تغيرت أحوالنا وغدا كل إلى أعماقه يجري
أرتاحت الأبدان واشتعلت نار ببعض بريقها تغرى

تعب النفـوس حـرائق ولظـى بعروقنـــا وقلوبنـــا تـــسري

****

هجروك يـا وادي الرضـا وغـدو كفراشـــة تـــسعى إلى القـــبر
مـــرت عليـــك نوائـــب الـــدهر يـــا وادي الأشـــباح والقفـــر
مرت عليـك و أنـت في عجـب مـــن عـــالم الأهـــواء والغـــدر
ثغـــر الحيـــاة إليـــك مبتـــسم و فؤادهـــا أقـــسى مـــن الحجـــر
و حـــديثها حلـــو ومنطقهـــا في فتكـــه أقـــوى مـــن الـــسحر
يـــا وادي الأشـــباح يـــا حلمـــا ولَّـــى مـــع الأيـــام في الـــصغر

أما في ديوانه الثاني الذي صدر في نفس العام ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠٠٢م تحت اسم - الضمائر الغائبة -. فقد قال في مقدمته بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله وخيرته من خلقه سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم : (هذه مجموعة من المقطوعات الشعرية القصيرة معظمها خماسيات نشرت في الصحف والمجلات المحلية وقد عمدت إلي كتابة تلك المقطوعات القصيرة لتناسب روح العصر القائمة على السرعة والاندفاع والقلق فكثير من الناس يستنكف عن قراءة القصائد الطويلة والمتوسطة بدعوى أن وقته ضيق وأنه في عجلة من أمره.و رغم قناعتي أن معظم الناس يملكون الوقت الكافي للقراءة بصورها وأشكالها المختلفة إلا أن القلق يضربهم بسياطه ويحاصرهم أنى ذهبوا وهذا مرض من أمراض العصر وإفراز من إفرازاته. ورغم قناعتي هذه فقد عمدت إلى كتابة المقطوعات القصيرة حتي يتمكن من يطالع الصحف والمجلات المحلية من

قراءتها أثناء تصفحه.... الخ)[١] .

وقد طغت على نصوص هذا الديوان هموم شخصية وعربية ومما قاله تحت عنوان - تطلّع - بضم اللام وشدة :

لا تحـدثني عـن الماضـي البعيـد   أنـا مـشتاق إلى الفجـر الجديـد
طـال ليلـي أرقـب النـور ولـي   مؤنـسات مـن بـروق ورعـود
و إذا أمطـر صـمت لم أجـد   شـاعراً يـؤنس روحـي بنـشيد
كـم نحـرت الوقـت قربانـاً ولم   يظهـر الفجـر ولم ينفـك قيـدي
غـير أنـي عـازم يـا سـيدي   أن يرى الأعمى كياني ووجودي[٢]

و ها هو يدعو إلى النهوض كعادة أبناء بيئته أهل الهمم العالية في قصيدة عنوانها - دعوة للنهوض -

قومـوا اجمعـوا الأفكـار بعـد الـشتات...
و انطلقـوا للقمـم الـشامخات...
هيـا احملـوا الهـدي الـذي لم يـزل...
يـشع نـوراً في جميـع الجـهات...
لـن يرتقـي صـرح بـلا همـة....
و المجـد لا تـأتي بـه الأمـنيات...
مـا خـاب مـن سـار علـى دربـه....
لا يـنحني للـزيف والتّـرهات...

---

(١) انظر الديوان صفحة (٤).

(٢) المصدر نفسه صفحة (٣٧).

قومــوا ادفنــوا الأوهــام واستنهــضوا...
عـــزائم الأبنـــاء والأمـــــهات[١] ...

احمد قران الزهراني :

شاعر متألق شارك في أمسيات شعرية عديدة داخل المملكة وخارجها. له ثلاث دواوين شعرية مطبوعة على النحو الأتي :

الأول صدر في طبعته الأولى عن نادي جدة الأدبي في عام ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨م تحت عنوان - دماء الثلج - استهله بكلمات قال انها لمحمود درويش. والكلمات هي :

رجل ما يغسل الآن القمر بدلا منا ويمشي فوق بلور النهر
فلماذا يقع اللون على الأرض ؟
لماذا نتعرى كالشجر ؟
سأقطع هذا الطريق الطويل وهذا الطريق الطويل إلى آخره

ثم أهدى الكتاب لوالديه. جاء في الإهداء قوله:

= إليهما =

حينما... كان يتصبب العرق من جبينيهما...
فيهطل الغيث ويكسو وجهيهما التراب...
و يخضب أقدامهما الطين...
حينما... كانا يزرعان الابتسامة...
و ينقشان الحب والحنان...

---

(١) انظر الديوان صفحة (٤٨).

حينما... كانا يصنعان تاريخاً...

من أجل الوطن...

أبي وأمي :

إليهما أُهدي رائحة من تراب هذا الوطن

والشاعر في هذا الديوان يتنقل بين القصيدة الفصيحة والتفعيلة ومما قاله في هذا الديوان قصيدته الفصيحة التي استمد الديوان منها اسمه حيث يقول[1]:

هـزي إليـك بجـذع الآه وابتهلـي	في هيكلي ثم قدي الأرض من قبلي
ثم ازرعي من شـراييني وأوردتـي	شمساً وخيطي كما الصحراء مـن حللـي
ثم انسجي من خيوط الفجر أفئدة	بيضاء مـشرعة تنجـو مـن الزلـل
و اوقدي حطب الأيام في حـدقي	ثم احملي من رماد العمر واشتعلـي
و انأي بسوأتنا واستنطقي حجـراً	و ظللي الغسق المشوق وارتحلـي
يا حسرة من عجاف الدهر في مهجي	يا موجة من دماء الثلج في مقلـي
يا أنت يا لغـة الأحـلام في نزقـي	يا نغمة من ظلال الشوق في جملي
يا أنت يا شاطئ النيران في كبـدي	يا ملجيء في متاهـاتي وفي وجلـي
هذا رفات دمي فاستنـسخي ولهـا	منه وصـيغي علـى ألحانـه مُثُلـي
وشاكسيني على التاريخ في مـدني	و هدهدي الرمل مخبوءاً على قُبلـي
و قـدمي لـضريح الآه سوسـنة	و كفكفي الليل من عينيك وامتثلـي
سيان بـين جـبين خـيط مـن دُبـر	و بين وجـه حفـي قـد مـن قُبُـل

(١) انظر الديوان صفحة (٢١).

شتان بين السراب الحلم فاتنتي و بين ماء الحياة العذب من وشلي

ثم صدر ديوانه الثاني عام ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠٠م تحت عنوان - امرأة من حلم - افتتحه بمدخل يقول فيه :

(الحياة.. رجل وامرأة.. هكذا قيل وهكذا يقول الواقع أما الرجل فهو الكائن الأقوى. ومن قوته يستمد أهميته أما المرأة فهي الكائن المتناقض.. الطرف الأكثر أهمية في الحياة. هي كل شيء. حاضرة في الذاكرة.. لا تغيب عن العين والقلب والعقل إن أحبت وإن حاولت أن تكره تظل ألأهم في كل مراحل عمر الإنسان منذ أن يتخلق وحتى يسلم روحه إلى الله... الخ) [(١)].

و في عام ٢٠٠٣م نشر له المركز الثقافي العربي في الدار البيضاء ديوانه الثالث تحت عنوان (بياض)بدأه بأقوال بعض أُدباء العالمين العربي والغربي ثم أهداه لزوجته أم جهاد وبدأه بقصيدة بعنوان - الطريق - واشتمل الديوان على قصيدة بهذا العنوان كما فعل في ديوانه الأول[(٢)] ومما قاله في قصيدته هذه :

هذا الطريق غمامه

و الموت تحدوه السحابة

هذا الطريق المظلم ألآتي على كف الضباب

يقل بارود الطفاة

و هذه الأضواء توغل في تواشيح السواد

---

(١) انظر الديوان صفحة (٣).

(٢) انظر الديوان صفحة (٩) و ما بعدها.

ينز من أحداقها شرر
و هولاكو يعود يلون الماء الملوث بالعروبة
يغسل الكتب القديمة
و القديمة في الفرات
و يحتسي النفط النقي
على صدور بناتنا الثكلى
و يقتاد الشيوخ إلى الكآبة

****

هذا الطريق الصعب
فوق جباهنا شقوا الطريق إلى جنين
و كبلونا بالوعود وبالكلام
وبعض أرقام
حصيلة ضربها صفر اليدين
و قسمة ضيزى
و حقل من حقول جهنم الصغرى
و كوخ من دخان بيوتنا
و شظية طاشت فما قتلت
سوى سبعين من أطفالنا
ليسوا سوى سبعين ألفاً كلهم أطفالنا

عرافة البيت ارتأت

أن يقتلوا

أو يصلبوا

أو أن تقطع بعض أرجلهم وأيديهم

و أن ينفوا إلى أرض الحياة

فبينهم طفل

تساورها الشكوك

بان ظل ملامح الإرهاب تسكن في ملامحه البريئة

****

هذا الطريق الموت

يجتر الخطى

نحو المدائن والقرى المهجورة الجرداء

إلا من بقايا القحط والطاعون

و الكبت المسجى فوق أسمال الصبايا

الآيبات إلى القبور

المارقات من الخطيئة

للخطيئة

****

هذا الطريق مفازة

و العابرون لقندهار توغلوا في غابة التاريخ

تاهو في الطريق الموحش الموبؤ

و الآتون من عرض المحيط

يغافلون شحوبهم

و كأنما يتصعدون إلى السماء

على جناح التيه في وجل.. إلى لا شيء

و الطاغوت يرسم وجه خارطة الطريق

إلى الطريق

****

هذا طريق القادمين

من السراب إلى السراب

و لعبة الكرسي آتية ولا ريب

لتأخذنا إلى التابوت

كي نستنطق الآتي

و نقرأ ما تيسر من فصول الأولين

و نكتب الأسماء والإقرار انا المذنبون

فمد يا طاغوت وامنحنا صكوك العفو والغفران

و انبذنا قصيا عن تراب الأم

و أبذلنا النجاة من الحريق

إلى الحريق

إلى الحريق ..

****

علي بن محمد بن معيض بن سدران الزهراني :

علي بن محمد بن معيض بن سدران الزهراني واحد من الكتاب المهتمين بجمع المعلومات التاريخية والتراثية عن قبيلتي غامد وزهران. له ثلاث إصدارات كما أعلم :

الإصدار الأول تحت عنوان- التبيان في أنساب زهران - من جزئين في كتاب واحد. صدر في طبعته الأولى عام ١٤١٥هـ ويقع في أربعمائة وثلاث وثمانين صفحة شاملة المراجع والفهارس وقد بذل فيه الباحث جهداً كبيراً يستحق أن يذكر ويشكر ولقد وصل إلى معلومات هامة لا يستغني عنها أي باحث عن أنساب القبائل العربية. وقد قدم له الدكتور/ سعيد بن عطيه أبو عالي، مدير عام التعليم بالمنطقة الشرقية حينذاك ومما قاله في تقديمه : (يومان قضيتهما مع الجزء الأول من كتاب التبيان في تاريخ انساب زهران لمؤلفه الأستاذ الكريم / علي بن محمد بن معيض بن سدران شعرت بفائدة الكتاب وأعجبت بالأسلوب العلمي الرصين الذي استخدمه المؤلف لتقديم أفكاره. خرجت من قراءتي بأمور هامة أولها الكتاب يعتبر إضافة جديدة للمكتبة العربية ومحاولة جادة من الأستاذ مؤلفه. وثانيهما الدراسة الباحثة عن الحقيقة التاريخية تضمنتها

أبواب وفصول الكتاب. ثالثهما الصياغة اللغوية جاءت باعثة على اللهفة اللاهثة وراء معرفة حقيقة المعلومات بالإضافة إلى الرغبة في معرفة رأي المؤلف من حيث تقرير حقيقة أو ترجيح أخرى. رابعها محتوى الكتاب يدعو إلى الإعجاب.... الخ) ولا شك أن هذه شهادة مستحقة نفخر بها ويفخر بها الكاتب.

أما الباحث فقد قال في مقدمة كتابه بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله : (فان من بين أبناء بلاد زهران قلة حملت لواء البحث والتنقيب لكشف تاريخ هذه الديار ونشره بقصد إحياء تراث أولئك الأقوام الذين درجوا على أرضها وعمروها ثم مضوا إلى ربهم وقد خلفوا أطلالاً بالية وبيوتا خاوية ورسوماً دارسة تحكي قصة صراعهم مع الزمن وما فيها من العبر فسبحان الله له البقاء) إلى ان قال : (و ممن كتب آنذاك : الدكتور محمد بن مسفر بن حسين الزهراني حيث صدر له كتاب سنة تسعين وثلاثمائة وألف للهجرة باسم بلاد زهران في ماضيها وحاضرها. فكان بذلك أول كاتب يكتب عن بلاد لم يسبق لأحد من قبل أن كتب عنها بطريقة منهجية تاريخية ميدانية).

و أضاف : (و جاء من بعده مؤرخ الجزيرة العربية الشيخ / حمد الجاسر سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة فكتب عن قبيلتي غامد وزهران كتاباً لم يصدر حتى الآن أَوْ فَى منه وأن كان كما يتضح للقارئ مجرد نصوص ومشاهدات وانطباعات كتبها أثناء زيارته القصيرة للمنطقة).و لم يتطرق إلى الدراسة الشاملة التي أعدها الأستاذ/ قينان جمعان الزهراني تحت عنوان – دراسة شاملة عن قبيلة زهران – قال انها

تاريخية - اجتماعية - أدبية - جغرافية طبيعية. والتي صدرت في طبعتها الأولى عام ١٣٩٢هـ أي في العام الذي يلي عام صدور كتاب الشيخ حمد الجاسر. ويبدو أنه لم يطلع عليها كما لم نطلع على دراسة الدكتور / محمد بن مسفر الزهراني والتي أشار إليها الأستاذ/ علي صاحب التبيان ومما يظهر لنا أن الثلاثة كان كلاً منهم يبحث دون علم الآخر. لكن كانت والحق يقال أشهر دراسة جاءت في بحث علمي منسق هي دراسة الشيخ حمد الجاسر. وليس هذا انتقاصا من جهد الباحثين الدكتور محمد والأستاذ قينان والأستاذ علي إنما هي الحقيقة التي لا مناص عنها.

و إذا كان لي ملاحظة على هذا الكتاب فإنها لا تعتبر نقدا له وإنما هي إضافة أتمنى أن يأخذها المؤلف في الاعتبار عند إعادة طبعه ثانية وهي محدودة كما يلي :

١-أتمنى على الكاتب إعادة طبعه في مجلدين منفصلين أو أكثر نظراً لضخامة حجمه الحالي مما يجعل القارئ العادي لا يميل إليه كثيراً.

٢- فيما يتعلق بسيرة مالك بن فهم الدوسي :

ذكر أن مالك بن فهم نزح بقومه من أرض السراة إلى أرض عمان إثر حادثة جرت لجاره مع أولاد أخيه عمرو بن فهم ولم يذكر أسباب الحادثة مما جعل القارئ يتساءل عن حجم وتبعات هذه الكارثة التي جعلت رجلاً شريفاً في قومه ومن عظمائهم يرحل بقومه من موطنه الأصلي ليستقر في عمان وهي التي تبعد عن السراة مسافات بعيدة لا تخفى على أحد هذه الأيام. وكنا نتمنى عليه أن يذكره فإذا قال الشيخ حمد في كتابه السابق ذكره ان التاريخ لا يقبل المحاباة فإنني أقول هنا أن

التاريخ أيضا لا يخجل من ذكر الحقيقة وحقيقة نزوحه بقومه ليس فيها ما يخجل منه الباحث أو القارئ بل فيها رفض للظلم وقد ذكرت القصة كما وردت في تاريخ الموصل عندما تحدثت سابقا عن مالك بن فهم(١).

٣- في الباب الأول من الجزء الثاني من مؤلفه هذا ذكر بعض رجالات هذه القبيلة في العصر الجاهلي منهم الصعلوك حاجز الزهراني ولم يذكر ثابت بن أوس (الشنفرى) الذي نشأ وترعرع وخاض معاركه في هذه المنطقة. رغم الاختلاف في نسبه ومولده وإسمه الحقيقي إلا أن بعض الباحثين كما سبق أن قلت يقول إنه دوسي زهراني الولادة والمنشأ(٢).

و في عام ١٤١٩ هـ أصدر كتابه الثاني المعنون - القصائد الحسان لبعض شعراء غامد وزهران - ومما قاله في مقدمته لهذا الكتاب :

(فانه لما كانت المكتبة العربية على حد علمي تفتقر إلى ديوان يضم بين دفتيه أشعاراً لبعض شعراء قبيلتي زهران وغامد في العصرين الجاهلي والإسلامي ليقف أحفادهم في تلك الأصقاع ومتذوقوا الشعر العربي في أرجاء وطننا العزيز على جوانب الإبداع المشرق في تلك النماذج الفريدة لأولئك العرب الاقحاح. فقد عقدت العزم بعد أن اعتمدت على الله العزيز الخبير لتحقيق تلك الرغبة التي باتت تراودني منذ زمن بعيد وظننت بادئ الأمر أن ذلك العمل سيكون سهلاً إذ غلب علي ظني أنه بمجرد النظر في مصادر تراثنا العربي المعروفة لدينا والتي عنت بأخبار

(١) راجع الصفحة (٩٨) من هذا البحث.

(٢) راجع صفحتي (٥٥ ، ٥٨) من هذا البحث .

العرب سأجد بغيتي بيسر وسهوله) إلى ان قال : (وما إن بدأت البحث حتى فوجئت بالصعوبات من أول وهلة تعترض طريقي لأسباب منها :

- قله المصادر التي تحدثت عن تاريخ وتراث هاتين القبيلتين الأزديتين في العصر الجاهلي والإسلامي.

- ندرة المعلومات الموجودة في بعض تلك المصادر.... الخ).

و لا شك ان هذا الكتاب جهد كبير يستحق الشكر وقد بذل فيه الباحث جهود مضنية حتى ظهر بهذه الصورة من البحث العلمي الموثق وإذا عدنا إلى ما قاله الشيخ حمد الجاسر في مؤلفه سراة غامد وزهران من أن أي عمل مهما بذل فيه الباحث جهدا فإنه لن يبلغ درجة الكمال.

و إذا كان لي بعض الملاحظات فان هذا لا يعد نقداً وإنما تصحيح وآمل أن يعاد النظر في ذلك في الطبعات القادمة. وهي تتمثل فيما يلي :

١- قوله (تقع ديار سلامان بن مفرح في وادي ابيده بسراة زهران المسمى في الوقت الحالي (بيده) بتخفيف الهمزة أو بطحان وهما بدلان عن اسمه التاريخي (ابيده) وربما امتدت ديار بني سلامان في العصر الجاهلي لتشمل معظم ديار قبائل بني عمر بسراة زهران وهم : بنو بشير، وبنو جندب، بنو حرير، وبنو عدوان، قريش)[1].

وهذا القول من الأخطاء التاريخية التي يجب أن يعاد النظر فيها لسببين :

الأول : أن ديار بني سلامان التي تربى فيها الشنفرى ومنها انطلق في حروبه ضد أخصامه هي قرية من قرى دوس تقع بالقرب من وادي ثروق التاريخي وهي لازالت محتفظة بهذا الاسم وقد سبق ان أشرت إلى

---

(١) كتاب القصائد الحسان لصاحبه علي محمد سدران صفحة (٣٣).

ما قاله أهلها في شكواهم عبر جريدة المدينة وهذا دليل يضاف إلى تواتر الروايات وأقوال المؤرخين بأنها ديار دوسية.

الثاني : أن الباحث لم يستند في قوله هذا على مصدر يمكن الرجوع إليه حتى يصحح المفهوم السائد لدى الباحثين أما إذا كان يقصد قرية (آل سلمان) وهي قرية من قبيلة بني بشير التابعة لمحافظة القرى وموقعها بجوار قرية القوارير من الناحية الجنوبية فانه لم يرد ذكر هذه القرية في التاريخ لا من قريب ولا من بعيد ولو عدنا إلى الأسم لوجدنا أن الأولى عُرِّفت ببني والثانية بآل وشتان بين هذا وذاك .

٢- ورد اسم الخليل بن احمد بن الفراهيدي في الفهرس بأنه في صفحة (٦٧) بينما هو في صفحة (٦٨)و هذا خطأ في الترتيب.

٣- صحة الكلمة الأخيرة من البيت الثاني من قصيدة الدوسي يوم ثروق هي (كل الويل) أي الويل كله. لا كما كتبها الباحث (كالويل) وقد قال بهذا التصحيح علامة الجزيرة العربية الشيخ حمد الجاسر في مؤلفه (في سراة غامد وزهران)[١].

٤- عندما ذكر قصيدة لأحد شعراء الغطاريف يمدح بني عامر وهم من بني عمومته. تحت البند الخامس في الصفحة قبل الأخيرة قال في الحاشية : (من بحث عن قبيلتي غامد وزهران نشره الأستاذ عبد الرحمن المرشدى في مجلة العرب في عدد رمضان سنة ١٤١٥هـ ويقول الأستاذ الباحث عن بني عامر أنهم بنو عامر بن حفين بن النمر بن نصر بن زهران يقصد القبيلة المعروفة حالياً ببني عامر التي يرأس مشيختها الشيخ

(١) ارجع للمصدر نفسه صفحة (٢٧٢).

عبد الله بن عبد المجيد بن رقوش. غير أني أميل إلى ان المقصود ببني عامر هم أبناء الغطريف الأكبر بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران. ذلك لأن قبيلة بني عامر المشار اليها وان كانت ترجع إلى بني يوس فليست هى المقصودة والله اعلم[1].

و بما انني لم اطلع على بحث الأستاذ/ عبد الرحمن المرشدى ولا أعلم إذا كان ذكر بالاسم قبيلة بن الرقوش في بحثه أو هذا استنتاجاً من صاحب كتاب القصائد الحسان إلا أنني اتفق معه أن المقصود ليس قبيلة بني عامر التي يرأس مشيختها الآن عبد العزيز بن عبد الله بن رقوش ولهذا فان كلا الباحثين عبد الرحمن المرشدى والباحث محمد سدران صادقين ذلك لان هذين الفرعين وهما قبيلة عامر بن حفين وبني عامر قبيلة الشيخ عبدالعزيز بن وقوش ينضويان الآن تحت قبيلة بني يوس وربما كانا يسكنان وادي السيسبان ثم تفرقا وخلفوا الخلوف بعد الخلوف وتغيرت الأماكن وتسمت بأسماء جديدة. والله اعلم[2].

٥- ذكرت في الفقرة السابقة ان الأستاذ/ علي محمد سدران لم يذكر ثابت بن أوس (الشنفرى) في كتابه - التبيان في تاريخ أنساب زهران - ضمن شخصيات العصر الجاهلي الذين عاشوا في هذه البيئة منذ نعومة أظفاره ربما لميوله إلى القول الذي يقول أنه من الاواس بن الحجر بن الهنء بن الازد بن الغوث. شاعر جاهلي قحطاني من أهل اليمن. وبغض النظر عن مسقط رأسه وكيف آل إلى بني سلامان سواء بالسبي أو

---

(١) انظر كتاب القصائد الحسان صفحة (٢٧٢).

(٢) اقرأ كتاب قبيلة من زهران للأستاذ / قينان بن جمعان الكناني الزهراني.

البيع أو غير ذلك فان المصادر جميعها تتفق على أنه تربى وترعرع في ديار بني سلامان في دوس وكانت عنده علاوة على نزعة الشر في نفسه ملكة الشعر فقال أحسن الحسان من القصائد العربية وهي لامية العرب ورد فيها حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم (إذا صح) وهو قوله صلى الله عليه وسلم : (علموا أولادكم لامية العرب فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق)(١). و التي مطلعها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لا ميل

و لولا ان البيئة التي عاش فيها الشنفرى كانت من مواطن الأدب الرفيع وصقلها احتكاكه بهم لما جاءت هذه القصيدة الرائعة ولما شرفت بالحديث الشريف إذا صح عن رسول صلى الله عليه وسلم. يقول الدكتور / اميل بديع يعقوب في تعليقه عليها : (لا نعرف من أطلق عليها هذه التسمية ومتى أطلقها. ولعل إختصاصها بهذا إلاسم دون غيرها من القصائد اللامية التي نظمها الشعراء الجاهليون الإسلاميون كزهير ابن أبي سلمى، وعنترة، وامرئ القيس، وكعب بن زهير، وغيرهم يعود إلى ما بلغته من شهرة أدبية ولغوية لم تصل إليها سائر اللاميات... الخ)(٢).

و في نظري انه لا يعيبنا إن نسبته بعض الروايات إلى زهران وقالت إنه من أب وأم زهرانيان وانه عاش في ديار دوس وبني يوس وبني عمر منذ أن كان رضيع حتى كبر وحاربهم وحاربوه لأن الفضل يعود لله ثم للبيئة

---

(١) انظر ديوان الشنفرى للدكتور / اميل بديع يعقوب صفحة (١٨) ونص القصيدة الكامل صفحة (٨٥) من المصدر نفسه وقد جاءت في ستع وستون بيتا من عيون الشعر العربي.

(٢) راجع المصدر نفسه صفحة (١٥).

الزهرانية التي عاش فيها والتي صقلت موهبته الشعرية فقال اللامية الرائعة وغيرها من الشعر الذي وردت فيه أسماء قرى زهرانية لازالت تحتفظ بأسمائها وقد أفردت لها قسما خاصا وإذا حق لنا أن نفتخر بهذه اللامية فانه لا يعنينا شخصه وتصرفاته بقدر ما تعنينا البيئة التي قيلت فيها وجودة شعره وإحتوائه على مضامين سامية نحن بحاجة إلى العمل بها أما هو فقد قالها وهو كاذب لم يعمل بها ولذا فانه من الذين يقولون ما لا يفعلون وتنطبق عليه الآية الكريمة : ﴿ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ سورة الشعراء.

ولهذا فانني لاأرى مبرراً لاستبعادها واقترح عليه ضمها إلى كتابه القصائد الحسان وإذا رجعنا إلى ما قاله الأستاذ/ مصطفى عيد الصياصنه في بحثه سالف الذكر بأن سبب تصعلكه وبطشه وظلمه لبيئته التي عاش فيها هو ما لحقه من ظلم حين لطمته ابنة السلامي والقصة معروفة فان ما ارتكبه من سطو ونهب وقتل للأبرياء لا يبرر بأي حال من الأحوال ما لحقه جزاء سوء سلوكه ومع ذلك فاني لاأى أن هذا سبباً كافياً لاستبعاده ايضاً من المشهورين من رجال العصر الجاهلي.

وإذا كنا نردد شعره لما فيه من بلاغة ومعان جميلة تدعو للفضيلة وعزة النفس والإباء دون النظر إلى شخصيته فان هذه سجية العربي ومسلكه منذ ذلك

اليوم حتى الآن وهو عربي قح من بيئة عربية ومن قبيلة أزديه كان منها عظماء وقادة وأشراف في الجاهلية والإسلام. لكنه قال ما لم يفعل. و الأمة العربية نصبت أحمد شوقي أميراً لشعراء العرب رغم أنه لم يكن في الأصل عربياً. تقول الكاتبة الكويتية / سعدية مفرح في مقال لها نشر في مجلة العربي تحت عنوان - شاعر العدد - أحمد شوقي... أمير القوافي وخادمها - وعلى الرغم من كل ذلك الوهج العربي الباهر الذي كان يرفل في نعيمه التاريخي أحمد شوقي شاعراً لأمة العرب من أقصاها إلى أقصاها فإنه كان أبعد ما يكون عن عربي قح في الأصل والأرومه فقد ولد أحمد شوقي من أخلاط كرديه، شركسيه، يونانيه. لكن النشأة المصرية وفرت له كعادتها فيمن يحظى بها أن يكون عربياً خالص العروبة، قلبا كثيراً ما اختبرت مصداقية عروبته ولسانا لا يحتاج إلى إختبار أصلاً.....الخ) [1]. وقياسا على ذلك فانه يمكننا القول أن ثابت بن أوس (الشنفرى) إن لم يكن زهرانيا فان البيئة الزهرانية وفرت له أن يكون زهرانياً يأتي بتلك المعاني السامية. لكنه شذ عن الطريق المستقيم. إذاً لا غرابة أن تعتز بيئته بلامية العرب لأنها ولدت من رحم هذه البيئة النقية الصافية مع رفضنا لما صدر عنه وعن الصعاليك الأشرار .

تم أصدر كتابه الثالث بعنوان (أعلام غامد) لم أطلع عليه فقد قصرت بحثي على بيئة الشنفرى التي عاش فيها وهي ديار دوس، بني عمر ، وبني يوس في زهران.

وقد يتساءل كثير من القراء عن أسباب اختيار هذه الشريحة من أبناء بيئة

(١) مجلة العربي الكويتية العدد (٥٦٧) محرم ١٤٢٧هـ فبراير ٢٠٠٦م صفحة (١٤).

ثابت بن أوس (الشنفرى) للدلالة على نقاء بيئته وصفاء معدنها رغم أنها تعج بالعشرات من حملة الدكتوراه والمثقفين والأدباء والشعراء والأطباء والمهندسين وغير ذلك من التخصصات والجواب يكمن في أمرين لا ثالث لهما :

الأمر الأول :

نشاطهم الملموس وبروزهم في هذا المجتمع فعلاوة على إصداراتهم في حقول المعرفة المختلفة نجدهم يشاركون في الأندية الأدبية لإثراء الحركة الثقافية في مملكتنا الحبيبة وذلك بإلقاء المحاضرات وتقديم المحاضرين وصياغة المقالات الأدبية في دوريات الأندية والكتابة في الصحف المحلية في المناسبات التي تهم الوطن والمواطن وغير ذلك من قضايا الساعة الحيوية.

الأمر الثاني :

سبقهم غيرهم في مجالات البحث والتنقيب فقد حاكوا أجدادهم بالأخذ بزمام المبادرة (الأولوية) في هذه البيئة الذين شاركوا في بناء الحضارة الإنسانية منذ فجر التاريخ. فهذا مالك بن فهم الدوسي أول من وهاجر من بيئته سراة دوس في زهران واستقر في عمان وكون هو وأولاده حضارة هناك يعتز بها. لرفضه الظلم الذي حدث.

و هذا ابنه جذيمة الابرش أول من ملك الحيرة في العراق وكان ملكا عظيما. و هذا الطفيل ابن عمرو الدوسي أول من اسلم من هذه البيئة واقنع ابن عمه أبو هريرة رضي الله عنه وسبعين بيتا من دوس فاسلموا جميعهم وكان لهم شان في تأسيس الدولة الإسلامية. و هذا الخليل بن

احمد الفراهيدي أول من وضع معجما للغة العربية في علم العروض.
وهذا مسدد بن مسرهد أول من صنف مسندا للحديث في مدينة البصرة.
أما الذين أتيت على ذكرهم وهم من الأوائل في العصر الحديث فهم:
الدكتور/ محمد بن مسفر الزهراني أول من بحث عن نسب قبيلته زهران وألف في ذلك كتابا. و هذا الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله الزهراني أول من أصدر معجما في العصر الحديث في ثمان مجلدات حوى بين دفاته اسماء العلماء الاماجد من رواة الحديث من أبناء زهران وغامد (منطقة الباحة حالياً). و هذا/ جمعان بن عايض الزهراني هو أول من ناقش في بحثين مهمين قضايا تخص العالم الإسلامي برمته. الأول : هو الأسلوب الجديد في حرب الإسلام، الثاني : الماسونية والمرأة وقد أشاد بهما كبار العلماء الذين تحدثوا عن أهمية هذين الكتابين. و هذا/ علي بن صالح السلوك الزهراني أول من اصدر مؤلفين مهمين الأول: المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران وقد أشاد به العلماء الذين اطلعوا عليه. والثاني : الموروثات الشعبية لغامد وزهران في خمسة مجلدات تضمنت ألوانا مختلفة من أشعار وحكم وأمثال شعبية. وهذا/ قينان جمعان الزهراني أول من أصدر كتابين مهمين الأول : بعنوان - بيت من زهران - والثاني : بعنوان قبيلة من زهران خصصه لقبيلته بني كنانه. و هذا الدكتور/ معجب بن سعيد الزهراني أستاذ الأدب المقارن في جامعة الملك سعود أول من حصل على درجة الدكتوراه من جامعة السربون في باريس وأول من أصدر كتابا بعنوان - المملكة العربية السعودية بعيون فرنسية - ترجم فيه مشاعر أدباء وسفراء فرنسيين نحو المملكة العربية السعودية ودورها

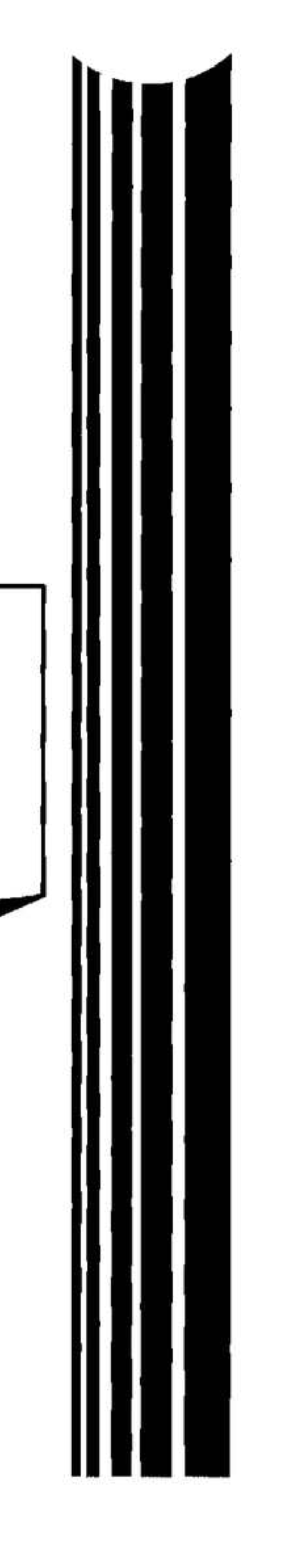
الريادي في قيادة العالم وما بلغته من رقي وحضارة في زمن قياسي علاوة على ما تتمتع به من جمال الطبيعة وتنوع تضاريسها وسحرها الشرقي.
وهذا الدكتور/ صالح بن سعيد الزهراني أول رئيس لقسم الدراسات العليا في جامعة أم القرى من هذه البيئة ومن أوائل الأدباء الذين كان لهم مشاركات متميزة خارج وطنه وخاصة بلاد الشام ودول الخليج. و هذا/ حسن بن محمد بن حسن الزهراني أول شاعر يصدر له ثمانية دواوين شعرية وأول شاعر يحصل أحد دواوينه السبعة على جائزة أدبية خارج مسقط رأسه وبيئته كما أنه أول شاعر من هذه البيئة تختار له وزارة التربية والتعليم قصيدة تدرس في منهج النصوص للصف الثالث المتوسط. و هذا الدكتور/ عبد الرزاق بن حمود الزهراني أستاذ علم الاجتماع بجامعة الإمام / محمد بن سعود الإسلامية وأول رئيس لجمعية علم الاجتماع السعودية من هذه البيئة. و هذا/ أحمد قران الزهراني أول شاعر يشارك من هذه البيئة في ندوات شعرية خارج المملكة في دول المغرب في (تونس) كما أنه أول شاعر يصدر له ديوان شعر تحت اسم بياض أصدره المركز الثقافي العربي بالمغرب.
و هذا/ محمد بن معيض بن سدران الزهراني أول من جمع شعر شعراء منطقة غامد وزهران في الجاهلية والإسلام في كتاب واحد كما أنه أول باحث أصدر كتابا عن أعلام غامد.

والقائمة بلا شك طويلة وما هذه إلا نماذج من رجال هذه البيئة بيئة ثابت بن أوس (الشنفرى) ونعتذر عن ذكر أسماء البارزين منها وسيذكر التاريخ نصيب كل مجتهد فهو لا يقبل المحاباة كما قال علامة الجزيرة العربية الشيخ حمد الجاسر رحمه الله تعالى رحمة الأبرار وجزاه عن أبناء

هذه البلاد المملكة العربية السعودية خير الجزاء نظير ما قدمه من جهد وتعب لإعلاء شأنها ونفض الغبار عن كنوزها ومكنوناتها.

والله المستعان،،،،





- الشـــــــــوارد -

و من الشوارد ما بلغ القمة :

أقول هذا وأنا أعلم علم اليقين أن هناك الكثير الكثير من المفكرين والمبدعين في كافة مجالات الحياة منهم من برز فصار علماً يفتخر به الوطن وتجله الأمة. ومنهم من اختفى وتوارى عن الأنظار وعاش منزوياً منطويا قاتلاً لموهبته ساجناً إياها أما في فكره أو في خزائنه ورفوفه. وهذا لا يمكن مهما كان مبدعاً أن يطلق عليه علماً أو حتى مشاركا في الحياة وقد يستولي على ما أنتجه بعد وفاته من لا يقدر ذلك فيتلفه. والباحث العاشق لأي مجال من مجالات العلوم الإنسانية مهما بذل من جهد وقوة وصبر وجلد فإنه لا يمكنه احتواء كل ما تنتجه العقول المفكرة المبدعة المنتجة خاصة في هذا العصر الذي تجري فيه الأقلام لا أقول جري السحاب بل جري الرياح المرسلة. و حسبي في هذه الفقرة تدوين ما وصل إلينا من الحسناوات الشاردات ولا أشك بأن لهن أخوات مقيدات لكننا لم نرهن. فالهاوي يصعب ثنيه عن هوايته حيث تظل تعتمل في مشاعره وأحاسيسه. وربما يعتبرها البعض غواية. لكنها في حقيقة الأمر إبداع قد يبلغ القمة وقد لا يبلغها ولكنها في كلا الأمرين جهد مشكور. إن القوافي في نظري كالخيل الجامحة الغير مروضة يعجبك منظرها حين تراها وتشتاق لصهيلها. لكنه لا يستفاد منها إن لم تروض، وإذا ما روضت وأصبحت تعيش مع عاشقها في هدوء واطمئنان فانه يمكنه الاستمتاع بمنظرها كزينة مما خلق الله لعبادة وتحمل أثقاله إلى بلد لم يكن ليبلغه إلا بشق الأنفس. كما يمكن استخدامها في السباق والفوز بجائزة مجزية. أو الجهاد في سبيل الله هذا هو السر في الأمر كله من الشوارد.

الاستاذ/ صالح بن احمد بن جريبيع الزهراني :

القى هذه الرائعة في حفل افتتاح جمعية الثقافة والفنون بالباحة ليلة ٣/ ٣/ ١٤١٥هـ الموافق ١٠ / أغسطس / ١٩٩٤م بحضور صاحب السمو الملكي الأمير / محمد بن سعود بن عبد العزيز أمير منطقة الباحة. وكانت تحت عنوان - غيم الندى -[1].

يقول فيها :

أرخ العنـــان للحنـــك المنـــشود ... و ارفع عقيرة صـوتك المـمـدود

وارقص كما رقص الجدود لغيمـة ... رأت الثرى يدعو بها أن جـودي

فتوقفـت وتـساءلت عـن حـالهم ... فأجابهـا صـمت عـن التغريـــد

و شحوب أرض يُبِّست عرصـاتها ... و غيـاب جسم عن ثياب العيـد

و قرىً تـصارع للنـدى مـسكونة ... بالجـــوع والآلام والتهديـــــد

و عدت بسقياهم فبـاتوا خُشَّـعاً ... مترقـبين لـــوعدها الموعـــود

حتــى إذا مــا آذنــت بنميرهـــا ... و تهللــت بــالبرق والترعيـــد

خرجوا إلي ساحاتهم مستبـشريـ ... ـن بها وكان الشيخ كـا لأملـود

أوفت بوعد حين هلـت مـــزنها ... غـدقا كحـب اللؤلـؤ المعقـــود

و تنافحت فوق الربى قطـــراتها ... وكأنمـا تلـهو كلهـــو الغيـــد

و إذا بوادينـا ينـاجي صوتهـــا ... أن مرحبـا بوفائـك المعـــهود

أصغت لمن نادى بهـا وتـسابقـت ... كل الـشعاب إلى حيـاض الجـود

و اخضر وجه الأرض من هميانهـا ... حتـى نمـا النـوار في الجلمـــود

---

(١) لا نعرف له غيرها.

و تبسمت بعد الشحوب زهورها و تمايلت أشجارها كالخود
و تكللت بالزعفران نجودها و زهت بعقد جمانها المنضود
حتى بدت كمليحة مفتونة بجمالها وبروضها المورود
يا أيها الحسناء من ذا يبتغي لسواك وصلاً غير كل بليد
جاءتك أسراب الغمام بسيلها فاخضر عودك يا بهاء العود
يا - باحة - الخير العميم تأودى "شيحاً" و"ريحاناً" وهمس ورود
و خذى الضباب وسادة وتدثري بنسائم نشوى بعرف العود
و لتهنأي بالخير ثم لتنشدي لحني معي وترددي ترد يدى
جود وسقيا رحمة وحضارة لله درك دولة ابن سعود

يخطئ في نظري من يقول ان هناك أدباً رجالياً وآخر نسائياً. ذلك لأن الأدب هو الأدب. مفرداته عند العنصرين واحدة، وصوره البلاغية واحدة، والمشاعر فيه واحدة. فإذا صاغ الأديب أو الأديبة نصاً نثريا أو شعرياً في أي أمر من أمور الحياة ولم يذكر ان كان القائل رجلاً أو امرأة سواء تصريحاً أو تلميحاً فان المرء لا يستطيع ان يفرق بين النصين ويصدر حكمه إن كان قائل هذا النص رجلاً أو امرأة إلا إذا اشتملت الأبيات على شيء يوحي بشخصية القائل وجنسه. و المرأة عضو فاعل في الحياة لا غنى عنه سواء في حالة السلم أو الحرب ومن يستقرىء التاريخ عبر العصور يجد هذا القول حقيقة لا مناص منها. وفيما يخص بحثي هذا فاننا نجد أن خالد بن ذي السبلة الدوسي عندما احتدمت المعركة بين دوس، وأبناء عمومتهم يوس (الغطاريف) كما سبق ان ذكرت أنزل بناته هند،

وجندلة، وفطيمة، ونظرة وبنين بيتاً وجعلن يستقين الماء ويتحضضن وكان الرجل إذا رجع فاراً أعطينه مكحلة ومجمراً وقلن (معنا فانزل) أي انك من النساء وجعلت هند بنت خالد تحرضهم وترتجز وتقول :

مــن رجــل ينــازل الكتيبــة فــذلكم تزنــي بــه الحبيبــه[(١)]

و يذكر الشيخ أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس ابن القاسم الازدي: (أنه كان لأبي حمزة إمرأة حسنة من الخوارج تقاتل فتحمل على القوم وتقول[(٢)]:

مــن ســأل عــني فــإني مــريم بعــت ســواري بــسيف مخــذم[(٣)]

هنا نجد أن الأولى وأخواتها يحرضن الرجل الهارب من المعركة ويحفزنه على العودة للقتال والثانية باعت سوارها من أجل أن تشتري سيفاً قاطعاً تقاتل به عن زوجها. من هنا نلاحظ تكامل المرأة مع الرجل ورفضها للظلم كما يرفضه الرجل وتضحي من أجل انتصار قومها.

و ما أشبه الليلة بالبارحة كما يقول العرب. فهذه صنعاء الزهرانية ترفض ظلم الصرب للمسلمين في البوسنا والهرسك وتطلق صرخة مدوية وتقول لقومها :

انهضوا يا أمة الإسلام من كبوتكم وأفيقوا من نومكم واحموا دياركم وأخوتكم وأعراضكم من هذا العدو الغاشم المستهتر بكل القيم والأعراف. إنها تناشدهم عبر قصيدتها التي عنونتها بقولها - من الميت

---

(١) الأغاني لأبي فرج الاصبهاني الجزء الثاني عشر صفحة (٥٣).

(٢) تاريخ الموصل لآبي للشيخ أبي زكريا صفحة (٧٩).

(٣) سيف مخذم : أي قاطع.

الحي إلى الأحياء الأموات -[١] حيث جاء في القصيدة :

مـن عـالم المـوت البعيـد النـائي	ناديـت مـن لا يـسمعون نـدائي
أهلـي ولكـن بـالكلام ونظمـه	و الفعـل يثبـت إنكـم أعـدائي
فالبعض يسكت عن مجازر قتلنا	و البعض يعلـن شجبه لدعـائي
البعض يخشى من خصام عـدونا	و عـدونا يـسعى لأجـل فنـائي
و البعض يرفض ثم يرفض رفضه	فـالرفض يخـضع للـهوى ويرائـي
الـبعض يـسعى بالطعـام لـدعمنا	لا دعـم إلا مـدفع وفـدائي
يا قوم يا مـن للخـلاف سعيتموا	الخلـف يـصنع فرقـة وتنـائي
سرتم على درب الخلاف فضعتموا	و أضعتموا بعد الـضياع رجـائي
حتى فقـدت الانتساب اليكمـوا	و بدأت عـصر تعاستي وشقائي
و ظننت اشفى بالـدواء لـديكموا	فوجـدت داء لـيس منـه شـفائي
فالأمس أشرق بالضياء عليكمـوا	و امتد نحوى فاستـضاء سمـائي
و اليوم صرب قـد أفـاق ونمتمـوا	فاحل عرضـي واستباح دمـائي
يـا قـوم يـا مـن تـدَّعون قـرابتي	الصرب ينهش عرض كل نسائي
مـاذا فعلـتم غـير بعـض قـصائد	تُلقى علـى عجـل بحفـل رثـائي
صمت وبئس الصامتـون ونكـبتي	قـد شـاب مـن أهوالهـا أبنـائي
رفض وكيف سأستفيد برفـضكم	أن كـان لا يـأتي لـدعم لـوائي

(١) تم الحصول عليها مناولة وقد قالتها الشاعرة و هي في المستوى الأول علم الأحياء كما جاء في ذيل القصيدة. و لم توضح في أي منطقة أو كلية كما يبدو و انها اختيرت من ديوان للشاعرة و يظهر ذلك من عدد الصفحات فهي تحمل صفحتي (٧٠، ٧١) إذا لم تعدل.

شجب وكيف الشاجبون سينقذوا عرضي وماء الصرب دنس مائي
يا قوم إني قد غدوت مطية لحقير صرب بعد عز علائي
قد داس فوقي بالحذائي وجده قد كان لا يرقى لمسح حذائي
أعطيته أسس السلام وأمنه فانا لني بعد السلام عنائي
و رحمته لما ملكت رقابه و أريته عطفي وكل إخائي
لكنه قطع الرقاب ببوسني و بهرسكي لما تمكن دائي
يا قوم إني ما غدوت بميت لما تركت العالمين ورائي
قد كنت اطمع في جلاء عدونا عني وليس عن ألحياة جلائي
لكن موتي جاء رغم إرادتي ما كنت ادري ان فيه رضائي
فصعدت حتى جئت أطيب منزل في جنة الفردوس نلت بقائي
فوددت أني قد رجعت مجاهداً لأ نال موتي ثم خير عزائي
أحيا بموتي في السماء مكرماً لكنكم موتي من الأحياء[1]

إيمان جابر الحسين :

إن البيئة التي عاش فيها ذلك الصعلوك الشقي/ ثابت بن أوس (الشنفرى) ليست بالسوء الذي وصفها به الباحث السابق ذكره فهي كديار العالم فيها الصالح والطالح وقد أكدت بالدليل فيما أوردته أن الصلاح فيها أكثر من السوء. انها بيئة نقية صافية تعترف بالجميل وتقريء الضيف وتقيل المعثور وترد الفضل لأصحابه لكنها بالمقابل لا تقبل الضيم وترفض صاحبه بل تحاربه. و ها هي الشاعرة إيمان جابر

(١) لانعرف لها غبرها.

الحسين نموذج للوفاء تقول في قصيدة لها تحت عنوان - وقفة وفاء لأم الأجيال[١]. إهداء إلى الأم الفاضلة عفت سعد الزهراني.

(مديرة مجمع الاطاولة بمناسبة تقاعدها بعد أن أمضت ثلاثاً وثلاثين سنة في خدمة التعليم في منطقتي الطائف والباحة وتعتبر مثالاً ناجحاً للأم بما قدمته طول خدمتها لهذه الرسالة العظيمة وبهذه المناسبة الكريمة أبت القريحة إلا أن تتفتق بهذه الكلمات التي أتمنى أن تعطي بعض الشكر والعرفان لما قدمته هذه السيدة الفاضلة لرسالة التعليم وأتمنى لها حياة سعيدة وعمراً مديداً).

تقول القصيدة :

تفتح الورد والريحان والثمر   و افتر بالحسن في آفاقنا القمر
في يوم توديع من لا ترتجي أبداً   هذا الوداع ولكن ذلك القدر
هي الحياة بها يوم سيبعدنا   و آخر سوف يدنينا فننتظر
و اليوم بالحب والتكريم يجمعنا   من بالحياء وبالإخلاص تفتخر
من بالمكارم والأخلاق قد زرعت   كل القلوب صفاء ما بها كدر
أمضت عقوداً وبعض العقد يدفعها   حب الكفاح لنور العلم والسهر
نهديك منا سلاماً لا نظير له   و كل من غاب أوصى كل من حضروا
إن التقاعد في الحقيقة مبتدأ   كم من قعيد حكى من فعله خبر
لا تسألوها فإن الصدق شيمتها   كم سألوها وكيف الدرب يختصر؟

---

(١) انظر مجلة تجارة الباحة العدد (٦٨) الصادر بتاريخ رجب، شعبان عام / ١٤١٧ هـ الموافق، ديسمبر / ١٩٩٦م صفحة (٧١).

قالت وغيري له فضل يساندني شيخ وقور لنا من راية بصر
قد كان لي خير عون من سينكره يحدث الفرد عن إحسانه الغفر
لا يرتقي المجد إلا من يجالده لن يبلغ المجد إلا من له ظفر
فامشوا على نور دين الله إن لنا فيكم رجاء وكل الناس تنتظر
رسالة العلم أسمى ما نسير به من سار بالعلم حقا سوف ينتصر
أماه إن غاب شخص عن رسالته لا تيأسي إن نور الله ينتشر
فاغدي ضياء وظلاً في حدائقنا كوني كبحر الضاد في أعماقه درر
أنت لنا الأم إن ألام مدرسة أنت لنا الدفء أنت الروض والمطر
مشيت في الدرب كالربان ارَّقه موج البحار وزال الموج والخطر
صنت الأمانة أما اليوم يأخذها من بعدكم من له من نوركم نظر
تمضي على الحق والآمال تنشدها طاب المقام وطاب الغرس والثمر
لوكان للبلبل النشوان زورته لاهتز من شدوه في حفلنا الوتر
لكنه غاب لما جئتم بدلا فالشمس تظهر اما زارنا القمر
و ما وقفت هنا إلا لأشكركم إن قصر الشكر يكفي أنني بشر
فالطير صاغت لحونا من محبتكم و حدث النبت عن إحسانكم حجر

و بعد :

ليس من العدل ان يمر هذا البحث في ذكر الأدباء والمفكرين ذوو الإنتاج الأدبي الفصيح نثراً أو شعراً في هذه البيئة التي عاش فيها ثابت بن أوس (الشنفرى) دون أن يتطرق إلى طبقة الشعراء الشعبيين الذين لا يقلون عطاء عن أخوتهم الأدباء المتحدثون بالفصحى فلهم أدبهم المميز يخاطبون

به الناس في مناسباتهم السعيدة فيدخلون السرور على نفوسهم فقد دعوا في أشعارهم إلى الفضيلة وعدم الظلم ونبذ الخلافات وقبول الصلح ثم التشجيع على الكرم والشيمة وإقالة العثرات ومساعده الفقراء. و لقد كان تأثيرهم على الناس كبيراً. ومن أبرز أولئك في هذه البيئة الشاعر الشعبي العلم/ محمد بن غرم الله الثوابي الزهراني الملقب بان ثامره[١]. و قد عرف عنه حبه الشديد للإصلاح بين الناس والمفاخرة بقبيلته زهران وذكر بعض النصائح حول ذلك فما أن يسمع عن مشكلة بين قبيلة وأخرى حتى يعد قصيدة ويدعو الناس للاجتماع فيلقيها عليهم في حفل رتب لهذا الغرض فيستجيب المتخاصمون وتنتهي المشكلة وقد وهبه الله قبولا عند الناس ربما لصفاء نيته حيث يقول الناس هنا في أمثالهم وحكمهم - الصلح على نية المصلح - والمعنى ان المصلح إذا كانت نيته سليمة ويتدخل بنية الإصلاح فعلاً فإن الله يوفقه في ذلك كثيراً وكان الشاعر الناصح موفقا في هذا الأمر. ولم نأت بشيء من شعره لان الأستاذ/ علي السلوك صاحب كتاب الموروثات سابقة الذكر أورد كثيراً منها لذا فانني أحيل القارئ الذي يريد الاستزادة من هذه الأشعار إليها.و هناك الشاعر الكبير احمد بن جبران الزهراني الذي أطلق عليه بعضهم زعيم شعراء الغزل في منطقة الباحة. أما الشاعر المرحوم بإذن الله / محمد بن حسن المالحي الزهراني فإن له أشعار كثيرة عاصر الشاعر محمد بن ثامره وقد قام أحد المهتمين من أسرته فاصدر له ديواناً بعد وفاته جمع فيه أشعاره التي قالها في

---

(١) انظر ترجمة حياته في الكتاب الثاني من الموروثات الشعبية لغامد و زهران للأستاذ / علي بن صالح السلوك صفحة (٨).

كافة المناسبات صدر في طبعته الأولى عام ١٤١٢هـ وأسماه - من الأدب الشعبي بمنطقة الباحة -(١).

و قد قدم له صاحب السمو الملكي الأمير/ محمد بن سعود آل سعود أمير منطقة الباحة ومما قاله سموه في تقديمه :

(فلقد اطلعت على ما جاء بهذا الكتاب الذي يدون ما جاء على لسان الشعراء بمنطقة الباحة في لونه الشعبي. حاملاً صوراً تعبر عن حياتهم الجميلة وما يختلج في نفوسهم من مشاعر الفرح والرثاء والشجاعة والإيثار). إلى أن قال سموه : (فإذا كانت الأمم لها عاداتها وتقاليدها وأساليب معيشتها المختلفة فان العرب يجدون في الشعر لوناً رائعاً يعبرون به عما يجول بخواطرهم. لذا قيل إن الشعر ديوان العرب لأنه يحوي جميع همومهم وآمالهم وأخبارهم. وليس هناك أكثر عذوبة وشفافية من قصيدة شعرية لشاعر يخاطب بها العقول والأذواق ويستشير بها الهمم والحماس ويعلو من شأن الممدوح ويحط من قيمة الوضيع.... الخ)(٢).

أما سمو الأمير الدكتور / فيصل بن محمد آل سعود. وكيل إمارة منطقة الباحة فقال في كلمة إشادة بالديوان : (فقد سعدت بالاطلاع على مسودة ديوان من الأدب الشعبي بمنطقة الباحة الذي عني فيه جامعه بحصر نماذج من الموروث الشعبي بلونه المشهور في جنوب المملكة العربية السعودية وقد تبين لي ان الأستاذ/ عبد الله احمد المالحي قد بذل جهداً كبيراً في الحصول على مادة هذا الديوان وتبويبها والتعليق عليها وهو جهد يذكر فيشكر.

(١) راجع الكتاب المذكور جمع و إعداد / عبد الله احمد المالحي الزهراني.

(٢) راجع تقديم الكتاب لسموه صفحة (٧)، صفحة (٩).

وإذ أُعبر عن إعجابي بهذا العمل. أرجوا الله ان يكتب له النجاح والتوفيق حتى نرى منه أجزاء أخرى لأنني أعلم أن ماضي منطقة الباحة غني بالكثير من روائع الشعر الشعبي الذي يؤرخ لحقب الحياة في هذا الجزء من بلادنا).

لا شك ان مثل هذا التقدير والتشجيع للجهد المبذول من صاحب هذا الكتاب وغيره من المؤلفات الأخرى التي صدرت من أدباء ومثقفي منطقة الباحة من رجلين يقفان مع بقية الأسرة الحاكمة في قمة الهرم لهذه الدولة السنية ينم عن ذائقة أدبية ورغبة في دفع الحركة الأدبية في هذه المنطقة إلى النور والإزدهار ويؤيد تأييداً لا لبس فيه لما قلته سابقا بأن هذا العهد الزاهر الذي نعيشه في ظل حكومة رشيدة تقرب العلماء وتحترمهم وتقدر جهود الباحثين عن التراث ثم مسايرة العصر الحديث بكل ألوانه العلمية والثقافية كان سبباً في نفض الغبار عن الماضي واستخراج كنوزه المدفونة في باطن التاريخ مما أدى إلى ظهور حقائق تاريخية كانت غائبة عن كثير من الناس وبالتالي دفع المؤلفين والباحثين إلى نشر كل عمل صالح تستفيد منه الأمة ويوضح عراقة وأصالة هذا البلد الأمين ماضياً وحاضراً ومستقبلاً إن شاء الله.

و في إيجاز قصير سوف أتحدث عن كوكبة من الشعراء الشعبيين المعاصرين الذين كان لهم باعاً كبيراً في تطور الشعر الشعبي في هذه المنطقة بصفة عامة وبيئة ثابت بن أوس (الشنفرى) بصفة خاصة. حيث نقحوه مما كان يشوبه من مغالاة في المدح والقرى للضيف فاكتسب صيغة جميلة يعرف معانيها ومفرداتها القريبة المتلقي أما المعاني الأخرى القابعة خلف

السطور فلا يعرفها إلا الشعراء أنفسهم أو النقاد شأنها في ذلك شأن القصيدة العربية الفصيحة التي قد تأتي حيناً صريحة وأحياناً أخرى رمزية غامضة المعنى والهدف ومنهم :

١) الشاعر/ محمد بن مصلح الزهراني من كبار شعراء هذا اللون في منطقة الباحة وهو يعتبر شيخ الشعراء الشعبيين المعاصرين في المنطقة. له باع طويل في الشعر الشعبي فأغلب شعره حماسي يدعو إلى الفضيلة والشهامة والنجدة. وقد جدد في لحون هذا التراث خاصة العرضة مما اكسبه سمعة وتفوق على أقرانه.

٢) الشاعر المبدع / عبد الله بن عيضه البيضاني الزهراني من كبار الشعراء الشعبيين في المنطقة ولديه شاعرية عذبة يجيد انتقاء المعاني والمفردات القوية مما يدل على ثقافته وبعد نظره ويتميز عن غيره بقوته في الرد على الشاعر المستثير له دون أن يستطيع أحد أن يجره إلى المهاترات يحترم نفسه والآخرين.

٣) عبد الواحد بن سعود الزهراني من كبار الشعراء الشعبيين له قصائد حماسية جيدة. يعرف في المنطقة بصاحب القصائد الموسمية فله في كل عام قصيدة رائعة متميزة بطرحها يحسن اختيار الوقت المناسب لإطلاق عنانها وكان الناس ينتظرونها في كل عام. صدر له ديوان جديد لم نطلع عليه.

٤) شاعر الحكمة / عبد الرزاق بن سعيد بن حوقان الزهراني المقب بـ (ابو رزق) شاعر مقل. يتصف شعره بالحكمة والمثل.

٥) صالح بن محمد اللخمي الزهراني شاعر مبدع. يتصف شعره بالقوة

والإبداع يميل إلى نصح الناس وتحذيرهم من السفهاء وأصحاب النوايا السيئة ويترفع عن المهاترات والإسفاف في القول اشتهرت له إحدى القصائد كانت بعنوان الصديق سبق ذكرها:[١].

و هي مؤثرة جداً تهز مشاعر المتلقي وتحرك لواعجه وقد رأيت أحدهم يستمع إليها من شريط مسجل ويعيده ودموعه على خده وقد ذكرت نصها سلفاً[٢].

٦) الشاعر هذال الزهراني يلقب بالشج شاعر جيد يمتلك روح النكتة في شعره يرفع بحركاته حين إلقاء قصيدته من حماس الجمهور لديه القدرة على منازلة الاخصام إن أحسنوا أحسن وإن أساءوا أساء.

و القائمة كثيرة لكن هولاء هم الأبرز في الوقت الحاضر ويعتبرون أعمدة الشعر الشعبي المعاصر في منطقة الباحة.

أما الشاعرات الشعبيات فهن كثير وقد أبدعن بشعرهن وما وصل إلينا منه كان رائعاً وله وزن وقافية. يختص في معظمه بنصح الشابات المتزوجات حال إلقاء القصيدة بالمحافظة على شريك العمر والعشرة الزوجية. وقد أوردت نماذج منه في مقال نشر في مجلة تجارة الباحة تحت عنوان - شاعرات في الظل -[٣]. تحدثت فيه عن جودة هذا الشعر وصعوبة الحصول عليه منهن لتحفظهن عليه باعتباره من خصوصيات المرأة التي لا يجب الاطلاع عليها وسوف اعرض له بشكل أوسع في كتابي القادم

---

(١) مسجلة على شريط (كاسيت) يباع في الأسواق.

(٢) انظر صفحة (١٠٤) من هذا البحث.

(٣) انظر مجلة تجارة الباحة العدد (٨٠) رجب، شعبان / ١٤١٩هـ.

الذي تحت المراجعة وهو بعنوان – شاعرات في الظل – إن شاء الله.

المؤثرون على انفسهم من بيئته ولو كان بهم خصاصه :

عندما خلق الله تبارك وتعالى عبادة لم يجعلهم على مستوى واحد من الفقر والغنى والجمال والذكاء والغباء والقوة والضعف والأمانة والخيانة والشجاعة والجبن وغير ذلك بل قسم بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفع بعضهم على بعض درجات قال جل من قائل :

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) ﴾[سورة الزخرف الآية (٣٢)].

يقول الشيخ أبو بكر الجزائري رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾. (أي إذا كنا نحن نقسم بينهم معيشتهم فنغنى هذا ونفقر هذا ونملك هذا ونعزل هذا فكيف بالنبوة وهي أجل وأغلى من الطعام والشراب فنحن أحق بها منهم) إلى أن قال في تفسير بقية الآية الكريمة (ليتخذ بعضهم بعضا سخرياً) أي جعلنا هذا غنياً وذاك فقيراً ليتخذ الغني الفقير خادماً يسخره في خدمته مقابل عمله)[1].

و لا شك أن الإنسان العربي على امتداد وطننا العربي ومنه هذه البيئة التي عاش فيها ثابت بن أوس (الشنفرى) يتصف بالكرم والشجاعة والإقدام والنخوة والشيمة والإيثار على النفس تجلت كل هذه في الغزوات الإسلامية التي نشر فيها العرب الدين الإسلامي ودعوا إلى

---

(١) أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري م / ٤ صفحة (٥٢٦).

عبادة الله وحده ولم يكن لهم مطامع استعمارية أو ابتزازية كما فعله الغرب عند احتلالهم لبعض بلاد العرب التي عانت منه كثيراً ولازالت حيث جاء القرن الحادي والعشرين بأساليب جديدة وهو القرن الذي كنا نتوقع أن يكون قرن سلام ورخاء للعالم بأسره. وأن يكفّر قادته من تلك الدول عما فعله أسلافهم من ظلم وقتل وابتزاز. وقد وصف الشيخ حمد الجاسر رحمه الله أهل هذه البيئة بهذه الصفات فقال أنهم عرب اقحاح. لكن قدرات الناس تختلف فالله قسم بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا كما جاء في الآية الكريمة. فإذا كانت هناك بيوت أنعم الله على أبنائها بشيء من نعمه التي لا تحصى فكانت بيوت علم وفكر وأدب أو قيادة فكان أبناؤها أو بعضهم قادة بارزون فإن هناك بيوتاً قسم الله لهم الإيثار على أنفسهم فاشتهروا بحبهم للإنفاق على الضيف والمحتاج مما رزقهم الله في أوقات كانت البلاد تعاني من الجوع بسبب القحط الشديد الذي أودى بحياة خلق كثير فلم يبخلوا بشيء يجدوه على أقربائهم وعابري السبيل المتجهين إلى الديار المقدسة إما للحج أو العمرة أو الزيارة أو البحث عن لقمة العيش بعد ان تركوا أحباؤهم يصارعون قسوة الحياة ومشقتها فآثروا على أنفسهم طلباً للأجر والثواب من الله. تدفعهم سجاياهم التي عوضهم الله بها ليكمل بعضهم الأخر. و قد لعب المسجد في هذه البيئة دوراً كبيراً منذ فجر الإسلام فكان الشريف في قومه إذا أتى إلى قرية لا يعرف فيها أحداً يقصد المسجد فيصلي مع المسلمين فيستضيفه أحدهم فيقدم له الطعام والمبيت وكل ما يحتاجه باعتباره ضيفا من ضيوف الرحمن. والضعيف أيضاً يتوجه إلى المسجد فيبقى فيه حتى يستضيفه أحد

أهل القرية فيقدم له الطعام أيضاً أو يرسله إليه في المسجد إذا كان الوقت وقت دفء. وقد اشتهرت عدة بيوت من هذه البيئة بهذا الأسلوب منها : بيت بن شتران، في تهامة زهران. بيت بن غلة في السراة، بيت الدامر، بيت الطاوي، بيت القراهمه، بيت القادري، بيت بن فاران، بيت الخضر، وغيرهم الكثير. مما يصعب حصره. وحيث ان الأستاذ/ قينان جمعان الزهراني أحد الباحثين عن مثل هذه الأمور وقد أصدر كتابا بعنوان بيت من زهران ولديه العزم الأكيد على استكمال البحث في هذا المجال فقد تركت الأمر له متمنياً له التوفيق وان نرى بحوثه عن هذه البيوت قد برزت إلى حيز الوجود باعتبارها جزء من تراثنا في الوقت الذي عم الخير كل بيت وأصبح الكرماء يتمنون الضيف فيعز عليهم ذلك. فسبحان من يغير ولا يتغير. وإذا كان لي من كلمة أود ذكرها في نهاية سرد هذه الأسماء فهي أن الأرحام العفيفه النقية من الإثم والخطيئة في هذه البيئة كانت ولازالت تلد الرجال والنساء الشرفاء رغم جور الزمان في عصور الجهل والظلام المتعاقبة ومع انبلاج النور في نهضة مباركة نعيشها هذه الأيام ولن يصدهم عن خدمة دينهم ووطنهم فعل عابث مستَهْتِرٍ ولا غامز أو لامز متَستِّر. والله المستعان ،،،،،،،،،،،،،،،

القسم الرابع :

كلمات لازالت حية في بيئته
اوردها في شعره..

عندما نلقي نظرة فاحصة على شعره نجده اشتمل على كلمات لازالت حية في ألسنة أهل هذه البلاد زهران وغامد ويتخاطبون بها. الأمر الذي يؤكد ترجيحي للقول الذي يقول أنه زهراني المنشأ والولادة وإن لم يكن كذلك فقد تأثر بالبيئة التي عاش فيها وتربى فقد كانت بيئة علم وأدب ولغة عربية فصحى ومن ذلك قوله :

في قافية الباء :

خرجنا فلم نعهد وقلت وصاتنا ثمانيـــة مـــا بعـــدها متعتَّـــبُ

هنا نجد الشاعر أورد كلمة - مُتعتَّب - في نهاية الشطر الثاني ولم يوضح الدكتور أميل معناها بل قال فيه "مستعتب" "مكان" "متعتب"[١].

و الصحيح هو القول الأول - متعتب - وقد جاءت في الأصل من كلمة - عتب - بمعنى لامه لوماً خفيفاً. أو أخذ في نفسه عليه. حيث يقولون هنا في تخاطبهم فلان يتعتب على فلان، بفتح التاء الثانية وتشديدها - أي أخذ في نفسه عليه وكان يتمنى أن لا يكن عمل ما عمل. قال لسان العرب : (و التعتب: التجني تعتب عليه، تجنى عليه بمعنى واحد، تعتب عليه : أي وجد عليه. إلى أن قال : وعاتبه معاتبة وعتاباً كل ذلك لامه)[٢].

ويقول في البيت الثالث :

سـراحين فتيـان كـأن وجـوههم مصابيح أولون مـن المـاء مـذهب

يقول الدكتور/ أميل يعقوب في ترجمته لكلمة- السراحين- جمع السرحان: وهو الذئب والأسد.

---

(١) انظر ديوان الشنفرى لصاحبه الدكتور/ اميل بديع يعقوب صفحة (٢٧).

(٢) انظر لسان العرب فعل - عتب -.

و كلمة سرحان هنا في السراة لا تطلق إلا على الذئب. لهذا نجدهم كثيراً ما يتعرضون له في أشعارهم نتيجة لبسالته وجراءته ويصفون به رجالهم وأولادهم فيقولون - فلان ذئب - أي ذكي مفرط الذكاء غير عادي يقول الشاعر الشعبي :

يالذيب سرحان ما صدت النمر وابن سمحـان[1]

ما صدت يـا ذئـب غـير الحاسـرة مـن قـصاها[2]

ثم يقول الشاعر في البيت الرابع :

نمر برهو الماء صفحاً وقـد طـوت شمائلنـا والـزاد ظـن مغيـب

قال الدكتور أميل في شرحه لكلمه - رهو - إنها تعني المكان المنخفض يجتمع فيه الماء. وهذا يخالف ما يتخاطب به الناس هنا في السراة. حيث عاش ثابت بن أوس (الشنفرى) فهم يعنون بها الإتساع من كل شيء وفي بلاد غامد وزهران أكثر من مكان يتسمى بهذا الاسم. فالرهوة مكان متسع ومنبسط في محافظة بالجرشي في ديار غامد ورهوة البر معروفة للجميع وهي في المنتصف بين ديار غامد وزهران. والرهوتين أيضاً مكان متسع في محافظة القرى غربي الأطاولة بجوار قرية المكاتيم. ورهي الإبل فرعة جبل متسعة في ديار المصاقير بزهران ، ووادي رهاوه وادٍ فسيح في قرية الجوفاء اليوسية بزهران.

(١) ابن سمحان الجمل.

(٢) الحاسرة : الهزيلة من الغنم و قصاها يعني تخلفها عن القطيع.

أما ما قصده الشاعر من قوله نمر برهو الماء. فهو يعني كثرة الماء. أي أن الماء كثير والزاد قليل. وكلمة راهي : بمعنى كثير لا يزال أهل السراة يتخاطبون بها إلى اليوم حيث يقولون - الرجل ما قَصَّر على أهله فقد أرهى لهم كل شيء - أي وفره، الماء راهي في الآبار. والحب راهي في القفاف.[1] أي متوفر بكثرة.

و في الشطر الثاني أورد الشاعر كلمة - شمائلنا - قال عنها الدكتور اميل بديع في شرحه : جمع الشميلة وهي الخلق - بضم الخاء واللام - وهذا غير ما قصده الشاعر الذي يتحدث عن الشمائل (جمع شمله وهي البسط المصنوعة من الصوف). ويؤكد هذا القول ما سبقه فقد قال طويت، والأخلاق لا تطوى الأمر الثاني الذي يؤكد قولي أنه أورد الماء والزاد. وهذا الفراش الذي يجلس عليه قد طوي كناية عن الترحال للبحث عن المفقود وهو الزاد المغيَّب.

و في البيت العاشر يقول :

يشن إليه كل ريع وقلعة ثمانية والقوم رجل ومقنب

هنا نجد الشاعر أورد كلمتين مما يتخاطب به الناس هنا ففي الشطر الأول أتي بكلمة - ريع - قال الدكتور اميل في ترجمته لمعنى هذه الكلمة أنها تعني المكان المرتفع. وهذا القول صحيح وهو عند أهل السراة مكان مرتفع عن الأرض يحجب الرؤيا عما خلفه ولا يبلغ ضخامة الجبل وهنا في بلاد غامد وزهران أكثر من مرتفع يحمل هذا الاسم فريع الوداف في زهران مكان معروف، وريع الشرف في غامد مكان معروف أيضاً

(١) القفاف : جمع قفه. وهي مكاتل كبيرة مصنوعة من الخصف لتخزين الحبوب.

وكلاهما يقعان على الخط الذي يصل الجنوب بالطائف وقد وردت كلمة الريع في القران الكريم قال الله تعالى :

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴾ [سورة الشعراء آية (١٢٨)].

قال المفسر رحمه الله تعالى في تفسيره لقوله تعالى (أتبنون بكل ريع) أي مكان عال مرتفع[١].

و **الكلمة الثانية** : (مقنب) بكسر الميم وسكون القاف وفتح النون. ولم يأت بشرحها الدكتور اميل بل جملها في الشرح مع سابقتها. وقال في مجمل الشرح. (المعنى يصب عليه كل مرتفع رجلا من رجالنا الثمانية رغم أن فيهم فرسانا ورجاله).

و الذي أراه من خلال تخاطب أهل السراة بهذه الكلمة انها تعني حمل الزاد والعتاد على ظهورهم وأكتافهم لأمرين :

١- أنهم في ديار الشنفرى وحتى اليوم يقولون - تقنب فلان فلاناً بين أكتافه إذا حمله إما خلال المعركة أو لإسعافه في حالة حاجته لذلك. وبصيغة المضارع يقولون يتقنب فلان عفشه على ظهره. وتقنبت المرأة حزمة الحطب : أي حملتها على أكتافها وعلى ظهرها .

٢- ان الشنفرى وعصابته كانت معاركهم في السراة التي عرفت بجبالها الوعرة جداً مشياً على الأقدام حيث يصعب استخدام الخيول للحرب في مثل هذه الأمكنة. فهو يقول اننا خصصنا ثمانية ممن لا يحملون عفشاً للغارة على الأعداء أما من يحمل الزاد وعدة الحرب فأنهم

---

(١) أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري م / ٣ ص / ٥٣١.

يحملون على أكتافهم ولا يشتركون في الحرب.

يقو ل لسان العرب في معنى (مقنب) : (المقنب شيء يكون مع الصائد يجعل فيه ما يصيده وهو مشهور شبه مخلاة أو خريطة)[١].

وفي البيت الحادي عشر قال[٢] :

فلما رآنا قومنا قيل أفلحوا فقلنا اسألوا عن قائل لا يكذّب

في هذا البيت وردت في الشطر الأول منه كلمة (افلحوا) قال الدكتور اميل في شرحه لها - افلحوا، ظفروا بما يريدون -. وإذا كان هذا القول صحيحاً فان أهل السراة يتخاطبون بها على سبيل الذهاب إلى الغاية وليس النجاح فيها فكثيراً ما نسمعهم يقولون افلِحوا إلى السوق بصيغة الأمر : وافلَحوا إلى الوادي : أي ذهبوا. وبفتح اللام بصيغة الماضي. أي ذهبوا وهم سوف يفلحون إلى حفل تكريم زميلهم. أي سيذهبون وهي واسعة الانتشار في تخاطبهم وقد تسمعها في كل لحظة.

في قافية التاء :

يقول الشاعر في البيت السادس والعشرين :

تراها كأذناب الحسيل صوادراً و قد نهلت من الدماء وعلت

هنا نجد الشاعر أتى بجملة - أذناب الحسيل - قال عنها الدكتور اميل في شرحه. الحسيل: جمع حسيلة وهي أولاد البقر. وقد شبه الشاعر السيوف بأذناب الحسيل إذ رأت أمهاتها فأخذت تحرك أذنابها[٣]. وشرح الدكتور

(١) لسان العرب فعل " قنب ".

(٢) انظر ديوان الشنفرى للدكتور اميل صفحة (٢٨).

(٣) انظر المرجع السابق صفحة (٣٦).

صحيحاً إذ أن إسم الحسيل منتشر في ديار ثابت بن أوس (الشنفرى). ويطلق على أولاد البقر. فالذكر منها يسمى حسيل والأنثى حسيلة. والجمع حسلان. قال لسان العرب: (الحسل ولد الضب، وقيل ولد الضب حين يخرج من بيضته فإذا كبر غيداق والجمع احسال وحسلان) إلى أن قال (و الحسيل ولد البقرة الأهلية وعم بعضهم فقال هو ولد البقرة والأنثى بالهاء) (١). ثم أورد هذا ونسبه إلى الشنفرى وهو يصف السيوف وأتى بنفس الشرح الذي أتى به الدكتور اميل. من هنا نستنتج أن جمعهم هنا صحيح. وهو من المسميات الشائعة في هذه البيئة فلا تكاد ترى بائع لحوم بقر إلا وهو يعلن عن وجود لحم حسلان لديه وهو من اللحوم المفضلة عند أهل هذه البيئة.

وفي قافية الدال :

قال الشاعر في البيت الثاني من هذه القصيدة :

إنــي زعــيم أن ألــف عجــاجتي ... على ذي كساء من سلامان أو برد

هنا نجد الشاعر أورد كلمة - عجاجتي - قال في شرحها الدكتور اميل : فلان يلف عجاجته على بني فلان. أي يغير عليهم. وهذا معنىً عاماً صحيحاً. لكن إذا أردنا التفصيل فان أهل السراة هنا يطلقون على الغبار الذي ينتج عن حركة رجل سريع. أو حيواناً يركض فيثير غباراً، أو رياحاً قوية تغبر الأرض بقوة. (عجه) بفتح العين والجيم مع تشديدها. كما يستخدمون نفس الكلمة التي أوردها الشاعر فيقولون : (كانت عجاجته منتصبة) أي الغبار الذي أثارة مرتفع إلى السماء. وفي ذات السياق

---

(١) لسان العرب فعل "حسل".

يقولون هجم بني فلان على بني فلان فضربوهم حتى كانت عجاجتهم منتصبة أي كان غبارهم متطايراً وهو كناية عن هزيمتهم.

في قافية الراء :

قال الشاعر في البيت الثالث من قصيدته الثانيه :

هنا لك لا أرجو حياة تسرني سجيس الليالي مُبسَلاً بالجرائر

هنا نجده أورد في الشطر الثاني كلمة - مبسلا - قال الدكتور اميل في شرحه لها : (مبسل. مسلم بسكون السين) إلى أن قال : (و قوله مبسل بالجرائر) يعني انه أسلم إلى عدوه بما جنى عليهم[1].

لكن أهل السراة يتخاطبون بهذه الكلمة بمعنى أكثر من الشيء حيث يقولون فلان أبسل لأهله كل شيء. أي وفر لهم ما يحتاجونه وعلى هذا فان المقصود هو أنه كان يسري على أعدائه فيكثر فيهم الطعن والسلب والنهب والترويع. ويؤيد قولي هذا أنه مات ولم يتب حيث طارده بني سلامان حتى قتلوه في الناصف في " بيده ". وقد أورد لسان العرب هذا البيت في شرحه لكلمة بسل ونسبه إلى الشنفرى حيث قال : (المستبسل الذي يقع في مكروه ولا مخلص له منه فيستسلم مؤقتاً للهلكة (أي مسلماً) الى أن قال (الجوهرى المستبسل الذي يوطن نفسه على الموت والضرب. وقد استبسل أي استقتل وهو أن يطرح نفسه للحرب يريد أن يقتل أو يقتل لا محالة)[2].

في قافية العين :

وفي البيت الثاني قال عندما شاهد أمه تبكي أخاه لما توفي :

---

(١) ديوان الشنفرى للدكتور اميل بديع صفحة (٤٨، ٤٩).

(٢) لسان العرب فعل "بسل".

لـــــيس لوالــــدة همهـــــــا   و لا قيلـــها لابنهـــا دعـــدع[١]

هنا نجد أنه أورد كلمة - دعدع - قال الدكتور اميل في تفسيره لها (دعدع كلمة تقال للعاثر، والمعنى أقاله الله) وهذه الكلمة لازالت حية في ألسنة أهل السراة وهي لا تعني دعاء بالإقالة بل بالزيادة لما حصل له فأهل السراة هنا يقولون لمن خاصمهم وأراد فراقهم وهم لا يرغبون فيه (طريق دعدع والحمار الجدع) بفتح الدال وتشديده. أي إذهب لا رغبة لنا فيك فأنت كالحمار المشوه الذي قطعت أذناه. و الكلمة واسعة الانتشار وكثيرة الاستعمال ومن استعمالاتهم لها قولهم عندما يثرون الماء في إسراف غير مقبول : (لا تدعدع الماء) أي لا تسرف فيه. كما يقولون عن الذي ساق أغنامه إلى مزارع الناس دع غنمه في الصريمة : أي أرسلها عمداً. والصريمة كما هو معلوم هي الأرض التي صرمت منها سنابل القمح وبقيت أعواده ترعاها الأغنام.

في قافية الفاء :

في البيت الثاني من قافية الفاء قال :

نعبت إلي أدنـى ذراهـا وقـد دنـا   من الليل ملتف الحديقة أسدف[٢]

هنا نجد الشاعر أورد كلمة- أسدف- قال الدكتور في شرحه لها- الإسداف- المظلم وهذا قول صحيح فأهل السراة هنا لازالوا يستخدمون هذه الكلمة بهذا المعنى وخاصة الذي نظره ضعيف حيث يقولون- نظره

---

(١) انظر ديوان الشنفرى للدكتور اميل صفحة (٥٢) و قد أشار في تقديمه لها بأنها أول ما قاله من الشعر.

(٢) المصدر نفسه صفحة (٥٣).

ضعيف ما معه إلا سدف - أي شيء من النور في عينيه لا يكاد يرى بهما الطريق جيداً.

في قافية الكاف :

في البيت الرابع من هذه القافية يقول :

ظللنا نفري بالسيوف رؤسهم و نرشقهم بالنبل بين الدكادك[1]

هنا نجد الشاعر أورد كلمة - الدكادك - قال الدكتور اميل في شرحه لها: (انها جمع الدكدك. وهو الأرض فيها غلظ) وقد نقل هذا التفسير من لسان العرب حرفيا. أما أهل السراة هنا فإنهم يطلقون على الأمكنة المرتفعة نوعا ما أمام المنازل أو بينها إما من صنع الإنسان حيث تبنى من الحجارة وتسوى في النهاية لتكون مجلسا للرجال ساعة الفراغ للجلوس عليها. وتجاذب أطراف الحديث. أو ممارسة بعض الحرف. وأما أن تكون ربوة صغيرة مرتفعة لا يقومون بإزالتها للاستفادة منها لهذا الغرض وتسمى واحدتها (دكّه)، بفتح الدال والكاف مع تشديده. ويجمعونها بقولهم دكاك. بكسر الدال وفتح الكاف الأولى. وهذا القول يتفق في المفرد مع لسان العرب حيث يقول - الدك، شبيه التل والدكة بناء يسطح أعلاه). إلى أن قال - قال الجوهري : الدكة والدكان الذي يقعد عليه)[2].

أما الجمع فلم يقل لسان العرب بما يقول به أهل السراة. والله أعلم.

---

(١) انظر ديوان الشنفرى للدكتور اميل صفحة (٥٧).

(٢) انظر لسان العرب فعل "دكك".

أعلم.

في قافية اللام :

بما أن أشهر قصيدة لثابت بن أوس (الشنفرى) هي لامية العرب التي اشتملت على أبيات اعتبرت من عيون الشعر العربي وقد اكتسبت شهرة أدبية عالية كما قال الدكتور / اميل بديع وأورد القصيدة في ديوانه - ديوان الشنفرى - وذكر انها ثمان وستين بيتا وأورد رأي الباحثين حيال نسبتها واختلافهم حيال ذلك حيث قال بعضهم إنها لخلف الأحمر وقد رجح هو انها للشنفرى وأورد أدلة قناعته بذلك وبعد الاطلاع عليها اتضح انها تسع وستين بيتاً وليس ثمان وستين حيث أن البيت الأخير جاء في صفحة مستقلة. و قد ضمن الدكتور/ اميل يعقوب الحواشي شرحا وافياً لمعاني الكلمات مما يسهل على القارئ فهم المقصود من الأبيات. أما الباحث مصطفى عيد الصياصنة فقد اقتطف منها بعض الأبيات وأخضعها للشرح دون معاني الكلمات وقال فيها رأيه وما يتصف به هذا الشاعر الصعلوك من أخلاقيات. أما صاحب كتاب الأغاني فانه لم يتطرق إلى هذه اللامية وأورد شعراً للشنفرى خلافها. وحيث إني أويد ما توصل إليه الدكتور / اميل يعقوب من أن هذه اللامية الرائعة هي لثابت بن أوس وليست لخلف الأحمر نظراً لما حوته تلك اللامية من كلمات لازال يتخاطب بها الناس في بيئة "الشنفرى" التي عاش فيها إلى اليوم فانني سأورد بعضها فيما يلي :

قال في البيت الرابع منها :

لعمرك ما بالأرض ضيق على إمريء　　سرى راغباً أو راهباً وهـو يعقـل[١]

هنا نجده ذكر كلمة (سرى) بمعنى ذهب لشانه في الليل وهي من الكلمات الحية في ألسنة الناس هنا في السراة حيث يقولون -سرى عبد الله يسمر عند صالح - أي ذهب في الليل. ومن أوصافهم للرجال الشجعان الذين لا يهابون ولديهم القدرة للتصدي والمواجهة - فلان يسري الليل ويقطع السيل - أي انه شجاع. ثم أتى بكلمتي راغباً وراهباً. وهما كلمتان كثيراً ما تردان مقترنتان ببعض في أحاديث أهل السراة هنا. حيث يقولون قديماً في مجال التعليم - ما يقرأ إلا راغب وإلا راهب - أي أن نجاح الطالب في دراسته مقترناً أما برغبة منه للتعليم بما فتح الله عليه من حب لها واما خوفاً من ولي أمره الذي يحثه على التعلم وإذا تأخر عاقبه على ذلك. فتراه يهاب ولي الأمر فيتعلم وينجح بإذن الله تعالى.

وفي البيت التاسع نجده ذكر البسطة، وتفضل عليهم حيث قال :

و مـا ذاك إلا بـسطة عـن تفـضل　　عليهم وكأن الأفضل المتفـضل[٢]

وكلمة البسطة معروفة للجميع وهي السعة في الرزق وظروف الحياة جميعها ومنها قولهم - فلان مبسوط - أي في سعة من الرزق وغيره. وهي من الكلمات واسعة الانتشار في السراة. ومن حكمهم هنا قولهم - ساعة البسطة لا تخاطيها - أي شارك في ساعات الأفراح ولا تكن منطويا على نفسك كما تدعو هذه الحكمة إلي قبول دعوة الداعي إذا كان هناك وليمة عامة أو خاصة. أما كلمة تفضل عليهم - فهي من العبارات التي كانت

---

(١) راجع ديوان الشنفرى للدكتور / اميل بديع يعقوب صفحة (٥٩) و ما بعدها.

(٢) ديوان الشنفرى للدكتور / اميل بديع يعقوب صفحة (٦٠).

ولازالت مستخدمة في تخاطب أهل السراة وتقال بعد الانتهاء من شرب القهوة العربية وعلى وجه الخصوص حيث يقول الضيف أو الضيفة - تفضل عليهم - بمعنى أكثر الله من فضله عليكم. فيرد صاحب المنزل بقوله - صحوح وعافية في الروح - أي هنيئاً مريئاً.

وفي البيت الثالث عشر قال :

إذا زل عنها السهم حنت كأنها مـرزأة عجلـى تـرن وتعـول(١)

هنا نجد الشاعر أورد كلمتين في الشطر الثاني وهما :

١- **مرَّزأة**: قال الدكتور اميل بديع: إنها تعني كثيرة الرزايا (المصائب) وهذا فيه شيء من الصحة لكن الأصح من ذلك هو تشبيهه القوس في إهتزازها بجسم المرأة المصابة بمس من الجن. ففي تخاطب أهل السراة هنا يقولون عن المرأة المصابة بمس الجن - فلانة مِرزِيّه - فهي إذا سمعت بخبر سيء أتاها جنيها ويسمى عندهم - مرزا - دون همزة. فتبكي وتصيح وترمي نفسها على الأرض فيهتز جسمها اهتزازاً عنيفاً، حتى ينتهي منها فإذا خرج منها عادت إلى رشدها وعاد إليها عقلها إليها وذكرت الله وتعوذت من الشيطان. وقد يصيب الرجل مثل ذلك فيقولون عنه فلان مرزي - أي به مس من الجن لكن الغالب عند النساء. كما يقولون ان الرجل معه قرينه أي به مس من الجن. والقرين بلا شك معروف ومن المعروف لدى أهل السراة هنا أن الشياطين يقترنون بالنساء وأن نساء الشياطين يقترن برجال الإنس وفي كلا الحالتين يأتيان أصحابهم إما حباً وعشقاً فيقولون على ألسنتهم ذلك ويصرحون به، أو نتيجة ضرر أصاب

---

(١) المصدر نفسه و الصفحة نفسها.

الجن من الإنسان فيأتون إليهم منتقمون وهكذا.

٢-ـ تِرِن : قال الدكتور/ اميل في ترجمته لهذه الكلمة انها تعني تصوت برنين، تصرخ. وهذا قول صحيح يتفق مع ما ورد في لسان العرب. لكن أهل السراة حيث تربى الشنفرى لهم بالإضافة إلى هذا المعنى ثلاثة معان أخرى.وهي كالتالي :

١- رَنَّ عبد الله زميله حسن بحجر في رأسه نتيجة لغضب أصابه- أي ضربه بالحجر ضرباً شديداً وموجعاً -.

٢- مِرِنّه. بكسر الميم والراء والنون مع تشديدها وكسرها. وهي تعني الاستعداد للانطلاق. حيث يقولون - الجمال مرنه في الطريق أي جاهزة للانطلاق -.

٣- رِن. فعل أمر للانتظار. حيث يقولون - رن هنا حتى أجيك - أي إجلس بالأمر حتى أعود إليك.

و الظاهر عندي والله اعلم انه يقصد الكلمة الأخيرة. أي ترن في مكانها أي تجلس وتبكي.

يقول في البيت الخامس عشر :

و لست بمهياف يُعشّي سوامه مجدعة سقبانها وهي بُهَّل[1]

هنا نجد الشاعر أورد كلمتين الأولى في الشطر الأول وهي (مهياف) والثانية في الشطر الثاني وهي (بهل) قال الدكتور اميل في شرحه للكلمة الأولى (مهياف) المهياف الذي يبعد بإبله طالباً المرعى على غير علم فيعطش وإذا كان ما قاله الدكتور صحيحاً ويتفق مع ما ورد في لسان

---

(١) ديوان الشنفرى السابق صفحة (٦١).

العرب وهذا بلا شك اجتهاد من الدكتور وترجمة حرفية. إلا ان الذي أراه هو أن صحة الكلمة هي (مهفوف) وهي تعني في تخاطب أهل السراة - الخفيف - السريع المستعجل في الأمور على غير هـــدي حيث يقولون - فلان مهفوف - فالشاعر ينفي عن نفسه هذه الصفة فيقول -أنا لست مهفوفاً - أي خفيفاً وقد قال لسان العرب في ترجمته لكلمة مهفوف بمعنى خفيف (رجل هف خفيف وفي حديث الحسن ذكر الحجاج هل كان إلا حماراً هفاً) أي طائشاً. أما الكلمة الثانية (بُهَّل) بضم الباء وفتح الهاء وتشديدها فقد قال الدكتور : بهل : جمع باهل وباهله وهي التي لاصرار عليها. وهذا أيضا قول يتفق مع ما قاله لسان العرب. لكن تبهل، يتبهل. في تخاطب أهل السراة تعني - تمتع بالشيء وسعد به - حيث يقولون : تبهل فلان في ماله. أي استمتع به ولم يبخل على نفسه وعياله. و قد أجمل الدكتور معنى البيت كله بقوله - يقول لست كالراعي الأحمق الذي لا يحسن تغذية سوامه فيعود بها عشاء وأولادها جائعة رغم انها مصرورة - وجوع أولادها كناية عن جوعها هي. لأنها من جوعها لا لبن فيها فيتغذى أولادها منه[1]. لكنني هنا أخالفه الرأي وعلى ضوء ما أوردت فإنني أرى ان الشاعر يريد بقوله في هذا البيت أنه ليس خفيفاً يتردد على سوامه ليعطيها العشاء وهي عادت مفكوكة الصرار بعد أن رعت وشبعت وأصبح فيها لبناً يغذي أولادها. وعلى أي حال قصده الشاعر فإنه في النهاية ينفي عن نفسه الغباء وعدم معرفة الأمور ويثبت أنه يحسن التصرف في الأمور كلها.

في البيت السادس عشر يقول :

---

(١) انظر ديوان الشنفرى للدكتور / اميل بديع صفحة (٦١).

و لا جبـاء اكهـى مـربٌ بعرسـه يطالعها في شـانه كيـف يفعـل[(١)]

هنا نجد الشاعر أورد كلمة (جباء) في بداية الشطر الأول ، قال الدكتور اميل في ترجمته لمعنى هذه الكلمة. الجُبَّاء : الجبان ثم قال إن الشاعر في هذا البيت ينفي عن نفسه الجبن وسوء الخلق والكسل كما ينفي أن يكون منعدم الرأي والشخصية فيعتمد على رأي زوجه ومشورتها. والذي أراه على ضوء تخاطب أهل السراة مرابع ثابت بن أوس (الشنفرى) وملاعب صباه. ان أصل كلمة - جباء - هو جبه بهاء بدلاً عن الألف والهمزة. أي أنه لا يعرف شيئاً وليس بمعنى جباناً حيث يتخاطب بها أهل السراة إلى اليوم فيقولون عن الذي لا يعرف من أمره شيئا أو جاهلا بأمر من الأمور - فلان جبيهه - وللأنثى مثل ذلك. أي أنه جديد على ذلك لا يعرف عنه شيئاً. وكلمة - جبيهه - تطلق أيضا على الثور الذي جلب من تهامة حديثا وقد كان عائشاً في الخبت لا يحسن الحرث ولم يسبق له أن انضم مع زميله في ضمد واحد.

لهذا فانني أرى أن الشاعر يقول أنا لست من الذين لا يعرفون ماذا يصنعون ليلة عرسهم خاصة إذا علمنا أن كلمة عرس هنا لا تعني الزوجة وإنما تعني ليلة الدخول وأن كلمة مرب هنا أصلها مريب وقد تعرضت للتصحيف حيث حذفت الياء أو ألغاها الشاعر للضرورة الشعرية. وهي تعني الخائف. ومن ذلك قول العرب في أمثلتهم - يكاد المريب يقول خذوني - لأن الرجل ليلة عرسه اذا انتظر زوجته توجهه لما يجب عمله فهو لا خير فيه. قال لسان العرب - رجل جبه -.

---

(١) انظر لسان العرب فعل "هفف".

كجباء : أي جبان. وهذا يتفق مع ما أورده الدكتور الذي نقلها حرفياً.
وعليه فإن صحة البيت هي :

و لا جبـه اكهـى مريـب بعرسـه   يطالعهـا في شـأنه كيـف يفعـل

ثم يقول في البيت الثامن عشر :

و لا خـــالف درايـــة متغـــزل   يـروح ويغـدو داهناً يتكحـل[1]

هنا نجد الشاعر أورد كلمة - خالف - في الشطر الأول من البيت قال عنها الدكتور في ترجمته لها انها تعني الذي لا خير فيه وأهل السراة يتخاطبون بهذه الكلمة بهذه المعنى إلا أنهم يضيفون إليها هاء في أخرها فيقولون - ولد فلان خالفه - أي أنه لا خير فيه خالف نهج الآباء والأجداد. وفي الشطر الثاني أتى بكلمتين كثيراً ما تردان مع بعض في تخاطب أهل السراة وهما - متدهن، متكحل - قال الدكتور اميل في شرحه لهما : الداهن الذي يتزين بدهن نفسه، يتكحل يضع الكحل على عينيه. ثم قال في مجمل شرحه لهذا البيت : والمعنى ان الشاعر ينفي الكسل ومغازلة النساء والتشبه بهن في التزين والتكحل وهو يثبت لنفسه الرجولة. وهذا القول صحيحاً وهو ما عناه الشاعر فعلاً.

و من المعلوم ان التدهن والتكحل للرجال في السراة يعد عيباً فلا يفعل ذلك رجلُ يتمتع بكامل الرجولة ويعتبر عندهم نقصاً ولقد مر بنا أن بنات خالد ابن السبله الدوسي هند وأخواتها كن يقدمن للفارّ من

---

(١) انظر الديوان نفسه صفحة (٦١).

القتال يوم حظوة مجمراً ومكحلة ويقلن له من باب التحقير معنا وأنزل. أي انك تتصف بصفات النساء فاجلس معنا.

و في البيت الثالث والعشرين يقول :

و أستف ترب الأرض كيلا يرى له   علـيَّ مـن الطـول إمـرء متطـول

هنا نلاحظ أن الشاعر أورد كلمتين مما يتخاطب به الناس في السراة إلي اليوم. الأولى في الشطر الأول وهي كلمة - استف - وهي تعني يأكل التراب. وفي الشطر الثاني وردت كلمة - متطول - أي مفتخر. قال الدكتور اميل في شرحه لهذه الكلمة: إمرؤ متطول : منان : ومفتخر عندي لهذه الكلمة هو الأقرب وان كانتا كلتيهما تدلان على عزة النفس وعدم قبول افتخار الآخرين عليه. قال الدكتور اميل في إجماله لمعنى هذا البيت: والمعنى أنه يفضل أن يستف تراب الأرض على أن يمد أحداً إليه يده بفضل أو لقمه يمن بها عليه وهذا شرح صحيح.

و هاتان الكلمتان : - يستف، يتطاول - لازالتا حيَّتان في تخاطب أهل السراة فالأولى تقال عند الخصام الشديد حيث يقول أحدهم للآخر - سف تراب فما عندي لك شيء -. أما في الثانية فأنهم يقولون - فلان يَطّال من فلان - وتنطق بدون تاء بعد الياء أو واو بعد الألف أي يشعر انه يفتخر عليه ويتكبر يقول الشاعر الشعبي في هذا المعنى :

كيـف مـا تطّـال بـي وأمـا انتـه   مثلــك يــا شــريكي اطــل بــه

انه يتساءل ويقول لماذا لا تفتخر بي وأنا افتخر انك شريكي ؟

و في البيت الرابع والعشرين يقول :

و لولا اجتناب الذأم لم يلف مشرب يعاش بـه الا لـدي ومـأ كـل[1]

هنا نلاحظ أنه أورد كلمة – الذأم – في الشطر الأول وقد ترجمها الدكتور اميل بقوله : الذام : العيب الذي يذم به. ثم قال إن الشاعر يقول – لولا تجنبي ما أذم به لحصلت على ما أريده من مأكل ومشرب بطرق غير كريمة.

و كلمة الذأم هذه واسعة الانتشار في تخاطب أهل السراة فهي تعني الشيء القبيح من كل شيء من الناس والحيوانات والطعام وغير ذلك لكنهم ينطقونها بصورة مغايره حيث يقولون – ذماه – أي شيء قبيح مستقذر. و هنا أرى أن شرح الدكتور اميل يقترب من الواقع كثيراً فالشاعر يقول لولا ان فعل السطو والحصول على الأشياء بطرق غير شريفة أمر قبيح وشائن لحصلت على ما أردت.

و في البيت السادس والعشرين يقول :

و أطوى علي الخمص الحوايا كما انطوت خيوطـه مـارى تغـار وتفتـل

في هذا البيت نجد أنه أتى بثلاث كلمات :

الأولى/ كلمة الحوايا : وهي من الكلمات التي لازالت تستخدم في تخاطب أهل السراة. وهي تعني ما يحتويه بطن الذبيحة من أمعاء وكرش وكبد وقلب وطحال ونحو ذلك. وهي كلمة وردت في القران الكريم قال جل من قائل :

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا

(١) ديوان الشنفرى للدكتور اميل صفحة (٦٣).

عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [سورة الأنعام الآية (١٤٦)].

قال المفسر رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ ﴾ أي الشحم العالق بالظهر والحوايا: المباعر والمصارين والأمعاء[(١)].

الكلمة الثانية/ تغار: وهي تعني انطواء الحبل على بعضه وأهل هذه البلاد يقولون لأولادهم حتى يمشي معك الحبل ويشد الحمل فك الغاره أولاً أي أرسل الحبل على طوله حتى ينفك الالتواء.

أما الثالثة/ فهي الفتل: فالحبل عادة ما يكون من خيطين يلف أحدهما على الآخر بحيث يقوي أحدهما الآخر. تقول فتلت الحبل أي لفيت جزئيه على بعض حتى يصبح مثل جديلة شعر العذراء.

و علاوة على ذلك فان لهم تخاطب آخر بهذه الكلمة وهو يفتل الشور أي يتداول الرأي والتشاور في محدثات الأمور فإذا استقر الرأي على خطة معينة نفذوها بصدق وأمانة وقد شبهوا اتفاقهم هذا بصدق كالحبل الذي أبرم بعناية فشد الحمل دون أن ينقطع. وهذا القول يتفق تماماً مع ما نسمعه اليوم حيث يقولون - أبرمت الدولة اتفاقاً مع الدولة الفلانية وهكذا. إذاً فالمعنى إنَّ فتل الشور يعني عقده وإبرام اتفاقية وعقدها. ومن اراجيزهم في هذا المعنى قولهم:

تــرى إنَّ الرد قبــل السيــل ينفــع
و فتــل الشــور قبــل الــواردات

---

(١) أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري م / ٢ / ص / ١٠٥.

و كلمة الرد في البيت الأول تعني وضع الحواجز قبل أن يأتي المطر حتى لا يجرف السيل تربة المزارع الصالحة للزراعة فيجعلها قاعاً صفصفاً. ولهذا القول معنى بعيداً وقريباً لا يخفيان على القارئ الفطن. ومن أقوالهم أيضا في هذا المعنى :

يـا فاتـلٌ في الحيلـة

كفـاك فتال السمـاء

وكلمة الحيلة كما هو معلوم الصعيد، فتال السماء هو رب العزة والجلال من هنا نعلم ان الشاعر يقول - أيها الذي تحيك المؤامرات في الأرض لتضر عباد الله فان الله جلت قدرته هو الذي قدر الأمور على عباده وقسم بينهم معيشتهم فلن تستطيع أن تعمل شيئاً إلا بقضاء الله وقدره-.

ثم يقول الشاعر في البيت الثامن والعشرين :

غدا طاوياً يعارض الـريح هافيـا يخوت بأذناب الـشعاب ويعـسل[1]

و قد أورد الشاعر في هذا البيت أربع كلمات مما يتخاطب به أهل السراة هنا وهي على التوالي :

أولاً / كلمة - غدا - أي ذهب لشانه في الغداة، أي الصباح الباكر. وكثيراً ما نسمعهم يقولون متسائلين - فين غديت اليوم ؟ - أي إلى أين ذهبت في الصباح. و يقابل الغداة عندهم - الروحة - وهي اسم فعل راح يروح. أي العودة إلى المنزل ويستوي عندهم استخدامها في الصباح أو المساء لكن استخدامها في المساء أكثر. حيث يقول الأب لابنه - متى رحت من

---

(١) المصدر نفسه صفحة (٦٤).

الوادي ؟ فيرد عليه بقوله قريب الظهر أو بعد العصر -. يقول الشاعر الشعبي وهو يتهكم من الذي يؤخر عمل اليوم إلى غد ويشبهه بالذي يذهب إلى السوق في وقت العصر بعد انتهاء الناس من التسوق والعودة إلى منازلهم :

يا هابط السوق عصرا والنهار اقفى[1]

الفائدة في الضحى ما هي كما الروحة

الكلمة الثانية/ - طاوياً - وهي تعني الجوع الشديد. وهي من الكلمات الحية في ألسنة أهل السراة وواسعة الاستعمال فعندما يعود رب البيت إلى المنزل من الوادي أو السوق فانه يقول لزوجته - أنا طاوي جهدا - أي جائع. أجهدني الجوع كثيراً. وكلمة (جهدا) تعني الإجهاد في كل شيء. مثال ذلك قولهم - أكلت جهدا وشربت جهدا، وضربت ابني جهدا، وتأخرت جهدا، ونظرت جهدا، وركضت جهدا. وهي كلمة تدل على الكثرة. وهي تستمد قوتها من الآية الكريمة فقد قال جل من قائل :

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النور أية (٥٣)]. قال المفسر رحمه الله تعالى في تفسيره لقولة تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ أي حلفوا بالله بالغين غاية الجهد في إيمانهم[2].

الكلمة الثالثة / - ها فياً – وهي ترادف كلمة طاوياً. أي جائعا جوعاً

---

(١) أقفى : بمعنى ولى : شارف على الانتهاء.

(٢) أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري م / ٣ /ص/ ٤٦٥.

شديداً، لكن هافيا أبلغ في التعبير فهي تعني عند أهل السراة المرء الذي أتعبه الجوع كثيرا فأصبح نحيل الجسم بسببه فهو يتطايح منه يمينا وشمالا. وقد قال بهذا الدكتور اميل في ترجمته لهذه الكلمة. حيث قال الهافي الذي يذهب يمينا وشمالا من شدة الجوع.

والكلمة الرابعة / (يخوت) : قال عنها الدكتور بديع في ترجمته انها تعني الاختطاف والانقضاض. والصحيح كما يتخاطب بها أهل السراة هو سلوك الطرقات المتعرجة سراً بقصد الحصول على شيء أو الاختباء عن أعين المارة. وصيغة ذلك قولهم - رأيت ولد فلان يختخت -. أي يذهب هنا وهناك لا يبغي أحداً يعلم عنه والاسم عندهم - ختخته - والصفة - مختخت. قال لسان العرب - المخت - المنكسر المختبي نحو المخت وهو المتصاغر[1]. أما أذناب الشعاب فهي كلمة كثيرة الاستخدام حيث يقولون عن القطعة الزراعية إذا كان لها طرفاً طويلاً غير عريض ذنب الركيب، ذنب الجناب ونحو ذلك.

في البيت السادس والثلاثين قال :

و فـاء وفـاءت بـادرات وكلـها　　　علـى نكـض ممـا يكـاتم مجمـل

هنا نجد الشاعر أورد كلمة واحدة في البيت مما يتخاطب به الناس هنا وهي كلمة - فاء - بمعنى عاد وإن كانت لا تستخدم بتوسع إلا أنها معروفة للناس كافة عندما يتخاطب بها احدهم. يقول الشاعر الشعبي/ محمد بن غرم الله الثوابي الزهراني الملقب بابن ثامره وقد شبه أشخاص بعينهم بالنمر الذي يعدي على القافلة في وضح النهار ثم يعود إلى محرزه

(١) انظر لسان العرب فعل "ختت".

في الليل حيث يقول :

مثـل نمـر في الـضحى يعـدي و في وقـت المـسا يفـين[١].

و قد قال بهذا الدكتور اميل في ترجمته لهذه الكلمة. أما كلمة (على نكض) التي وردت في الشطر الثاني فقد قال الدكتور إنها تعني شدة الجوع. وهذا محل نظر لان المقصود هو شدة التعب وليس الجوع فهو يقول لما عاد وعادت كان كلاً منهما متعب مما كان يكتمه من سعيه الذي لم يتحقق. يقول لسان العرب - تنكظ : عليه أمره : التوى وقيل تنكظ الرجل اشتد عليه سفره -[٢].

ويقول الشاعر في البيت السابع والثلاثين :

و تشرب اسآرى القطا الكدر بعـدما سرت قربا احناؤها تتصلـصل[٣]

هنا نجد انه أورد في هذا البيت ثلاث كلمات مما يتخاطب به أهل السراة وهي كما يلي:

الكلمة الأولى / - اسآرى - قال عنها الدكتور اميل في شرحه انه جمع سؤر. وهي البقية في الإناء من الشراب. وهذا شرح صحيح لكن أهل السراة يوسعون الأمر فيطلقونه على كل فضلة من طعام حيث يقول الإبن لأمه - أنا لن أكل سؤرة أخي فلان اصنعي لي طعاما غيره -. وتقول الأم لزوجة إبنها - لا تعطين زوجك سؤرة الأولاد من الطعام

---

(١) انظر القصيدة بدعا و ردا في الكتاب الثاني من الموروثات الشعبية لغامد و زهران لصاحبه علي السلوك الزهراني صفحة (٩٠).

(٢) راجع لسان العرب فعل "نكظ" و ما بعدها.

(٣) انظر الديوان نفسه صفحة (٦٦).

إصنعي له أكلاً جديداً حتى تصلين إلى قلبه - وهكذا.

الكلمة الثانية / (احناؤها) قال عنها الدكتور في شرحه الإحناء : جمع الحنو وهو الجانب. وهذا قول يقترب من قول الشاعر وقصده. لكن المقصود كما يفهمه أهل السراة هنا هو ضلوع الصدر المنحنية. وهي مأخوذة من انحناء الشيء. ورجل منحن عندهم انثنى ظهره من الكبر، وحنايا الدف، استدارة حديدته التي يلف عليها الجلد.

الكلمة الثالثة / - تتصلصل - قال عنها الدكتور في شرحه تصوت. وهذا شرح صحيح. وهو الصوت الذي ينتج عند امتلاء البطن بالماء دون أكل وبما يشبه الحنين. و لهذا كثيراً ما نسمعهم هنا في السراة يقولون - فلان ضرب ابنه حتى صل قلبه - أي أحدث صوتاً كالصليل في حنايا الصدر.

ويقول في البيت الثاني والأربعين :

فغبت غشاشاً ثم مرت كأنها　　　مع الصبح ركب من احاظة مجفل[1]

في هذا البيت ثلاث كلمات مما يتخاطب به أهل السراة هنا وهي على النحو التالي :

الكلمة الأولى / - غبت - وقد سبقها حرف الفاء وهو حرف عطف. وهي فعل ماض من يغب. قال الدكتور اميل في شرحه لهذه الكلمة : والغب شرب الماء من غير مص. لكن ما يتخاطب به الناس هنا هو يعني شدة العطش. حيث يقولون : الغنم غَبّه. أي عطشا.

و يقول الزوج لزوجته عندما يأتي إلي بيته وهو بحاجة إلى الماء هبي لي ماء فانا غبٌ. بضم الباء. أي شديد العطش ولم يقل لسان العرب بما قاله

(١) المصدر نفسه صفحة (٦٧).

الدكتور أميل من أن معنى فغبت. شربت الماء. والذي يؤيد رأيي هذا الحديث الشريف (زر غباً تزدد حباً).

أما الكلمة الثانية / فهي - غشاشا - والتي قال عنها الدكتور أميل بديع أنها تعني العجلة. فلا يتخاطب بها أهل السراة بهذا المعنى ولكنهم يقولون غش الماء في القدر أي غلى كما يقولون غش الناس أي تجمعوا. وأما لسان العرب فقد قال - الغشاش - أول ظلمة وآخرها. ولقيته غشاشاً، غشاشاً والأخيرة بفتح الغين أي عند الغروب. وهو المعنى الذي أرى أنه ينسجم مع التفسير الصحيح للبيت.. أي أنها أتت في الظلام تشرب وهي عطشى. ويؤيد هذا الكلمة الأولى في الشطر الثاني حيث يقول الشاعر - مع الصبح - ثم جفلت.

الكلمة الثالثة / - مجفل - قال الدكتور في ترجمته لها : المجفل المنزعج. وهذا قول صحيح يتفق مع تخاطب أهل السراة هنا حيث يقولون جفلت الغنم. أي خافت وتفرقت من أمر أزعجها وأخافها كالذئاب والكلاب ونحو ذلك.

وفي البيت الثالث والأربعين قال :

و آلف وجه الأرض عند افتراشها بأهــدأ تنبيــه سناســن قُحَّــل[1]

هنا نجد أنه أورد كلمة - سناسن - في الشطر الثاني من البيت قال الدكتور في ترجمتها أنها تعني فقار العمود الفقري. وهذا قول صحيح يتفق مع تخاطب أهل السراة فهم يقولون سنسون الظهر أي العمود الفقري.

وفي البيت الواحد والخمسين يقول :

---

(١) انظر المصدر نفسه صفحة (٦٧).

فـاني لمـولى الـصبر اجتـاب بـزه　　على مثل قلب السمع والحزم افعـل[١]

في هذا البيت نجد الشاعر ذكر اسماً معروفاً لدى الناس في السراة وهو - السمع - وهو حيوان لا يخرج إلا في الليل يشبه القط تماماً إلا أن طوله يصل إلى ضعف طول القط. وهو عدو القطط فإذا رأته فرت كما تفر الغنم من الذئب. قال عنه الدكتور أميل : السمع ولد الذئب من الضبع.

و في البيت الثالث والستين يقول الشاعر :

نصبت لـه وجهـي ولاكِـنَّ دونـه　　و لا ستر إلاَّ الأتْحمـي المرعبـل[٢]

هنا نجد الشاعر أورد كلمة واحدة مما يتخاطب به الناس هنا جاءت في الشطر الأول. وهي قوله - ولا كن دونه - قال الدكتور اميل في شرحه لهذه الكلمة إنها تعني. الستر. وهذا شرح صحيح وهي من الكلمات التي لازالت حية في ألسنة الناس هنا. حيث يقول الأب لابنه - إذا جاء المطر وأنت في الوادي استكن في السقيفة - أي اتخذها ستراً يقيك من المطر وهكذا.

ثم يقول في البيت الرابع والستون :

و ضافٍ إذا طارت له الريح طيرَّت　　لبائـد عـن أعطافـه مـا ترجـل[٣]

في هذا البيت نجد الشاعر أورد كلمتين في الشطر الثاني من البيت مما يتخاطب به الناس حتى اليوم.

الأولى / - لبائد - قال عنها الدكتور : اللبائد جمع مفردها اللبيده. وهي الشعر المتراكب بين كتفيه. وهذا قول صحيح لكن أهل السراة علاوة

---

(١) انظر المصدر نفسه صفحة (٦٩).

(٢) المصدر نفسه صفحة (٧١).

(٣) المصدر نفسه صفحة (٧٢).

على ذلك يطلقون على كل شيء لازق بالأرض يصعب تحريكه من مكانه: لبده: فالرجل الذي يلزق بالأرض بطئ الحركة قليل النفع. لبده، الصخرة الملساء المنبطحة على الأرض يصعب تكسيرها لبده، ونحو ذلك.

الكلمة الثانية / - أعطافه - ترجمها الدكتور اميل بقوله الأعطاف : جمع العطف وهو الجانب. وهذا أيضا قول صحيح يتخاطب به أهل السراة بهذا المعنى. حيث يقولون - فلان يمشي ويتلمح في أعطافه - وهذا كناية عن عجبه بنفسه. هذا القول يستمد قوته من قوله تعالى في محكم التنزيل : ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [سورة الحج الآية (٩)].

قال المفسر رحمه الله تعالى في تفسيره لقوله جل شانه - ثاني عطفه - أي لأوي عنقه تكبراً لأن العطف الجانب من الإنسان[١].

التصحيف وأثره على المطبوعات :

لا شك أن التصحيف داء ليس بالعضال الذي لا حل له ولا دواء ولكنه إذا حل بجسم مطبوعة ما نخر عظمها وشوه صورتها وأصاب مصداقيتها في الصميم ووجه أصبع الاتهام إلى من قام عليها تأليفاً وإعادة طباعة بعدم الدقة والإستهتار بالقارئ الذي يقضي جزءاً ثمينا من وقته للبحث عن المعنى الصحيح ثم يجد نفسه في نهاية المطاف تائها متحيراً لا يدري أين الحقيقة. و رغم ذلك فان من يقدر صعوبة التأليف والتحقق من المعلومات التي يسعى لتوفيرها بأمانة للقارئ لا يقلل من قدرها بالشكل

---

(١) أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري م ٣ / ص / ٣٦٣.

الذي يدعو إلى رفضها مطلقا فكل جهد من هذا القبيل يعتريه النقص كما قال علامة الجزيرة العربية الشيخ / حمد الجاسر رحمه الله تعالى : وعلينا ان نأخذ بالحكمة العربية التي تقول - الشيء الذي لا يدرك كله لا يترك جله -.

و للتصحيف كما أرى وجهان :

الوجه الأول : الخطأ في كتابة الكلمات وعدم الدقة في شرحها.

الوجه الثاني : الخطأ في مواقع الأماكن محل الحديث وعدم الدقة في تحديدها. ونتيجة لذلك برز بين العلماء فئة منحهم الله القدرة وحب إظهار الحقائق كما هي والتحقق منها فأطلق عليهم المحققون. حيث يقومون بدراسة المؤلفات القديمة من مخطوطات وغيرها ومطابقتها مع الأصول والواقع وتصحيح ما اعتراها من تحريف إما لخلل أصاب الأصل وعدم دقة المؤلف - بكسر اللام - وإلاً نتيجة للإهمال من تدقيق النقل.

وكتاب الأغاني لأبي فرج الاصبهاني من أمهات الكتب التي تعتبر مرجعا قيما ومهما للباحثين ومعينا يستقى منه فيروي عطش الباحثين إلا انه كغيره من الكتب تعرض للنسخ أكثر من مرة وكانت الطباعة التي بين أيدينا منسوخة على ورق قديم أصفر غير جيد مما أدى إلى غموض بعض الفقرات فيه وأرى انها تحتاج إلى توضيح وهذا بالتأكيد لا يقلل من شأنه وشأن صاحبه الذي بذل في تأليفه جهد غير عادي نسأل الله أن يثيبه عليه ويجازيه على ما بذل في إيضاح حقائق عن تاريخ حضارة أمة العرب والإسلام خير أمة أخرجت للناس. وبما أن بحثي هذا يتعلق في الأصل بشخصية عربية حادت عن الصواب فتعرض لها العلماء والباحثون خلال

العصور القديمة وحتى اليوم بالبحث والتحليل. وهو " الشنفرى " ذلك العربي الازدي القح، العدَّاء الأشهر والفاتك الأكبر. وقد عرجت على ابن عمه ورفيق دربه حاجز بن عوف الزهراني بشيء من الإيجاز وما قاله الاصبهاني عن أخباره فانني سوف اقتصر على بعض ما ذكره الاصبهاني من أخبار " الشنفرى " التي نرى انها تعرضت للتصحيف استناداً إلى ما يتخاطب به أهل بيئته التي عاش فيها وترعرع منذ زمنه وحتى اليوم وهي كما يلي.

١ ـ تحدث الاصبهاني في مؤلفه الشهير - الأغاني - عن هذه الشخصية على اعتبار أن الشنفرى إسمه ولم يذكر شيئا عن نسبه ونشأته ومن أي قبيلة هو واقتصر على قصته مع بني سلامان وأورد شيئا من أشعاره لم يكن من بينها أشهر قصيدة منسوبه إليه وهي لامية العرب التي ذكرها الدكتور اميل بديع في مؤلفه السابق ذكره وما دار حولها من شكوك ونسبتها له أو لخلف الأحمر وأخيراً استقر رأى الدكتور اميل على انها للشنفرى. للمبررات التي أشار إليها. وقد رجحت قوله هذا لاشتماله على كلمات لازالت حية في ألسنة أبناء السراة وهي ديار دوس وبني يوس وبني عمر من زهران. و قد شاب هذه الكلمات بعض التصحيف المخل والذي توه القارئ وجعله لا يدري أين هي الحقيقة.

قال ثابت بن أوس (الشنفرى)

و لو علمت قعسوس أنساب والدي و والدها ظلت تقاصر دونها[1]

و لم يذكر ما إذا كانت كلمة - قعسوس - هذه إسماً للفتاة السلامية أم

---

(١) الأغاني لأبي فرج الاصبهاني م / ٢١ / ص / ٨٨.

لقباً. لكن الدكتور اميل بديع قال في شرحه لها إنها لقبا للجارية[1].
الأستاذ/ مصطفى عيد الصياصنه فقد تعامل معها على انها اسم تلك الجارية[2].
وقد أصاب هذه الكلمة ما أصاب غيرها من التصحيف.
والحقيقة انها ليست اسماً ولا لقباً وانما هي عيره أطلقها عليها عندما لطمته حيث شبهها محتقراً إياها بالنملة التي يطلق عليها أهل السراة (قعصوص) وهي نملة طويلة اليدين والرجلين دقيقة الخصر، سريعة المشي لا تكاد تستقر في موقعها وتميزها هذه الصفات عن النملة العادية التي نعرفها. قال لسان العرب : نملة قسعاء رافعة صدرها وذنبها. وأهل هذه البلاد يقولون قَعَّص الجمل بذنبه. أي رفعه هذا التشبيه الأول وقد استبدل الصاد الأول والثاني بسينين.

و على هذا تكون صحة البيت على ضوء هذه الرؤيا :

و لو علمت قعصوص أنساب والدي   و والدها ظلت تقاصر دونها

أما التشبيه الآخر وهو الاسواء فيعتقد أنه قال - قعموس - وهي عذرة الكلب، القط، القرد، الطفل الصغير ونحو ذلك حيث صحفت الميم سيناً. هذه الكلمة لازالت حية في تخاطب أهل السراة. وهي مفرد ويجمعونها بقولهم قعاميس. لهذا فان صحة البيت تكون على ضوء الاحتمال الثاني هو :

و لو علمت قعموس أنساب والدي   و والدها ظلت تقاصر دونها

ويؤكد قولي هذا تشبيه العرب بعضهم البعض عند الغضب والاحتقار

(١) ديوان الشنفرى للدكتور / اميل بديع صفحة (٧٨).
(٢) الشنفرى الازدي للأستاذ / مصطفى عيد الصياصنه صفحة (٨٨).

بالحشرات فيقولون - فلان حشرة أو فلان قعموس. ثم يذكرون عذره الحيوان أو الإنسان. وعلى كل الأحوال فان هذه الكلمة شتيمة وانتقاص من قدرها وتحقيراً لها على كبريائها وازدرائها به وهو يرى نفسه أفضل منها حسباً ونسباً رغم إنه لا يعرف إسم أبيه وأمه ولم يذكر مسقط رأسه في شعره ولا قبيلته. أما إسم هذه الفتاة السلامية فهو لا يزال غامضاً غموض إسم أمه وأبيه وهي حلقة مفقودة من حلقات حياة هذا الصعلوك الغامض.

٢- قال صاحب الأغاني في شرحه - كان خازم باطحا في الطريق. يعني منبطحا[(١)]- والصحة كما يتخاطب بها أهل السراة قديماً ولازالت حية في ألسنتهم - باطحاً - متخفياً حتى لا يُرى وليس منبطحاً على بطنه لأن المنبطح لا يرى مثلما يرى المتخفي عن الأنظار وهو واقف. لذلك فإننا كثيراً ما نسمعهم هنا يقولون بطح الولد خلف الشجرة. أو قولهم تعوّد الولد أن يبطح عن أمه خلف الجدار. وفي حالة النهي يقولون لا تبطح مثل الحرامي ورا الستارة، وهكذا، أي لا تندس خلفها.

٣- قال - ثم ضربوا يده فتبعصرت - أي اضطربت[(٢)]- والصحة - تبعرصت - كما ينطقها أهل السراة وهي من الكلمات الحية في ألسنتهم حيث يقولون تبعرص الولد. أي رمى نفسه على الأرض من الغضب ثم حرك يديه ورجليه متحباً ومن ذلك مسمى البعرص وهي الوزغه.

٤- قال صاحب الأغاني في شرحه - ثم قال له السلامي - أأطرفك

(١) الأغاني لأبي فرج الاصبهاني م/ ٢١ / صفحة (٨٨).

(٢) المصدر نفسه و الصفحة نفسها.

كنا نفعل ثم رماه في عينه فقال الشنفرى (كان) كنا نفعل أي كذلك كنا نفعل - ثم قال في الحاشية وفي بعض الروايات كاك وهي لغة[1].

والصحيح الذي أراده الشنفرى وهو كلمة (كان) بدون همزة على الألف. أي كفى. لان هذه الكلمة لازالت حية في ألسنة أهل السراة هنا فإذا اكتفى الواحد منهم من أمر معين قال كان. أي كفى.

و من الكلمات التي وردت في شعره ولازال الناس هنا يتخاطبون بها وتعرضت للتصحيف كلمة "جوف" بمعنى بطن. حيث أورد بعض الرواه البيت الذي اشتمل على ذكر دحيس على كلمة جنب بدلاً من جوف :

قتيلــي فجــار انتمــا ان قتلتمــا بجنــب دحــيس أو تبالــه تــسمعا

والصحيح هو جوف فيصبح البيت هكذا :

قتيلــي فجــار أنتمــا ان قتلتمــا بجــوف دحــيس أو تبالــه تــسمعا

لان كلمة جوف هي الأعم والأشمل في تخاطبهم هنا حيث يقولون :

كنت في جوف الوادي أو جوف الغرفة - أو في جوف المعركة. أي في بطنها ولا يخفى على القارئ الفطن الفرق بين معنى جوف الشيء أي باطنه أو بجانبه. والله اعلم.

---

(١) المصدر نفسه و الصفحة نفسها.

القسم الخامس :

قرى وأودية في بيئته لازالت في ذاكرة التاريخ ذكر بعضها في شعره ومر بأخرى ولم يذكرها...

أ- أسماء القرى التي ذكرها في شعره...

نظراً إلى أن استجلاء الحقائق وتصحيح الرؤى عن أي أمر من الأمور التي تهم الباحثين عن الحقيقة تقتضي إيضاحها كما وردت في سير البارزين بتجرد ودون تحيز أو تعاطف. لذا فقد رأيت تجزئة هذا القسم الى فقرتين :

أ ـ أسماء القرى التي ذكرها الشنفرى في شعره وهي التي كما أعتقد قاومته وحاربته فقاتلها وتفاخر بذلك وقد ذكرها الدكتور / اميل بديع يعقوب في كتابه ديوان الشنفرى مرتبة قوافيها أبجدياً.

ب ـ أسماء القرى والأودية التي مر بها أثناء تنقله ولم يذكرها في شعره والسبب كما أراه هو عدم مقاومتها له وآثرت البقاء على الحياد.

وفيما يلي اسماء القرى التي ذكرها في شعره :

في قافية البـاء :

لم تشمل هذه القافية كما نرى على أي موقع من المواقع التي خاض فيها حربه مع خصومه وانما ذكر اسمه - ثابت - مما يؤيد القول الذي ذكره أهل سلامان بن مفرح في استعراضي السابق حيث يقول البيت السابع :

فشن عليهم هزة السيف ثابت و صمم فيهم بالحسام المسيب[1]

و لم يتطرق الدكتور أميل في شرحه لهذه الكلمة لاعتقاده أن معناها معروف للقارئ وهي تعني الثبات في الأمر. والحقيقة أننا لو أمعنا النظر قليلاً لعلمنا أن شخصية بهذا الحجم وهذا الإنتاج الشعري القوي

(١) راجع الديوان الصفحة (٢٨).

يستحيل ان يمر دون ذكر اسمه الصريح لتعلم الناس من هو وقد أورد لقبه - الشنفرى - في لاميته المشهورة[١].

قافية التـاء :

جاء في البيت الأول من هذه القافية ذكر أم عمرو. وقد تعامل الباحثون والكتّاب مع هذا الأسم على أنه اسم امرأة وهو في الحقيقة اسم قرية من قرى بني يوس تقع على الحدود مع قرية حظوة التابعة لدوس. وقد تحدثت عنها وعن اللقاء الذي صار فيها مع أهل حظوة: [٢]

حيث قـال :

ألا أم عمـرو أجمعـت فاسـتقلت ... ومـا ودعـت جيرانهـا إذ تولـت

انه يعني أن هذه القرية إستقر رأي أفرادها على الرحيل بعد المعارك الطاحنة التي حدثت ولم تودع جيرانها من القرى الأخرى بسبب الخلاف الذي نشب ويبدو أن المرأة التي أحزنه فراقها وهي أميمة التي امتدحها وذكر محاسنها في بيت الشعر الآتي من القافية نفسها :

فـوا كبـدا علـى أميمـة بعـدما ... طمعت فهبهـا نعمـة العـيش زلـت[٣]

هي صديقة له وقد عز عليه فراقها. والذي يدعم هذا الرأي هو أن العرب في تخاطبهم عن مجموعة من الناس قررت شيئا معينا يقولون قررت قرية كذا عمل كذا. بصيغة الجمع والمقصود أهل تلك القرية كما يقولون استقبلت مدينة كذا رئيس الدولة الفلانية استقبالاً حاراً والمعنى هو أهل تلك المدينة.

---

(١) انظر الديوان صفحة (٦٧).

(٢) المصدر نفسه صفحة (٨٩) ومـا بعدها.

(٣) المصدر نفسه صفحة (٣٢).

و مما تجدر الإشارة إليه أن التاريخ يذكر أنه بعد إسلام الطفيل ابن عمرو الدوسي وأبو هريرة رضي الله عنهما رحل معهما استجابة لدعوة الإسلام سبعين بيتاً من البيئة التي عاش فيها الشنفرى مما يدل على أن الهجرة الجماعية كانت تحدث قبل الإسلام نتيجة الحروب بين القبائل والظلم وبعد أن جاءت الدعوة للإسلام رأى الناس فيها خلاص للأمة من ويلات القبائل وأحكامها الجائرة أحياناً. فرحلوا إلى بلاد الإسلام.
كما أود ان أشير إلى أن هذا الرحيل الذي ذكره ثابت بن أوس لم يكن تاما فقد رحل البعض وبقي البعض الآخر مما جعل القرية تحتفظ بموقعها وإسمها حتى اليوم وقد شارك رجالها في الحضارة الزاهرة التي نعيشها اليوم ولله الحمد[١].

أما الدكتور اميل فقد قال في شرحه (إن أم عمرو أزمعت على الرحيل وما ودعت جيرانها حين تركتهم) ولم يذكر إذا كان أم عمرو هي إمرأة أو قرية. وكما نعلم أن أبيات الشعر يفسر بعضها بعضا فان البيت الذي يلي هذا قد فسره خاصة ما ورد في الشطر الثاني حيث يقول بصيغة الجمع - كانت بأعناق المطي أظلت - فلو كان الحديث عن امرأة واحدة لما قال بصيغة الجمع في الشطر الثاني

و قال في البيت الرابع عشر من هذه القافية :

بريحانة من بطن حلية نوِّرت لها ارجٌ ما حولها غير مسنت[٢]

هنا نجده قال - من بطن حِلية - وحلية هذه قرية من قرى زهران في

(١) انظر الشكل (٢٠) في الملحق.

(٢) انظر صفحة (٣٤) من الديوان.

تهامة. قال عنها الأستاذ/علي بن صالح السلوك - حَلْيَة بفتح الحاء وسكون اللام وفتح الياء بعدها هاء تأنيث. وادٍ من أودية قبيلة الشغبان - بضم الشين - من بني سليم بتهامة زهران.... الخ - ، وقد مر بنا أن بني سليم هو الفرع الرابع من قبيلة زهران. كما أضاف الأستاذ السلوك في موقع آخر قوله - حليه : كسابقه سلسلة جبال تقع غربي الحجرة من أهمها جبل حظا، جبل عفف، وتقع أيضاً على جانبي المضيق الذي يبدأ من وادي حلية في الجهتين الشرقية والغربية منه ومعظم هذه الجبال لقبيلة الشغبان من بني سليم من زهران[١].

و في البيت الثالث والثلاثين من هذه القافية يقول :

الا لاتعـدني ان تـشكيت خلـتي   شفاني بأعلى ذي البريقين عدوتي[٢]

هنا نجد الشاعر أورد موقع - ذي البريقين - وقد قال الدكتور اميل في تخريجه: (الأغاني ٢١ / ٢١١) وفيه (تزرني) مكان (تعدني)، و(كفاني) مكان (شفاني) و(الخميره) مكان (البريقين) [٣]. وبعد الرجوع إلى كتاب الأغاني الذي أشار إليه وجدنا أنه أورد الإسم مغايراً حيث قال صاحب الأغاني (ذي الحميرة) بدون نقطة على الحاء. كما ذكر الدكتور اميل. وهذا خطأ ربما مطبعي خاصة إذا علمنا دقة الدكتور في بحثه وكثرة الأخطاء التي وردت في سيرة هذا الصعلوك وأشعاره في الأغاني وغيره. و البراق، الحمره. موقعين موجودين في بيئة ثابت بن أوس أوردهما

(١) انظر المعجم الجغرافي لبلاد غامد و زهران للسلوك صفحة (١٩٤) و ما بعدها.

(٢) انظر الديوان قافية التاء صفحة (٣٨).

(٣) انظر الديوان صفحة (٣٨).

الأستاذ/ علي بن صالح الزهراني الملقب بالسلوك حيث قال :

الأولى : البَرَّاق : بفتح الباء وتشديد الراء المفتوحة بعدها ألف وقاف. جبل يقع غربي قرية الوهده بسراة زهران به أشجار زيتون ومراعي[١].

وهذه القرية التي يقع الجبل قريب منها هي إحدى قرى وادي دحيس الذي ذكره ثابت بن أوس - الشنفرى - في شعره. وهي تتبع محافظة القرى بزهران.

الثانية : فيها ثلاثة مواقع :

١- **ذي الحميره** / كما جاء في الأغاني وفيها تصحيف. والصحيح: الحُمَره : بدون ياء. وقد أورد الأستاذ علي بن صالح السلوك الزهراني في المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران ما يلي :

الحُمَره / بضم الحاء المهملة وفتح الميم والراء المهملة فهاء - قرية من قرى بني كنانة بسراة زهران...الخ[٢].

٢- **الحميراء** : قرية من قرى وادي محلا تقع شمال قلوة باثني عشر كيلا [٣] .

٣- **الخميره** : كما جاء في ديوان الشنفرى للدكتور اميل بديع .

و فيها تصحيف.و الصحيح هو الخمر بدون ياء ولا هاء (الخمر) وقد قال عنها الأستاذ علي بن صالح السلوك في المعجم سالف الذكر ما يلي :

الخمر : بفتح الخاء وضم الميم بعدها الراء - في لهجة المنطقة تعني مجموعة الناس التي تسير لتحقيق هدف معين على هيئة عصبة. واد يسيل من

---

(١) انظر المعجم المذكور صفحة (١٤٥).

(٢) انظر المصدر نفسه صفحة (١٩٩).

(٣) انظر المصدر نفسه صفحة (٢٠٠).

جبال بالحكم الشرقية وهو من روافد وادي غليله بتهامة (زهران).

الخمر - (لم يشكلها) حيث قال : الخمر كسابقه قرية من قرى بالحكم التهامية وتقع بوادي الخمر وسميت باسمه[١].

و مما تجدر الإشارة إليه أن قرية بالحكم الذي يتبعها هذا الوادي قرية عظيمة من قرى قبيلة بني كنانة اليوسية الزهرانية والتي سبق ذكرها وقاعدتها في السراة ولها فروع في تهامة.

و الذي أرجحه أن المقصود بهذه الكلمة هو (الحميراء) حسبما ورد في الأغاني ولو رجعنا إلى البيت الرابع عشر من هذه القصيدة لوجدنا أنه ذكر بطن حلية. وهو واد في تهامة. وذلك من قبيل وحدة القصيدة عند الشاعر وسياقها وتداعي الأحداث فيهما.

و لا أستبعد في الوقت نفسه أن يكون قصد - البراق - ذلك الجبل الذي يقع في وادي دحيس والذي تردد عليه كثيراً وقتل فيه أبرياء وسفك فيه دماء حيث اعتاد أن يلجأ إلى الجبال والأودية للاختباء فيها عن الأعداء الذين كانوا يلاحقونه دائما للأخذ بالثأر منه لما اقترفه من جرائم اعترف بها كما ذكرت سابقاً.

قافية الدال :

قال ثابت بن أوس (الشنفرى) في هذه القصيدة من قافية الدال :

كأن قد فلا يغررك مني تمكثي   سلكت طريقا بين يربغ فالسرد[٢]

قال الدكتور اميل في شرحه عن كلمتي (يربغ فالسرد) إن يربغ : موضع في

---

(١) المعجم السابق ذكره صفحة (٢١٦).

(٢) ديوان الشنفرى للدكتور / اميل صفحة (٤٢).

ديار بني تميم بين عمان والبحرين. أما السرد فقال عنها : انها موضع في بلاد الأزد. وهنا نلاحظ أن هناك خلطاً في تحديد المواقع فما الذي يجعل الشاعر يذكر موضع (يربغ) في ديار بني تميم بين عمان والبحرين. وهو الذي لم يتضح من خلال بحوث الباحثين والمتحدثين عن سيرته أنه غادر الديار التي عاش فيها وترعرع وهي ديار زهران الا عندما ذهب إلى الديار المقدسة وقتل حراماً ظلماً وعدواناً بمجرد أن احدهم وشى به أنه قاتل والده.

والصحيح ان - يربغ - هذه هي - رباع - وقد أضر بها - التصحيف ضرراً بالغاً. الأمر الذي جعلها غير معروفة تماماً. وهي في حقيقتها قرية من قرى قبيلة بني حسن اليوسية الزهرانية لا تبعد كثيراً عن بني سلامان في دوس حيث تربى ثابت بن أوس (الشنفرى) وترعرع ومنها انطلق في حياته. قال عنها الأستاذ/ علي بن صالح السلوك الزهراني - رباع - بضم الراء وفتح الباء الموحده بعدها ألف فعين مهملة ساكنة. بلدة من بلدان قبيلة بن حسن بسراة زهران.... الخ[١]. و قد كرر الشاعر هذا البيت في صيغة مغايرة وحمل رقم (٣) في هذه القافية حيث أورده على النحو الآتي :

و امشّي لدى العصداء ابغي سراتهم و اسلك خلا بين ارفاغ والسرد

قال الدكتور في تخريج البيت ما يلي :

التخريج. الأغاني ٢١ / ٢٠٢، فيه - رباع - مكان - ارفاغ[٢] - وقد أورد البيت المذكور بكلمة - رباع - صريحة في نفس الديوان فقال :

---

(١) راجع المعجم الجغرافي لبلاد غامد و زهران للسلوك صفحة (٢٣٣).

(٢) راجع الديوان صفحة (٤٢).

و أصبح بالعصداء ابغي سـراتهم و اسلك خلا بين أربـاع والـسرد[١]

ثم عاد فذكر البيت الأول الذي اشتمل على كلمة - يربغ - حيث أورد البيت كما يلي :

كأن قـد فـلا يغـررك مـني تمكثـي سلكت طريقا بين يربغ فالسرد[٢]

ولو أمعنا النظر في البيت الثالث في هذه القافية لوجدنا الرواة اختلفوا في الكلمة التي بدأ بها الشاعر هذا البيت فمنهم من قال :

امشّي لدى العصداء ابغي سراتهم ....

و منهم من قال :

و أصبح بالعصداء ابغي سراتهم ....

مما يدل على أن التصحيف لم يكتف بحرف في كلمة وإنما تعدى إلى كلمات كاملة. الأمر الذي توه القارئ وجعله محتاراً لا يدري أيها الأصح.

و الذي أرجحه في هذا المقام هو القول الأخير - وأصبح - لأن الغارات سواء على مستوى الأفراد أو القبائل أو الدول في العصور القديمة والحاضرة لا تبدأ الا الصباح والحكمة في ذلك كما نعلم إن أخذ العدو على حين غفلة في الصباح أسرع في هزيمته واستسلامه أما إذا تم الغزو في النهار وقد استيقظ المستهدف من سباته فانه حتماً سيقاوم ويصعب حينئذ هزيمته في وقت قياسي مهما كانت القوات الغازية من حيث الرجال

---

(١) المصدر نفسه صفحة (٩٤).

(٢) المصدر نفسه صفحة (١٠٠).

والعتاد. و في هذه الأبيات نجد أن الشاعر ذكر في آخر الشطر الثاني كلمة (السرد - وقد قال الدكتور اميل في شرحه لموقع هذا المكان - السرد موضع في بلاد الأزد. ثم قال بعد ذلك في شرحه للبيت الثالث من هذه القافية - والارفاع والسرد جبلان لبني سلامان[١])..

هنا نلاحظ أن الدكتور أشار إلى المراجع التي استند عليها في هذه المعلومة التي تقول ان السرد جبل لبني سلامان. والحقيقة أنه جبل فعلا في ديار ثابت بن أوس (الشنفرى) وإسمه الحقيقي - السَّود - بواو بدلاً عن الراء. يقع في ديار بني عمر فرع من فروع قبيلة زهران كما سبق أن ذكرت ويقع بجوار وادي منحل الذي ذكره ثابت في شعره[٢]. و هو يقع على الخط العام المتجه من الجنوب إلى الأراضي المقدسة قال الأستاذ/ علي بن صالح السلوك الزهراني في المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران: السَّود : بفتح السين وسكون الواو وبعدها دال مهملة - جبل يقع شمال شرقي منحل الأسفل بمسافة عشرة أكيال، وقد اكتشف به معدن البيريت (كبريت متحد مع النحاس والحديد[٣].

و مما تجدر الإشارة إليه أن أهل هذه البلاد يطلقون على المواقع التي تتكون من شقين منفصلين عن بعضهما ويبعد بعضهما عن الآخر لكنهما في النهاية موقع واحد، الأعلى، الأسفل. من هنا قال المؤلف منحل الأسفل لأن هناك منحل الأعلى يكونان معاً منحل واحده. ومن ذلك

(١) راجع الديوان المذكور صفحة (٤٢).

(٢) راجع الملحق الشكل (٢٦).

(٣) راجع المعجم المذكور صفحة (٢٦١).

قولهم سبيحة العليا وسبيحة السفلى. وهما قرية واحدة. لكن كلاً منهما يحتل موقع منفصل. وشدا الأعلى وشدا الأسفل.... وهكذا.

و مما ورد في هذه القافية اسم - العصداء - وقد استهل بها الشاعر بيته حيث قال :

و امشي لدى العصداء ابغي سراتهم ....

يقول الدكتور / اميل بديع في شرحه : العصداء : أرض لبني سلامان فيها نقاع يشربون منها الماء. ثم قال : وسراة القوم أشرافهم[1]. وقرية العصداء فعلا تقع في سراة زهران بجوار رباع التي اشرت إليها يفصل بينهما وادٍ لا يكاد يبلغ طوله الكيلوان. وتسمى المنطقة التي تقع فيها (نقاع بني حسن)، أي المكان الذي ينقع فيه الماء أي يتجمع. يقول شاعرهم الشعبي وهو يعاتب أخاه الذي سافر وتغرب كثيراً :

أوَّيه تترك نِقَاع بني حسن وانْحِنْ أهْلَكْ

و هي في الواقع تتبع قبيلة بني حسن بطن من بني يوس أحد الفروع الأربعة الرئيسية من قبيلة زهران، يقول الأستاذ/ علي بن صالح السلوك الزهراني في المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران - العصداء بفتح العين وسكون الصاد - وفتح الدال بعدها ألف وهمزة - قرية كبيرة من قرى بني حسن بسراة زهران، تقع شمال قرية الصغره بمسافة كيلا واحد وهي غربي طريق السيارات القديم إلى المندق..... الخ[2].

هنا نجد أن ثابت بن أوس لا يمتعض إذا وصف أعداءه بالشجاعة والقوة

---

(١) راجع الديوان المذكور صفحة (٤٢).

(٢) راجع المعجم المذكور صفحة (٣٠٩).

والشرف فوصف أهل هذه القرية بالسراة وهم أشراف القوم وعليتهم والسراة كما قال الدكتور في شرحه اشراف القوم. يقول الشاعر العربي:

لا يصلح القوم فوضى لا سُراة لهم و لا سُـراة إذا جهـالهم سـادوا

و لو لم يكن هناك سُراة وأشراف قوم يضعون حداً لتصرفات جهال القوم وغو غائيم لتركوا ثابت بن أوس يعيث في الأرض فساداً هو وعصابته لكنهم أبوا على أنفسهم ذلك فطاردوه وغيره وتخلصوا منهم. إذاً ما بال من قال بأن بيئة ثابت بن أوس آسنة متعفنة يغمض عينيه عن الحقيقة الناصعة والواضحة وضوح الشمس في كبد السماء. لكنه الزمن الذي نعيشه في هذه الأيام يُغَضُّ فيه النظر عن الحقيقة ويترك المريبون في حرية دون حساب ولا عقاب مما أدى إلى ما نحن فيه من ذل وهوان.

قافية الـــراء :

في هذه القافية أورد الشاعر ثلاثة مواقع في بيئته جاءت جميعها في الشطر الثاني من البيت الخامس حيث قال :

فـإن لا تزرنـي حـتفتي أو تلاقـني أمش بدهر أو عداف فنورا دون ياء[1]

قال الدكتور/ أميل بديع في شرحه لهذا الشطر - دهر، وعداف، ونوار : أماكن في ديار بني سلامان. وهذا قول صحيح إلا أنه شابها شيء غير يسير من التصحيف الذي حير القارئ والباحث معاً وسوف أصحح هذه الأسماء ثم احدد المواقع كما ورد في المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران لصاحبه/ علي السلوك الزهراني وذلك على النحو الآتي :

الموقع الأول/ - دهر - بسكون الهاء وصحته - دهو - بالـواو. قال

(١) راجع الديوان المذكور صفحة (٤٦).

الأستاذ/ علي بن صالح السلوك الزهراني في المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران ما يلي :

دهو : بفتح الدال وتسكين الهاء بعدها واو مفتوحة - قرية من قرى وادي الثعبان - حرف الثاء وسكانها من باللسود تقع في وادي بدان من روافد الثعبان وهو جنوب شرق الرميضه بخمسة وثلاثين كيلاً [١].

و لم يزد على ذلك الأمر الذي يجعل الموقع غامضاً للقارئ من خارج هذه المنطقة أهو في السراة أو في تهامة ؟ لكن الأستاذ/ قينان جمعان الزهراني قال في كتابه قبيلة من زهران وعند تفريعه لقبيلة زهران:إن أحلاف باللسودجزءمن قبيلة بني يوس وهي أحد فروع قبيلة زهران الأربعة الرئيسية[٢] . وهذا البطن من هذا الفرع من هذه القبيلة (زهران) يسكن تهامة وعلى هذا فإنه يمكن القول بأن - دهو - هذه يوسية زهرانية وإن ما أشار إليه الدكتور اميل في قوله إنها من ديار بني سلامان يقترب من الواقع كثيراً بل هو الواقع الماثل.

الموقع الثاني / - عِدَاف - بكسر العين كما جاء في بيت الشعر. والصحيح هو - العُدفَه - بضم العين وفتح الدال والفاء. قال عنها الأستاذ/ علي السلوك الزهراني في معجمه - قرية متفرعة من قرية آل نعمه - حرف النون - تقع غربها بكيل واحد[٣].

و آل نعمه هذه قرية من قرى دوس بزهران لا تبعد عن وادي ثروق

(١) راجع المعجم المذكور صفحة (٢٢٦).

(٢) راجع كتاب قبيلة من زهران تأليف الأستاذ/ قينان جمعان الزهراني صفحتي (٣٥، ٣٦).

(٣) راجع المعجم المذكور صفحة (٣٠٣).

التاريخي وبني سلامان إلا ما يقارب خمسة كيلوات ونحو ذلك[١].

الموقع الثالث / هو - نوَّر - بفتح النون والواو وتشديد الأخير والصحيح - مَنْور - قال عنه السلوك جبل يقع غربي قرية محويه من زهران اكتشف به معادن مؤخراً من قبل الثروة المعدنية السعودية..... الخ[٢]. وقد حدث له تصحيف حيث حذفت الميم في بيت الشعر واستبدلت بفاء فكانت - فنورا - لذا تكون صحة البيت هي :

فإن لا تزرني حتفتي أو تلاقني امشي بدهو أو عداف فمنورا

و هذا الجبل يقع بالقرب من جبل السّود الذي سبق أن ذكرته وكلاهما قريبان من بطن منحل. والجميع يقع في ديار بني عمر الزهرانية احد فروع زهران الرئيسية الأربعة.

ثم قال في البيت السادس من هذه القافية :

امشي بإطراف الحماط وتارة ينفّض رجلي بسبطا فعصنصرا[٣]

وقد ذكر الدكتور اميل بديع في تخريجه لهذا البيت صورة أخرى :

أمسي بإطراف الحماط وتارة ينفّض رجلي بسبطا فعصنصرا[٤]

ينفض رجلي مسبطيا معصفرا هنا نجده ذكر السين في بداية البيت بدلا من الشين في الذي قبله ثم ذكر في نهايته - معصفرا - بدلا من - فعصنصرا - في الذي قبله وقال في التخريج - وأسبط - أو بسبط -

(١) المصدر نفسه صفحة (٤١٦).

(٢) المعجم الجغرافي السابق ذكره صفحة (٤٠٨).

(٣) ديوان الشنفرى للدكتور اميل صفحة (٤٦، ٤٧).

(٤) ديوان الشنفرى للدكتور اميل صفحة (٤٦، ٤٧).

وعصوصر - أو عصنصر - جبلان في ديار بني سلامان بن مفرج وهذين الموقعين لا يعرفهما احد . و بعد الرجوع إلى المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران للأستاذ/ السلوك لم نعثر عليهما. وربما إنهما موجودين فعلاً وفات على الأستاذ السلوك. أو لم يعثر عليهما ولعل من يعرفهما يوضح ذلك لنا لإضافته في الطبعات القادمة انشاء الله.

و في البيت السابع من هذه القافية - قافية الراء - يقول :

أُبَغّي بني صعب بـن مـر بلادهـم   و سوف ألاقـيهم إن الله أخـرا[1]

و قد ذكر الدكتور اميل في تخريجه لهذا البيت صورة أخرى حيث قال:

و أُبَغّي بـني صـعب بحـر ديـارهم   و سـوف الا قـيهم ان الله يـسرا

هنا نلاحظ أن عبارة - **بحر** ديارهم - حلت محل عبارة - بن مر بلادهم - التي جاءت في الشطر الأول من البيت. ثم حلت عبارة - إن الله يسرا - محل عبارة - إن الله اخرا - ألتي أتت في الشطر الثاني من البيت. وهذا بلا شك دليل آخر على عدم تثبت الرواة من روايات الأبيات الصحيحة كما قالها الشاعر والمواقع أيضا. و لم يذكر في تخريجه من هم بنو صعب أولئك. ولكن أود ان أوضح هنا ان بنو صعبان هم أهل قرن ظبي من قبيلة بني حسن اليوسية الزهرانية. وهذا اسم لا يزال حيا في تخاطب أهل السراة ويتفاخرون به وهو عزوة لهم. يقول الشاعر جريبيع بن صالح الزهراني في قصيدة له على طرق اللعب :

أولاد صـعبان و اللـي عنـدهم يـأ منـون

كمـا العمـى لا نـزل بـين الـصبي والمقـول

---

(١) المصدر نفسه صفحة (٤٧).

و إلاّ الجراد الجو يدح يوم ياجي بجور
إلى مضى يرتع الاصدار وبنونها

قال الأستاذ/ علي بن صالح السلوك الزهراني في المعنى العام لهذه القصيدة - امتدح أولاد صعبان - يقصد الشاعر - وهي عزوة قرن ظبي ووصفهم بقوة الجراد عندما تقوم أسرابه...الخ [١].

ويقول الشاعر في البيت الثامن من هذه القافية :

و يوماً بذات الرس أو بطن منجل هنا لك نبغي القاصي المتغورا[٢]

قال الدكتور / أميل بديع في تخريجه لهذا البيت (التخريج الأغاني ٢١ / ٢٠٣ فيه (الرأس) مكان (الرس) و (تلقى) مكان (نبغي)...... الخ) وفي الشرح قال (الرس بئر لبني سلامان. ومنجل جبل لهم أيضا.

و بعد الرجوع إلى كتاب الأغاني وجدته أورد البيت كما يلي :

و يوما بذات الرأس أو بطن منجل هنا لك تلقى القاصي المتغورا

والصحيح فيما يتعلق بالكلمة الأولى - الرأس - كما قال به صاحب الأغاني لا كما قال به الدكتور اميل بديع. وعن موقعها قال الدكتور اميل في شرحه - الرس - بئر لبني سلامان والصحيح أن الرأس هذه ليست بئراً وإنما هي قرية من قرى بني عمر فرع رئيسي من أفرع قبيلة زهران الأربعة تقع قريبا جداً من وادي بيده المعروف تاريخيا وبالقرب من

---

(١) انظر الكتاب الثالث من موسوعته - الموروثات الشعبية لغامد و زهران - صفحة (٧٢).

(٢) راجع ديوان الشنفرى للدكتور / اميل بديع صفحة (٤٧).

الناصف الوادي الذي قتل فيه ثابت بن أوس " الشنفرى " وهي تتبع محافظة القرى بمنطقة الباحة.

يقول الأستاذ/ علي بن صالح السلوك الزهراني - الرأس - بلفظ الرأس المعروف قرية من قرى بيده تبعد عن العقاربة بكيلين شمالا[١].

أما الكلمة الثانية التي وردت في الشطر الأول من البيت سالف الذكر فهي - بطن منجل - قال عنها الدكتور اميل في شرحه منجل جبل لهم أيضا - أي لبني سلامان[٢]. وقد وافقه في ذلك صاحب الأغاني. لكن الصحيح هو - منحل - بالحاء وليس بالجيم كما ذكرا. وهو واد معروف في ديار بني عمر يقع شمالي مدينة الأطاولة مقر محافظة القرى بحوالي عشرة أكيال ويشتهر بالفواكه الجيدة كالخوخ والمشمش والرمان ويشتهر بجودة عسل النحل فهو فائق الجودة لوجود أشجار فيه تفرز كميات من الرحيق الأبيض وهذا الموقع يقع بين بيده سالفة الذكر وبين جبل السود وجبل منور اللذان سبق الإشارة إليهما.

قال عنها الأستاذ/ علي السلوك الزهراني - منحل الأعلى - بفتح الميم وسكون النون وكسر الحاء بعدها لام - قرية من قرى قبيلة قريش بسراة زهران تقع شمال قرية التويمات بمسافة ثلاث أكيال تليها منحل السفلى وتقع شمالي منحل الأعلى وسميت القريتان منحل لكثرة النحل بهما وعسلهما من أجود العسل في بلاد زهران[٣].

ولا يفوتني أن أشير إلى أن هناك وادٍ في تهامة الباحه إسمه وادي منجل

---

(١) المعجم الجغرافي لبلاد غامد و زهران صفحة (٢٣٢).

(٢) ديوان الشنفرى للدكتور / اميل بديع يعقوب صفحة (٤٧).

(٣) المعجم الجغرافي سالف الذكر صفحة (٤٠٧).

قال عنه الاستاذ / علي السلوك في المعجم الجغرافي لغامد وزهران وادٍ يقع غربي وادي راش إنه وادٍ يبدأ من قرية ذي عين شمال المخواه.[١]
والذي أراه انه ليس المقصود في شعر الشنفرى لأن هذان الواديان لا يقعان ضمن بيئته. كما أن هناك قرية في تهامه زهران إسمها النجيل قال عنها السلوك انها تقع شمال وادي الشعراء وهي ايضاً ليست المقصوده لاختلاف الإسم من جهة ووجودها في منطقه لم يتردد عليها الشنفرى كثيراً كسابقتيها ولم أجد في شعره الذي اطّلعت عليه ذكر لأي موقع في تهامه الا اسم حلية ودهو والله اعلم :
وقد شاب هذه المواقع الثلاث تصحيف تم تصحيحه في حينه.

قافية العـــين :

سبق أن تحدثت عن وادي دحيس واختلاف الرواة في الكلمة التي قبله فمنهم من قال - بجنب - ومنهم من قال - بجوف - وقد رجحت الكلمة الأخيرة بجوف. استناداً إلى تخاطب أهل السراة بهذه الكلمة منذ زمن ثابت بن أوس إلى اليوم. وفي البيت الذي جاء في هذه القافية للشاعر المذكور الذي يقول فيه :

قتـــيلا فجـــار أنتمـــا إن قتلتمـــا بجنب دحـيس أو تبالـه تـسمعا[٢]

نجد أنه أورد إسم دحيس. قال الدكتور اميل في شرحه - دحيس، تباله - موضعان ولم يحدد مكانهما. لكنهما موقعين معروفين لدى عامة الناس هنا في السراة. فدحيس تقع في ديار بني بشير، أحد بطون قبيلة بني عمر

(١) راجع المعجم المذكور صفحتي (٢٣٢ ، ٤٠٧).
(٢) راجع ديوان الشنفرى سالف الذكر صفحة (٥١).

الزهرانية. لا تبعد كثيراً عن منحل، بيده، وتتبع محافظة القرى بمنطقة الباحة وقد قال عنها الأستاذ/ علي السلوك الزهراني - دحيس - بفتح الدال وكسر الحاء المهملة وسكون الياء فسين مهملة - واد زراعي يبدأ من أعلى وادي القوارير بسراة زهران من الجنوب وينتهي في وادي تربه في الشمال وبه مياه جارية - كظائم -(١).

أما - تباله - فهي موقع معلوم في قبيلة خثعم. تتبع منطقة عسير. والله اعلم.

قافية الكـــاف :

قال الشاعر في البيت الثاني من قافية الكاف :

بأنا صبحا العوص في حر دارهـم حمام المنايا بالـسيوف البواتـك(٢)

هنا نجد الشاعر ذكر العوص وقال الدكتور اميل في شرحه العوص - حي من بجيله والحقيقة أن هذا الأسم أصابه التحريف في الأسم والمكان كما أصاب غيره حيث حذف حرف الفاء الذي بعد العين لأن أصل الأسم هو - العفوص - وهي قرية كبيرة من قرى بني حسن التابعة لفرع يوس من أفرع زهران الأربعة تقع بجوار العصداء، رباعٍ، اللتان سبق ذكرهما وتدخل ضمن نقاع بني حسن التي أشرت إليها وتكّون هذه الثلاثة المواقع بعد النهضة العمرانية التي تعيشها المملكة العربية السعودية ثلاثة أحياء لمدينة واحدة إلا أن كلاً منها احتفظ باسمه إلى اليوم يقول الأستاذ/ علي بن صالح السلوك الزهراني (العفوص) بوزن فعول. بلدة كبيرة من بلاد بني حسن بسراة زهران

(١) راجع المعجم المذكور صفحة (٢٢٢، ٢٢٣).

(٢) راجع ديوان الشنفرى السابق ذكره صفحة (٥٧).

تقع شرقي الصغره بمسافة كيل واحد...... [١].

في قافية النـــون :

قال ثابت بن أوس " الشنفرى " في البيت الأول :

إذا أصـــبحت بـــين جبـــال قـــو   و بيـــضان القـــرى لم تحـــذريني[٢]

هنا نجد الشاعر أتى بموقعين :

الأول/ قو - وقد قال الدكتور اميل في شرحه لهذا البيت القو : منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة يرحل من النباح فينزل قواً وهو واد يقطع الطريق تدخله المياه ولا تخرج. والذي أراه هنا أن المقصود هو قلوه هذا الموقع أصابه هو الآخر التصحيف حيث حذفت اللام الواقعة في الأصل بعد القاف. فيكون الاسم الصحيح قلوه، وهو ما يسمى اليوم قلوه وهي مدينة كبيرة من مدن قبيلة زهران في تهامة فيها سوق قديم يقول فيه الشاعر الشعبي / محمد بن غرم الله الثوابي الزهراني وهو يمتدحه ويتوعد من يخل بقوانينه :

من تعدَّى فيك يا قلوان بي ناهب معاض له[٣]

ما لقينا مثل هذا السوق فيما ذب ندرّج ونُعُم

يقول الأستاذ/ علي بن صالح السلـوك الزهراني - قلوه بكسر القاف وسكون اللام وفتح الواو فهاء ساكنة - بلدة كبيرة بتهامة زهران تقع جنوب غربي/أشفية بيضان وبني حسن والمحاميد بمرحلة ونصف حوالي أربعين كيلا........ الخ[٤].

---

(١) راجع المعجم المذكور صفحة (٣١١).

(٢) راجع الديوان سابق الذكر صفحة (٧٩).

(٣) بي ناهب : أي سوف نفرض ، معاض له : أي جزاء عوضاً لما فعله من تعدٍ.

(٤) انظر المعجم الجغرافي السابق ذكره صفحة (٣٦١)، أشفية: جمع ومفردها شفا وهي

الموقع الثاني / بيضان - وقد قال الدكتور أميل بديع في شرحه - بيضان جبل لبني سليم بالحجاز. والصحيح أن بيضان هي بطن كبير من قبيلة زهران الأربعة وهم بني يوس. تحد قرية قرن ظبي التي ذكرتها سابقاً. لها مشيخة مستقلة إلا أنها تدخل ضمن فرع بني يوس.

قال عنها الأستاذ/ علي السلوك الزهراني - بَيْضان بفتح الباء وسكون الياء وفتح الضاد بعدها ألف ونون. اسم قبيلة من قبائل زهران في السراة وتهامة وقد أطلق هذا ألأسم على البلاد التي تنزلها هذه القبيلة بالسراة، تقع في المرتفعات الجبلية شمال غربي بلدة الباحة بمسافة سبعة أكيال وتكون هي وبلاد قرن ظبي من بني حسن منطقة جبلية واحدة تشرف من جهتيها الغربية والجنوبية على تهامة....... الخ[1].

و هذا الوصف والذي قبله يؤكدان ما ذهبت إليه من أن كلمة قو الواردة في الشطر الأول من هذه القافية هي قلو - أي قلوه - وقد حصل التصحيف في اللام وحذفت الهاء في آخرها للضرورة الشعرية ويؤكد هذا أيضا ربط قلوه ببيضان كما سبق في بيت الشعر أما فيما يتعلق بإضافة كلمة القرى على إسم بيضان " وأصبحت بيضان القرى " فقد جاء ذلك بسبب تعدد القرى التي تتكون منها بيضان وهي قرية البارك، قرية الجره، وقرية بني هريرة، وقرية قراً، وقرية الدارين[2].

المرتفعات التي تطل على سهول تها مه.

(١) المصدر نفسه صفحة (١٥٤).

(٢) انظر الاصدار الخاص الذي أصدرته مدرستي بيضان الابتدائية و المتوسطة في عام ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١م بمناسبة مرور خمسين عاماً على تأسيس الابتدائية و التي ترأس تحريرها الاستاذ و الصحفي المعروف / عبد الله احمد غريب و هو من أهل بيضان.

و من أبناء هذه القرية الفضلاء الأستاذ/ صالح بن سعيد الهنيدي الزهراني. أستاذ اللغة العربية وشاعر متألق يحمل منذ نعومة أظفاره هم أمته ووطنه يمثل الشباب الواعي الملتزم في غير تزمت انه حلقة من ضمن حلقات أولئك الرجال الأفاضل والأبناء النجباء الذين جادت بهم هذه البيئة منذ زمن مالك بن فهم وحتى اليوم وسوف ترتبط به وبغيره حلقات أخرى إن شاء الله تعالى تحفظ الحضارة وتشعل للأجيال القادمة المنارة.له ديوان شعر باسم - مرافئ الوجدان - صدر في عام ١٤٢٢هـ صدره بإهدائه الذي يقول فيه :

يـا قلـب أشـعل أحـرف الأوزان	و أنـر طريـق الـشعر بالخفقـان
فلسوف أهدي أحرفي وقـصائدي	لاثنين باتـا داخلـي بكـيـاني
لأبي" الذي غرس المحبـة في دمـي"	فنَمَت عروق الحب في شريـاني
و" لأمي" العـشق الـدفين بخـافقي	هـي أحـرفي وقـصائدي ولـساني
أهـديهما قلـبي وأصـدق مهجـتي	و من الفؤاد مرافـئ الوجـدان
يا والديَّ خذا من القلـب الهـوى	و من اللسان خذا "صدى ديـواني"[(١)]

و لم يكتف بالإشادة بمسقط رأسه بيضان وذكر ما يعانيه من شوق ولوعة على فراقها. بل تعداه إلى أرجاء الوطن وهذه قصيدته التي أهداها لعاصمتنا الحبيبة الرياض بمناسبة اختيارها عاصمة للثقافة في عام ٢٠٠٠م

---

(١) انظر الديوان صفحة (٣).

وكان عنوانها - رياض القلوب - ومما جاء فيها قوله :

يا رياض القلوب حياك قلبي و هوى مهجتي فطاب اللقاء

أنت كالنبض تسكنين فؤادي فلك القلب منزل وفناء

أنت نهر من المعارف يجري فارتوت من معينه الأرجاء

إلى أن قال :

يا رياض القلوب طيبي وغني فلقد بات في ثراك الهناءُ

هي للشعر منزل وربوع هي حقاً رياضنا الغنَّاءُ(١)

ثم اصدر كتابه الذي عنونه بقوله - من وحي القرية - قال في إهدائه:

إلى كل فرد من أفراد قريتي الحبيبة، صغيراً كان أو كبيراً إلى كل ذرة من ترابها العبق، إلى كل طائر يشدو على فننها الجميل إلى كل نسمة تترقرق على رياضها الغناء، إلى مساجدها.. ومنازلها.. وجبالها.. ووديانها.. إلى كل شيء فيها. أُهدي هذه الخواطر الجامحة.. والمشاعر الطافحة.. لعلها تبني جسر تواصل ومحبة وإخاء. و قد صدر الكتاب حديثا في عام ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠٠٥م في طبعته الأولى وقد اشتمل في ملحق الصور إلى صور حديثة تبرز النهضة العمرانية التي حضيت بها هذه القرية في ظل النهضة الشاملة التي تعيشها المملكة في كل بقعة ومكان. كما اشتمل على مناظر طبيعية وغابات خلابة وعم بحديثه بيضان كلها ثم خص قريته الدارين إحدى قرى بيضان كما سبق بمعظم حديثه وبث إليها أشواقه العارمة. و قد تشرف بإلقاء قصيدة رائعة ومعبرة أمام سعادة وكيل وزارة

---

(١) انظر القصيدة كاملة في الديوان صفحة (٩٧).

الثقافة والأعلام وجمع من أكاديمي جامعة الملك سعود والملك عبد العزيز وأم القرى وكلية المعلمين بالطائف وذلك يوم الخميس الموافق ٨ / ٣ / ١٤٢٧هـ. كان عنوانها - لفح الهوى - ومما قاله فيها :

يا وكيل الوزير ما بال طيف لم يزل خائفاً من التغيير
بذلوا الجهد في سبيل ارتقاء بعقول تحتاج للتنوير
و أشادوا للعلم أسمى بناء و أرادوا نقاوة التفكير
غير أن الزمان يجري سريعا لا يبالي بأمة التأخير
هُزَّ جذعا من الثقافة أمسى جامداً لا يتوق للتطوير
يتساقط جنى البهاء ويبقى وجه إبداعنا فتيَّ الشعور

وقد جاءت هذه القصيدة نتيجة لدعوة المفكرين والأدباء في كافة مناطق المملكة لتحريك الأندية الأدبية وضخ دماء جديدة فيها ليتحسن أداؤها وتساير التطور الذي عم المملكة في جميع المجالات.

ب - أسماء القرى والأوديه التي مر بها الشنفرى ولم يذكرها في شعره.

في بيئة ثابت بن أوس " الشنفرى " قرى ذكرها التاريخ ولم يذكرها هو في شعره الذي اطلعت عليه ورغم أن معظمها يقع على طريقه وهو يتنقل من وادٍ إلى وادٍ ومن قرية إلى قرية وقد عزيت ذلك إلى أنها لم تقاومه ولم تشجعه على ما فعل وآثرت البقاء على الحياد. ومنها :

قرية الكِلِبه : بكسر الكاف واللام والباء. وهي قرية كبيرة من قرى

بني عدوان بطن من بطون بني عمر بزهران. وقد ذكرتها عندما تطرقت لحياة مالك بن فهم الدوسي وسبب مغاضبته قومه ورحيله إلى عمان[١].

وهي تقع بين منحل، وجبل السود، وجبل منور التي سبق أن ذكرتها من ديار بني عمر وبين رباع والعصداء والعفوص من بني يوس التي ذكرتها أيضا. وقد قال عنها الأستاذ/ علي السلوك في معجمه : **الكلبه** : بكسر الكاف واللام وفتح الباء الموحدة فهاء. قرية من قبيلة بني عدوان الواقعة شمال بلاد زهران وتقع جنوب قرية الجريره بمسافة نصف كيل...... الخ. وهنا أود ان أصحح ما قاله الأستاذ / علي فالقرية تنطق بكسر الثلاث الأحرف الأولى، وليس الاثنان الأولان فقط[٢].

قرية حظوه : وهي قرية دوسيه تقع على الحدود بين ديار دوس وبني يوس. تقابل أم عمرو اليوسية وقد ذكرت ذلك سابقا عندما تحدثت عن المعركة التي حصلت بين دوس وبني عمهم الغطاريف (بني يوس) وقلت أيضا انه لم يرد في شعر ثابت بن أوس "الشنفرى" الذي اطلعت عليه ذكر أي قرية دوسية وقلت إنه ركز غزواته على بني يوس، بني عمر، الواقعتان شرق قرية سلامان الدوسية التي انطلق منها لمحاربة خصومه. قال عنها الأستاذ/ علي السلوك الزهراني - حضوه - بكسر الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وفتح الواو فهاء تأنيث قرية من قرى قبيلة دوس بني

---

(١) راجع تاريخ الموصل للشيخ أبي زكريا صفحة (٩٦).

(٢) راجع المعجم المذكور صفحة (٣٧٢).

فهم... الخ[١]. وقد كتبها بالضاد بينما كتابتها تكون بالظاء " حظوه ".

وادي بيده : (ابيده) وهذا ألأسم هو واد يقع في بني بشير. وهم بطن من قبيلة بني عمر أحد فروع قبيلة زهران الرئيسية وهم الذين قال فيهم مالك بن فهم الدوسي :

الا من مبلغ أبناء فهم مغلغلة عن الرجل اليماني

و مبلغ منهب وبني بشير و سعد واللات والحي المدان

و بيده وادٍ منخفض عن وادي دحيس الذي يقع في الناحية الغربية عنه لا يبعد عنه إلا كيلوات بسيطة به عدة قرى ويقع به وادي الناصف حيث قتل ثابت بن أوس " الشنفرى " وهو يتبع محافظة القرى وقد اشتهر هذا الوادي بجودة إنتاجه الزراعي مثل : الرمان، الخوخ، وأنواع أخرى.

و قد ذكره المؤرخون باسم ابيده. باضافه ألف في أوله بينما ينطقه أهل هذا الوادي وعرف لدى كافة الناس هنا بدون ألف حيث ينطقونه - بيده - ورغم أن ثابت بن أوس تردد على هذا الوادي كثيراً وفيه قتل إلا أنني لم أجد في شعره الذي وصل إلينا ما يشير إلى ذكره. وتقع ضمن هذا الوادي قرية الرأس التي ذكرتها سابقا. قال الأستاذ/ علي السلوك الزهراني - بيده - بكسر الباء الموحده وسكون الياء المثناه وفتح الدال الموحدة فهاء تأنيث واد من أهم أودية السراة. إلى أن قال : ويعرف هذا الوادي قديما باسم - أبيده -...... الخ[٢].

(١) المعجم المذكور صفحة (١٩٠).

(٢) انظر المعجم المذكور صفحة (١٥٣).

وادي ثروق : وهو ما يسمى هذه الأيام بدوس بني علي أو ثروق يقع في قبيلة دوس أحد فروع قبيلة زهران الرئيسية الأربعة وهو قريب جداً من قرية سلامان. له شأن عظيم في العصر الجاهلي وفي الإسلام. وقد اشتهر باللقاء التاريخي بين أبناء العمومة دوس ويوس حيث دارت في منطقته معركة فاصلة. ذكرها الشيخ / حمد الجاسر رحمه الله في مؤلفه في سراة غامد وزهران. بشيء من التفصيل وقد ذكرت أبيات الشعر التي قيلت فيه وما اعتراها من تصحيف جرى تصحيحه وهو يقع في كنف جبل قدوم ضان والعرنين ، سيحان في ديار دوس. قال عنه الأستاذ/ علي بن صالح السلوك - ثروق - بفتح الثاء المثلثة وضم الراء المهملة بعدها واو وقاف. واد زراعي من أجمل أودية دوس....... الخ[1] وقد سبق ذكرها قبلا.

قرن ظبي : هذه القرية من أكبر قرى قبيلة بني حسن في زهران وبني حسن بطن من بطون قبيلة زهران الأربعة وهم من بني يوس. لها شأن في قبيلتها ذكرها التاريخ حيث وقع فيها معركة بين أهلها وجنود الأشراف في عهد الشريف حسن بن أبي نمي. وسميت هذه الوقعة غزوة يوم الخميس[2]. وحيث أن هذه القرية تشترك مع بيضان التي سبق أن ذكرتها ووردت في شعر ثابت في الحدود والجبال والأودية كما قال الأستاذ/ علي السلوك إلا أن ثابت لم يذكرها في شعره كما أعلم.

وادي السيسبان : سبق أن ذكرت إسم هذا الوادي وما دار حوله من روايات حيث كان يسكنه أبناء الغطريف في العصور الجاهلية ثم انتقلوا

---

(١) المعجم السابق ذكره صفحة (١٦٠)

(٢) انظر كتاب في سراة غامد و زهران للشيخ / حمد الجاسر صفحة (١٧٦).

منه إلى موقع غير بعيد وأن هذا الوادي يقع في ديار بني يوس وكانت حروب ثابت منصبة عليهم وعلى بني عمر إلا انني لم اعثر على اسم هذا الوادي في شعر ثابت مما وقع بين يدي. لأسباب مجهولة. وهناك عشرات القرى التي مر عليها هذا السفاح في طريقه وهو محارب أو مسالم لم يذكرها.و الذي أود أن أشير إليه هنا أن القرى الحالية هي القرى القديمة قدم التاريخ ولم يتغير فيها لا مواقعها ولا أسماؤها ولا لغتها وإنما البشر هم الذين تغيروا. أما عادات أبائهم وأصالتهم فقد بقيت هي الأخرى لم تتغير حتى الآن. والله يقدر ما يشاء ويختار.

القول الفصل:

إن الذي يدرس تاريخ الأزد التي تنتمي إليها قبيلتي زهران وغامد عامة ومنها بيئة ثابت بن أوس "الشنفرى" خاصة يجده تاريخاً عظيماً ومشرفاً نجده في قصة قدوم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قالوا له وما ذكره فيهم فهو القول الفصل. قال الاستاذ / حامد محمود بن محمد بن منصور ليمود عند ذكره وفود العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أسلمت تحت عنوان "**وفد الأزد**":

عن سويد بن الحارث ، قال : وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخلنا عليه وكلمناه فأعجبه ما رأى من سمتنا وزينا ، فقال : ما أنتم ؟ قلنا : مؤمنين. فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: "**إن لكل قوم حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم**" قلنا : خمس عشرة خصلة. خمس منها أمرتنا بها رسلك أن نؤمن بها ، وخمس أمرتنا أن نعمل بها ، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلا أن

تكره منها شيئاً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الخمسة التي أَمَرْتكم بها رسلي أن تؤمنوا بها ؟ قلنا : أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت. قال : ما الخمسة التي أَمَرْتكم أن تعملوا بها؟ قلنا : أمرتَنا أن نقول لا إلٰه إلا الله ، ونقيم الصلاة ، ونؤتي الزكاة ، ونصوم رمضان ، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلاً. فقال : ما الخمسة التي تخلَّقْتم بها في الجاهلية ؟ قلنا : الشكر عند الرخاء ، والصبر عند البلاء ، والرضا بمر القضاء ، الصدق في مواطن اللقاء ، وترك الشماتة بالأعداء. **فقال صلى الله عليه وسلم** : " حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء ". ثم قال : أنا أزيدكم خمساً ، فيتمَّ لكم عشرون خصلة إن كنتم كما تقولون ، " فلا تجمعوا ما لا تأكلون ، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غداً زائلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون، وعليه تعرضون ، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون ".

فانصرف القوم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظوا وصيته وعملوا بها[١].

ولقد عانت بيئة ثابت بن أوس ((الشنفرى)) خلال العصور القديمة حروب طاحنة بين أبناء العمومة وغزوات من الخارج ، ولم يذكر التاريخ الذي اطلعت عليه أنها كانت البادية بل كانت في موقع الدفاع عدا بعض الغزوات الفردية التي قام بها الصعلوك حاجز بن عوف عندما جمع أناس من فهم وعدوان[٢] فدلهم على خثعم فأصابوامنهم غره وغنموا ما شاءوا

(١) كتاب منتهى النقول في سيرة أعظم رسول صفحتي (٣٤١ ، ٣٤٢).

(٢) عدوان. أي بني عدوان المعروفه اليوم وهم فخذ من قبيلة بني عمر أحد فروع قبيلة زهران

فبلغ حاجز أنهم يتوعدونه ويرصدونه فقال قصيدته التي مطلعها:

إنـي مـن أرعـادكم وبرقـوقكم وايعـادكم بالقتـل صـم مـسامعي

وقد طاردوه حتى هام على وجهه ولم تعرف نهايته حتى اليوم. منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

١ ـ تعرضت بني يوس أبناء الحرث بن عبد الله بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صقعب بن دهمان بن نصر بن زهران المعروفين بالغطاريف وهم أشقاء دوس إلى غزو بني فقيم بن عدي بن الدليل بن بكر بن عبد مناه بن كنانه فظفرت بهم فاستغاثوا ببني سلامان فأغاثوهم حتى هزموا بني فقيم وأخذوا منهم الغنائم وسلبوهم[1].

٢ ـ قامت حرب بين الأشقاء دوس ، بني يوس ((الغطاريف)) في حظوه انتصرت فيها دوس وقد أوردت خبرها سابقاً.

٣ ـ تشير القصيدة التي قالها الشاعر / محمد بن غرم الله الزهراني الملقب بابن ثامره أمام ممثل بن ادريس لما زار هذه الديار ونزل في الظفير. أن عمرو بن أميه الضمري أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى ديار الغطاريف بوادي السيسبان ((ناحية المندق)) بديار بني يوس في زهران على رأس جيش لتأديبهم لعصايتهم ولم يحدد إذا كان ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو في عهد الخلفاء الراشدين لكنهم بعد ذلك دخلوا في الإسلام وحسن إسلامهم.

٤ ـ تعرضت قرية قرن ظبي وهي إحدى قرى بني يوس لغزو

الأربعة الرئيسية.

(١) الأغاني لأبي فرج الأصبهاني م / ١٢ / أخبار حاجز ونسبه.

الشريف حسن بن أبي نمي والتي سميت بغزوة الخميس بحجة أنهم لا يؤرثون النساء ، وقد ذكرها الشيخ حمد الجاسر رحمه الله تعالى في مؤلفة ((في سراة غامد وزهران)) (١) .

٥ ـ ثم تعرضت لغزو الأتراك في حوالي عام ألف ومائتان وواحد وثلاثون حيث قاومتهم واضطروا إلى الأنسحاب دون تحقيق أهدافهم (٢).

٦ ـ أما الحروب الداخلية بين بطون القبائل وفخوذها في هذه البيئة فقد كانت مستعرة كما يرويه الآباء والأجداد ولم تنته إلا بعد أن فرد الأمن السعودي جناحه على كافة أقطار المملكة العربية السعودية وحكّموا شريعة الإسلام فرضي الناس وماتت الأحقاد والثأر ولله المنة والفضل.

رأينا كيف استفادوا مما وفرته الدوله السعوديه للعلماء والباحثين من دعم في كافة المجالات في دور العلم كالجامعات والمعاهد والكليات المنتشرة في ربوع المملكة وفي القطاعات العسكرية على كافة أنواعها فأدى هذا إلى ارتفاع الوعي عندهم فأصبحوا قادة فكر وعلم وكما رفض آباؤهم ظلم ثابت بن أوس وأتباعه ها هم عن وعي وإصرار يرفضون ما تقوم به الفئة الباغية اليوم من قتل وتدمير بدعوى الجهاد في سبيل الله. ويمكن تقسيم هذه الحقب التاريخية إلى ثلاث: العصور الجاهلية، وبداية الاسلام والحضارة المعاصره.

إن المتتبع لهذه الحقب الثلاث يجد أن الحقبة الأولى هي زمن ثابت بن أوس

(١) راجع المؤلف نفسه صفحة (١٧٦).

(٢) أنظر الكتاب الثاني من موروثات الشعبية لغامد وزهران للأستاذ / علي السلوك صفحة (٩).

الشنفرى " فيها كانت رواية الأحداث مشافهة تنتقل من شخص إلي شخص تعتمد على قوة الحافظة وقد تأثرت بسبب الزيادة فيها والنقص. فالناس جميعهم في هذه الحقبة أو أغلبهم لا يحسنون القراءة والكتابة. ورغم ما كان يكتنفها من ظلام وجهل وحكم قبلي جائر في أحيان كثيره إلا أنها لم تخل من الشرفاء الذين رفضوا الظلم بل حاربوه وطاردوا أهله واستأصلوا شافتهم فكانت خالية من الكذب وتزوير التاريخ. وعندما أذن الله جل شأنه أن تطوى هذه الصفحة من التاريخ القديم لتبدأ صفحة جديدة مشرقة بنور ربها بعث الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ومصطفاه وخيرته من خلقه فأرسله إلى البشرية كافة بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً. ثم أنزل عليه خير كتبه وأكملها لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ثم شرف لغتهم بالقرآن حين نزل بها جاءت الحقبة الثانية وفيها أعز الله الاسلام وتوطدت أركانه. و قد ذكرت كتب السير كيف ان أحبار اليهود كانوا يعلمون عن هذا النبي المصطفى أكثر مما كان يعلم أهله وعشيرته فكانوا يتمنون أن يكون منهم لما عرفوا عنه من خلال كتبهم من سمو في القدر ورفعة في الشأن واستقامة وخلق عظيم وعدل. أما نساؤهم فقد كانت كل واحدة منهن تتمنى ان يقع والده عليها لِما رأت في وجهه من نور النبوة. جاء في الحديث - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما انطلق عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من أهل تباله متهوده قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت يا فتى هل لك أن تقع علي الآن أعطيك مائة من الإبل فقال عبد الله :

أمَّـــا الحـــرام فالممـــات دونـــه و الحــــل لا حــــل فاســـتبينه

فكيف بالأمر الذي تبغينه

ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فأقام عندها ثلاثة أيام. ثم إن نفسه دعته إلى ما دعته إليه الكاهنة فاتاها فقالت ما صنعت بعدي ؟ فاخبرها فقالت والله ما أنا بصاحبة ريبة. ولكني رأيت في وجهك نوراً فأردت أن يكون فيَّ وأبى الله إلاَّ أن يجعله حيث أراد ثم أنشأت فاطمة شعراً[١]. و لعلها الكاهنة الخثعمية التي سحرت الصعلوك حاجز بن عوف الزهراني التي سبق ان ذكرتها سلفاً. و منذ ذلك التاريخ بدأت الغيرة والحسد لهذه الأمة من اليهود والنصارى تتخذ أشكالاً متنوعة منها المؤامرات والتشكيك في دينها وحضارتها عبر مقالات مكذوبة فلم يترك اليهود والنصارى الشرق العربي على وجه الخصوص في شأنه وعدم التدخل في أموره والكف عن محاولة التشكيك في قدرات رجاله العقلية والجسدية فنجد اليهود في عهد الرسول محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم كذبوا عليه وسلكوا جميع السبل لإبطال دعوته وتشكيك الناس فيها بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فبعد أن مكنه الله جل شانه وانتشرت الدعوة إلى الله وانتصر على أعدائه سلكوا طريق الشيطان وأرسلوا أحاديث مكذوبة سميت بالاسرائيليات نتيجة للحسد والحقد الأعمى. وقد تصدى لها علماء الإسلام الأفاضل فنقحوا الأحاديث الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم فاثبتوا صحيحها ونبذوا مكذوبها. ثم عقد اليهود حلفا مع الصليبيين على الغوص في باطن هذا

---

(١) انظر كتاب منتهى النقول في سيرة أعظم رسول لصاحبه / حامد محمود بن محمد بن منصور ليمود صفحة (٥٧).

العالم النقي الصافي بحجة البحث عن حقائقه التاريخية وقدرة رجاله المعرفية حينا وبقصد التشكيك فيها حيناً وبحجة افتتانهم بسحر الشرق حيناً آخر. فألَّفوا قصصا بعضها حقيقي والبعض الآخر مختلق والثالث مدسوس للنيل من هذه الأمة وفت عضدها. ولا يخفى على القارئ المتابع والمؤرخ الفطن ما عمله المستشرقون في هذا الجانب. الذين لم يتركوا أمراً من الأمور إلاَّ وأدلوا بدلوهم فيه. حتى هذا الصعلوك "ثابت بن أوس" الشنفرى "مدار بحثى هذا درسوا حالته وأدبه قال الدكتور اميل بديع وهو يتحدث عن لامية العرب التي اشرت إليها سابقا :

و قد رأى المستشرق كرنكو (KRENKOW) ان هذه اللاميه تفتقر افتقاراً شديداً إلى أسماء المواضع وأسماء الأعلام وتلك سمة غير مألوفة في الأشعار القديمة التي وقفنا عليها ولاسيما أن اللامية قصيدة كاملة وليست قطعة صغيرة[١].

ثم قال : يقول المستشرق جورج يعقوب إن موطن هذه القصيدة هي تلك المرابع في جنوب مكة بين الجبال التي تقع في شمال اليمن حيث مضارب الازد قبيلة شاعرنا. إنني لا أفهم كيف يستطيع المرء أن ينكر هذه القصيدة التي تتنفس بعبير الصحراء وترسم جاهلية العرب بكل نقاء وتصور حياة رجل حمل أحقاداً أورثته إياها مظالم الناس، وعقوق الأخوة، وجور العدالة، ويعزوها إلى رجل من بني أولئك اللغويين الذين يقتلون وقتهم جدلاً في إعراب جملة صغيرة[٢]. ثم استطرد الدكتور اميل يعقوب فيقول:

(١) ديوان الشنفرى للدكتور / اميل بديع صفحة (١٦).

(٢) انظر المصدر السابق صفحة (١٩).

وتجاوز الإعتناء باللاميه علماء العرب إلى المستشرقين فقاموا يدرسونها وينقلونها إلى لغاتهم ولعل أول من ترجمها المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي

S. De SACY فاستند إلى ثلاث نسخ قديمة للاًميَّة فطبعها مترجمة إلى الفرنسية وعلق عليها شروحا في كتابه (الأنيس المفيد للطالب المستفيد) وجامع الشذور من منظوم ومنثور .

(CHRESTOM AT HIEARABE) المطبوع في باريس سنة ١٨٢٦م.

و قام بعده المستشرق الألماني (REUSS) فترجمها إلى لغته وطبعها في المجلة الألمانية الشرقية سنة ١٨٥٣م ثم ترجمها المستشرق الانكليزي ردهوس (REDHOUSE) إلى الانكليزية وطبعها في المجلة الآسيوية سنة ١٨٨١م . كذلك ترجمها إلى الانكليزية هيرجس (G. HUGHES) كما اعتنى بها شرحاً وترجمة العديد من المستشرقين غير الذين ذكرناهم)[1].

ثم آل الاستشراق هذا إلى احتلال واستعمار وقتل الناهضين من أحرار الوطن العربي الذين يرفضون هذه السيطرة والهيمنة ونتج عن ذلك أن يتم الأطفال وأيمت النساء. ثم ابتزاز خيرات الوطن العربي وترحيلها إلى أوطانهم لإقامة حضارة مزعومة على أطلال الآخرين ثم تزيين متاحفهم بتراث هذه الأمة المسروق. قبل ذلك جاء هولاكو وشعبه المغولي وغزوا العراق بقصد إلغاء هذه الهوية الخلاقة المبدعة فقصدوا المكتبات على وجه الخصوص فأحرقوا المؤلفات ورموا بعضها في النهر حتى تلون ماء دجلة والفرات بمدادها وها هم مغوليو القرن الواحد والعشرون يرتكبون

---

(١) راجع المصدر نفسه صفحتي (٢٠، ٢١).

نفس العمل بل زادوا فقتلوا الأبرياء ونهبوا ثروات الوطن ومتاحفه ولونوا ماء نهري دجلة والفرات بدماء الأطفال والنساء والشيوخ دون حياء أو خوف من الله ثم التاريخ الذي لا يعرف المحاباة كما قال الشيخ الجليل/ حمد الجاسر رحمه الله تعالى رحمة الأبرار: و لا يمكن أن ننسى الدولة العثمانية التي لا ينكر العرب والمسلمون جهودها في نشر الإسلام في أوروبا إلا أنها حذت حذو الدول الأوربية فاستعمرت أجزاء من العالم العربي وحاولت أن تلغي هويتهم العربية وجعلهم عثمانيون يتكلمون اللغة العثمانية والتي تسمى اليوم تركيا. ولم تسلم منهم بيئة شاعرنا صاحب لامية العرب - ثابت بن أوس " الشنفرى " - فقد وصلوا إليها بقصد الكسب المادي فهي جبال شامخات فيها من الثروات شيئاً يستحق هذه المغامرة ولكن الهدف الأسمى عندهم هو القضاء على الهوية وطمسها وإبدالها بغيرها[1]. لكن مجاديفهم جميعاً تكسرت على صخرة الإيمان بالله ثم العقيدة السمحة ثم قوة الانتماء لهذا الكيان العربي المسلم. و لكن السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح : هل استفادوا من هذه الدروس؟ والجواب بالطبع لا. ورغم ذلك فقد لجأوا إلى أساليب شيطانية أخرى فاستبدلوا سلاح المواجهة بسلاح الإشاعة. وهو سلاح لا ننكر أنه فتاك وقد بلغ في الأمة العربية ما لم يبلغه سلاح الحديد والنار فأرسلوا مقولات كثيرة وسوف أقتصر على بعضها كمثال وليس حصراً ومن ذلك:

المقولة الأولى : العرب أمة لا تقرأ.

هذه المقولة صهيونية يهودية قالها يهودي متعصب كما تناقلتها الروايات

---

(١) انظر الملحق الشكـــل رقم (٢٢ ، ٢٣).

وقد قالها ليحث قومه على الكتابة ضد ما هو عربي مسلم للنيل من هذه الأمة ودينها وتزوير تاريخها. وسرت في عالمنا العربي سريان النار في الهشيم. وأصبح مثقفونا يرددونها فضلاً عن عامة الناس وأصبحت شبه أمر واقع. والحقيقة خلاف ذلك، أنه محض افتراء وكذب فلو رجعنا إلى مكتباتنا لوجدناها عامرة بأمهات الكتب المؤلفة قديماً في كافة المعارف والتي تعتبر مراجع تاريخية ودينية لا يستغنى عنها وهي تعبر عن الحضارة العربية والإسلامية أقدم الحضارات في الأرض وأكثرها نفعاً للبشرية. يقول الدكتور/ قاسم عبده قاسم في بحث نشره في مجلة العربي الكويتية تحت عنوان - تاريخنا.. هل من الضروري إعادة كتابته[1]؟- و هو يتساءل هل نستسلم لما تشيعه (القـراءة الصـــهيونية) لتاريخنا وتاريخ الحضارة العربية الإسلامية بالشكل الذي يخلط الحقائق التاريخية بالأوهام الأسطورية والغيبيات الدينية)).

المقولة الثانية : اتفق العرب ألا يتفقوا :

و لا شك أن هذه نفثة مسمومة من نفثات الأعداء القصد منها فت عضد الأمة العربية وتشكيكها في قياداتها. ولقد صدقناها وتداولناها وأثبتناها في ذاكرة الأمة أكثر مما أراد لها قائلوها ومروجوها. وهي في الحقيقة مقولة كاذبة فكثيراً ما خرج القادة العرب من مؤتمراتهم بقرارات جماعية في صالح الأمة العربية ولا ننكر هنا أن بعضها قد لا يرقى إلى طموح الأمة التي ترى أن القادة لديهم عصاً سحرية لحل مشكلات الأمة المصيرية بين عشية وضحاها. لكنهم ينسون أن القائد الذي على رأس الهرم يرى ما لا

---

(١) انظر مجلة العربي العدد ٥٦٩ تاريخ ابريل ٢٠٠٦م صفحة (١٨).

يراه القابع في السفح حتى ولو كانوا من عليه القوم ومثقفوها. ولو نظرنا إلى الدول الأخرى من شرقية وغربية مجتمعة أو منفردة لوجدناها تخرج من مؤتمرات هامة بفشل ذريع. لكننا نحسبهم جميعاً وهم في الواقع قلوبهم ومصالحهم شتى.

أما المقولة الثالثة : إن الشعب الفلسطيني باع أرضه في فلسطين لليهود :

و هذه المقولة نفثة شيطانية نفثها الصهاينة ومن يدور في فلكهم من أن الأخوة الفلسطينيين باعوا أراضيهم في فلسطين وأنه لم يعد لأكثرهم نصيب في تلك الأراضي. ولقد صدق بعضنا هذه المقولة ورسخت في أذهان الجهلة ممن لا يدرك خفايا الأمور وما خلف هذه المقولة من مؤامرات دولية حاقدة تسعى لمسح هذا الكيان العربي المسلم وتجريده من أرضه ومقدساته. يقول الدكتور / عبده قاسم في مقالة المشار إليه.

(ومن ناحية أخرى حرصت القوى الاستعمارية والغاصبة دائماً على إعادة قراءة تاريخ الشعوب التي أخضعتها بالشكل الذي يخدم أهدافها التسلطية ومن الأمور ذات الدلالة في هذا السياق أن الإحتلال النازي لفرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية قد حرص على تغيير كتب التاريخ في المدارس الفرنسية كما أن الصهاينة فعلوا الشيء نفسه بعد نجاحهم المؤقت في إغتصاب الأرض العربية في فلسطين. لقد أعادوا قراءة التاريخ العربي والتاريخ الفلسطيني خاصة بالشكل الذي يغيب الدور العربي لكن هذه (القراءة) لم تكن تفسيراً للتاريخ من وجهة نظر صهيونية وإنما كانت تزويراً لتاريخ العرب الفلسطينيين والحضارة العربية والإسلامية

بوجه عام. من أجل تغييب دور الفلسطيني وتبرير سرقة الأرض بسرقة التاريخ والتراث..... الخ.

أما المقولة الرابعة : إن بيئة الشنفرى آسنة.

هذه المقولة الظالمة تطفح سماً زعافاً لا نشك بأي حال من الأحوال بأنها ما قيلت إلا انتقاماً لهم على تدافعهم لنصرة دين الله والانضواء تحت لوائه والدفاع عنه وقوة الانتماء لما هو عربي ومسلم. وإذا كانوا لم يقبلوا بأولئك الصعاليك الفاتكين المجرمين قتلة النساء والأطفال والأبرياء فان هذا ليس مبرراً لإلصاق هذه التهمة بهم. وبالتالي منْح أولئك الصعاليك الأوسمة والنياشين والألقاب ووصفهم بالشجاعة ونبل الأخلاق والكرم ثم الانخلاع من القبيلة لكونها حاربتهم وقضت عليهم. الدكتور/ قاسم عبده قاسم في بحثه السابق ذكره فيقول: (و بالمناسبة كانت تلك هي الفترة التي ظهرت فيها موجة العداء للسامية والتي كانت موجهة ضد العرب والمسلمين واليهود، ثم حولتها الدعاية الصهيونية إلى أداة ابتزاز لصالح الحركة الصهيونية) والناظر في تراث هذه الفترة سيجد أن البحوث والدراسات التاريخية التي خرجت في هذه الفترة كانت في الغالب الأعم نوعاً من "القراءة الانتقامية" التي تحرض أبناء الغرب ضد المسلمين والعرب بشكل عام وكانت تلك فرصة ذهبية لم يتوان المؤرخون الصهاينة في استغلالها والسير على نهج مؤرخي الفترة الاستعمارية الأوربيين في "قراءة" أو تفسير تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. إلى ان قال : (و كانت النتيجة الحتمية اننا صرنا نقرأ التاريخ العربي بعيون أوربية أمريكية معادية أو منحازة في أحسن الأحوال[1]).

---

(١) المصدر السابق صفحتي (٢٠، ٢١).

المقولة الخامسة : قتل الأبرياء وتدمير الممتلكات باسم الجهاد.

وهو ما قام به ويقوم به هذه الأيام صعاليك القرن الواحد والعشرون من قتل للأبرياء من نساء وأطفال وشيوخ ومعاهدين وهدم للمنازل وتدمير المنشآت الخاصة والعامة بدعوى الجـهاد في سبيل الله والجهاد والإسلام والمسلمين منهم براء. و الحق وإن كانت ثقافة العنف هذه من أبناء لنا أغواهم الشيطان فضلوا السبيل - ندعو الله لهم بالهداية - فإن منشؤه في الأصل من خارج أرض الحرمين الشريفين الذين رعوه سابقا ولازالوا يرعونه ويمدونه بالمال والسلاح والأفكار الهدامة ليس من أجل الإصلاح وإنما من أجل الإفساد والانتقام ، وما أولئك الا أُجرَاء قد قبضوا الثمن مقدماً.

المقولة السادسة : حرية التعبير :

وقد تمادت طغمة من الأشرار في دولة الدانمرك فنشرت عبر جريدتهم - جيلا نس بوستن - رسوم كريكاتيريه مهينة للرسول صلى الله عليه وسلم بدعوى حرية التعبير. وقد ثار العالم الإسلامي ثورة عارمة احتجاجاً على هذه الإهانة وسحبت المملكة العربية السعودية سفيرها احتجاجاً على ذلك بعد أن رفض رئيس حكومتها حينذاك استقبال سفراء الدول الإسلامية والإعتذار بحجة أن هذا من قبيل حرية التعبير. وترتب على ذلك مقاطعة المنتجات الدنمركية وخسرت الحكومة وشركاتهم مبالغ طائلة وقال رئيس الصحيفة في تصريح له نشر عبر وسائل الإعلام. كارستن يوسي :(اشعر بالخجل العميق بسبب انتصار الآخرين) وأضاف لقد (انتصروا إنها الحقيقة المحزنة واعتقد أن أحداً من

الجيل القادم في الدنمرك لن يجرؤ على رسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم. كما قال لو علمت بالتبعات الكبيرة من الاحتجاج إلى المقاطعة ما كنت أصدرت موافقتي على نشرها) [١]. و قد ساندتها صحف أوربية أخرى فنشرت نفس الرسوم على صحفها. الأمر الذي يؤكد لنا أن هذه نفثة مسمومة من نفثات النصارى واليهود والصهاينة وتعصب أعمى وحقد على العرب والمسلمين. ثم جاء رئيس الولايات المتحدة بوش الإبن فوصف الاسلام بالفاشيه. كما أورد بابا الفاتيكان بيندكت في محاضرته التي ألقاها في جامعة ريجينسبورج يوم ١٢ / ٩ / ٢٠٠٦ إساءة للإسلام. كان لها صدى واسعاً في نفوس المسلمين.ولم يفُتَّ ذلك من عضد الأمتين العربية والإسلامية لإيمانهم بأن الأعداء لن يكفوا عن إبداء البغضاء من أفواههم وما في صدورهم أكبر.

قال تعالى وهو أصدق القائلين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٨]. **وقال جل من قائل :**

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

(١) جريدة الوطن الصادرة يوم الخميس ٣ / محرم/ ١٤٢٧ هـ للموافق ٢/ فبراير ٢٠٠٦م العدد (١٩٥٢).

وليس بغريب أن تصدر هذه المقولات من الأعداء الذين أعماهم التعصب فقد ورثوا ذلك من أجدادهم حيث بذلت محاولات كثيرة عبر التاريخ للنيل من الإسلام ورموزه والتشكيك في هذه الثوابت التي جاءت تشريعا سمحاً من السماء لتهذيب سلوك البشر كافة ودعوتهم إلى الفضيلة ومحاربة الرذيلة لكنها كلها باءت بالخيبة والخسران فلقد كان علماء المسلمين الأفاضل مصابيح الدجى وقادتهم الأشاوس متيقظين لما أحيك في الخفاء ولما طفح الكيل عند الأعداء أعلنوا ذلك دونما خجل أو خوف أو حياء. لقد كانت هذه المرحلة أطول هذه المراحل الثلاث. التي شهدت كما ذكرت موجات متتالية من الباحثين المنصفين والأعداء بدأت منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى اليوم ولا زالت. وسوف تستمر كما قال رب العزة والجلال وهذا أمر يجب أن لا يزعجنا وأن لا يأخذ حيزاً كبيراً من تفكيرنا فيصدنا عن ديننا وعن الأخذ بأسباب الحضارة والقيام بالدفاع عن ثوابتنا وعن حضارتنا أم الحضارات القديمة وذروتها.

ثم جاءت المرحلة الثالثة مرحلة الحضارة المعاصرة. أنها مرحلة البناء فقد أخذت الأمتان العربية والإسلامية بأسبابها وإن كانت لا زالت متخلفة عن الأمم الأخرى في ميادين كثيرة لأسباب لا يجهلها أحد. أما فيما يتعلق بمملكة الإنسانية بلد الله الحرام والأمن والإيمان المملكة العربية السعودية ذروة التقدم وسنامه فقد نهضت نهضة لا أبالغ إن قلت أنها تفوق الخيال شهد بذلك الأعداء قبل الأصدقاء وأدرك ذلك الذين عاشوا قبل مائة عام من اليوم ويعيشون هذه الأيام في ظل النهضة الشاملة. ولا يقول بغير ذلك إلا حاسد حاقد. ولقد ناصبها العداء خلق كثير لأنها

الحارسة الأمينة للفضيلة والعدو اللدود للرذيلة لكن القافلة فيها تحث المسير غير آبهة بما صار وما سوف يصير. اتحد أبناؤها على وحدة المصير ووضعوا أيديهم في أيدي قادتهم حتى يكتمل البناء دون تأخير ولقد كان من ضمن منظومة الوحدة الكبيرة هذه بيئة ثابت بن أوس "الشنفرى" فقد كان لهم نصيب وافر فقد مدوا أيديهم لأيدي قادة هذا الوطن الغالي بالبيعة على السمع والطاعة كما مد أجدادهم بالأمس أيديهم ليد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيعة على السمع والطاعة فنالوا شرف الصحبة الشريفة والثناء العطر منه صلى الله عليه وسلم ثم انتشروا بعد ذلك في جميع الأمصار فساهموا في نشر الحضارة الإسلامية مساهمه فعاله يذكرها التاريخ بالتقدير والإجلال. فالشكر لله أولاً وأخيراً ثم لقادة هذا البلد الذين فتحوا دور العلم وشجعوا البحث والباحثين على نفض غبار السنين عن حضارة هذا البلد الأمين. ثم لأبناء الشعب السعودي عامة وبيئة ثابت بن أوس الشنفرى خاصة على اتحادهم خلف قادتهم لبناء حضارة جديدة مستمدة العون من الله ثم ثوابتها الراسخة غير ملتفتين للغربان الناعقة من قريب أو بعيد.

الخاتمه

تعجز الأقلام والآفكار أن تعطي سيد الآوطان- المملكة العربية السعودية - حقه من التقدير والأحترام. وما خاتمتى هذه إلاَّ بعض مشاعري فله أقول:-

وطـــني عهـــدتك للعـــلا تتطلـــعُ
وتـــشيدصرحاً للبنـــاء وترفـــعُ
يـــامنبع الإســـلام موقعـــك الـــذرُا
منـــك البريَّـــة تـــستفيدو ترتـــعُ
ناديـــت يـــاوطني فكنـــت موفقـــاً
فالكـــل يهـــوى مـــا تقـــول ويـــسمعُ
وطـــني فـــديتك بـــالفؤاد فإنـــه
بهـــواك في كـــل المحافـــل يـــصدعُ

* * *

ملحق

رسائل، وصور لمعالم طبيعية، وأثرية، وبنية تحتية لنهضة شاملة في بيئة ثابت بن أوس ((الشنفرى))

الشكل المرفق رقم (١) ـ يمثل خارطة بلاد زهران وغامد والتي تعرف في التقسيم الإداري في المملكة العربية السعودية بمنطقة الباحة وهي معتمدة رسمياً. وعليها كتبت المناطق التي ذكر بعضها ثابت بن أوس " الشنفرى " وابن عمه حاجز بن عوف الزهراني في شعرهما وقد جرى تلوين هذه البيئة التي عاشا فيها وترعرعا ومنها انطلقا في حياتهما باللون الأصفر زيادة في الإيضاح للقارئ الكريم والباحثون عن الحقيقة وسوف نوضح موقع كلا منها على الخريطة مرتبة من أعلى إلى أسفل على النحو الآتي :

١- **كرا** : بفتح الكاف والراء. وهي هجرة في ديار غامد تتبع محافظة العقيق التابعة لإمارة الباحة وهي التي قال فيها حاجز بن عوف الزهراني:

و يوم كرا قد تدارك ركضنا بني مالك والخيل صعر خدودها

و قد جاءت كتابتها في الأغاني بهمزة - كراء - والصحيح إنها تكتب بدون همزة وقد كتبها الأستاذ/ علي بن صالح السلوك في المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران بدون همزة وهي خارج نطاق بيئة ثابت بن أوس.

٢- **بيده** : والمعروفة عند المؤرخين القدامى بـ" ابيده "و هي تتبع بني بشير بطن من بطون بني عمر أحد الفروع الرئيسية الأربعة لقبيلة زهران وهم الذين قال فيهم مالك بن فهم الدوسي :

و مبلغ منهب وبني بشير و سعد اللات والحي المدان

وتقع فيها الأماكن الآتية :

أ- **وادي دحيس** : الذي قال فيه ثابت بن أوس :

قتيلا فجار أنتما إن قتلتما بجوف دحيس أو تبالة تسمعا

ب- **الرأس** : وهي قرية من قرى بيده قال فيها ثابت :

و يوما بذات الرأس أو بطن منحـل هنالـك تلقـى القاصـي المتغـورا

ت- **وادي الناصف** : وهو الوادي الذي قتل فيه ثابت بن أوس. ولم يذكره في شعره.

ث- **البَرَّاق** : بفتح الراء وتشديده وهو جبل يقع بجوار وادي دحيس. قال عنه ثابت :

الا لا تعـدني إن تـشكيت خلـتي كفاني بأعلى ذي البريقين عدوتي

وفي كتاب الأغاني لا تزرني بدل (تعدني) وذى الحميرة بدل (البريقين) وعدوت بدل (عدوتي) وقد ذكرت ذلك سابقاً.

٣- **بني عدوان** : وهم بطن من بطون بني عمر أحد الفروع الأربعة الرئيسية لقبيلة زهران وتتبع محافظة القرى وتقع فيها :

أ- **قرية الكِلِيه** : بكسر الثلاثة الأحرف الأولى. وقد مر بها حتما لأنها تقع في طريقه وهو يتنقل من رباع والعصداء إلى وادي منحل وغيرها ولم يذكرها في شعره.

ب- **جبل منور** : الذي تعرض للتصحيف حيث ذكر - نُوّر - مع موقعين آخرين. ذكرهما ثابت بن أوس في شعره وهما دهو، عداف :

فـلا تزرنـي حـتفتي أو تلاقـني أمـش بـدهو أو عـداف فنـورا

و قد جرى تصحيحهما. وهذا الجبل قريب من جبل السود ووادي منحل.

٤- **برحرح** : تعرضت هي للتصحيف أيضا فذكرت بعض المصادر (يزحزح) وقد صحح ذلك الشيخ / حمد الجاسر رحمه الله تعالى في كتابه في سراة غامد وزهران. وقال أنها برحرح. وهذا القول الصحيح وفيها

عقبة - ذي منعا - التي سلكها الطفيل ابن عمرو الدوسي وأبو هريرة رضي الله عنهما أثناء هجرتهما من دوس إلى الأراضي المقدسة استجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم للإسلام. وقد تعرضت هي أيضا للتصحيف فقالت بعض المصادر - ذي رمعا - وصححها الشيخ/ حمد الجاسر فقال ذي منعا. وقد ذكرت ذلك سابقاً.

٥- دوس : تقع فيها القرى الآتية :

أ- سلامان : التي ذكرها ثابت وحاجز في شعرهما.

ب- وادي ثروق : وهي لا تبعد كثيراً عن سلامان وقد ذكرت خبرها في الجاهلية سابقاً.

ت- بَعَرَه : بفتح الباء والعين والراء ، وهي التي قال فيها حاجز :

الا هل أتى ذات القلائد فرتي عشية بين الجرف والبحر من بعر

وقد جرى تغيير اسمها إلى (بحره) بسكون الحاء وفتح الراء. وهي لا تبعد كثيراً عن سلامان.

ث- حظوه : قرية في واد خصيب لا تبعد كثيراً عن سلامان ووادي ثروق. وهي تقابل أم عمرو اليوسية وقد ذكرتها سابقاً.

ج- الغميصاء : وهي قرية لا تبعد كثيراً عن سلامان وقد ذكرها بني سلامان في شكواهم التي أوردتها سابقاً.

ح- **عداف** : وهي قرية قريبة جداً من وادي ثروق تتبع دوس آل نعمة وأصل الإسم - العدفه - بضم العين وفتح الدال ، وقد تعرضت أيضا للتصحيف من قبل الشاعر ربما للضرورة الشعرية فقال - عداف -.

٦- بني حسن : وهي بطن كبير من بني يوس أحد فروع قبيلة زهران

الأربعة. تقع فيها القرى الآتية :

أ- رباع : وقد تعرضت للتصحيف فقالت بعض المصادر - ارفاغ - وقد أورد الدكتور / اميل بديع اسم رباع في بعض المواقع عند شرحه لاسمها وقد أوردت ذلك في حينه.

ب- **العفوص** : وهي قرية كبيرة تقع بالقرب من رباع السابق ذكرها وقد تعرضت للتصحيف في الإسم فقد جاء في بعض المصادر أنها العوص. فحذفت الفاء. أما في الموقع فقالت بعض المصادر أنها تقع في بجيلة والصحيح أنها في ديار بني يوس تكوّن مع رباع والعصداء حياً واحداً خاصة بعد انتشار العمران.

ت- **العصداء** : وهي قرية قريبة جداً من رباع والعفوص وقد كونت هذه القرى الثلاث مجتمعه مدينة مع انتشار العمران ولا يستبعد أن تكون أحياء في مدينة بهذه الأسماء مستقبلاً نتيجة لشدة التصاق الحدود بينهم.

٧- **المندق** : وهي حاضرة بلاد زهران يقع فيها وادي السيسبان السابق ذكره.

٨- **الحجره** : إحدى مدن زهران الكبيرة في تهامة وهي واحدة من مدن كبيرة في القطاع التهامي كان أهل السراة يذهبون إليها وإلى المخواة، قلوه، القنفذة لتسويق منتجاتهم وشراء ما يلزمهم تقع مقابل سلامان في السراة يغور إليها أهل السراة من عقبة ذي منعا.

٩- **بيضان** : بطن من بني يوس أحد فروع قبيلة زهران الأربعة التي ذكرتها سابقاً. يلاحظ على الخريطة إنها تتصل بمدينة قلوة عن طريق دوقة في تهامة وهي عبارة عن سلسلة من الجبال المتصلة ترتبط مع قرية

قرن ظبي كما قال الاستاذ / علي السلوك في معجم بلاد غامد وزهران. وقد ذكرت ذلك سابقاً.

١٠- باللسود : تظهر على الخريطة وقد شغلت مساحة أكبر من المواقع التي ذكرتها وهي بطن من بني يوس أحد فروع قبيلة زهران الرئيسية تقع فيها قرية - دهو - التي وردت في شعر ثابت بن أوس مع موقعين آخرين تعرضت للتصحيف جميعها حيث قال :

فـا لا تزرنـي حـتفتي أو تلاقـني امـش بـدهر أو عـذاف فنـورا

و قد جرى تصحيحها جميعاً. فأصبح البيت بعد التصحيح :

فـا لا تزرنـي حـتفتي أو تلاقـني امـش بـدهو أو عـداف فمنـورا

ملحوظة هـامة :

لم يوضح على الخارطة التي بين أيدينا موقع - الأطاولة - قريش وهي من أهم المواقع في منطقة الباحة ففيها محافظة القرى وقد أصبحت في ظل النهضة المباركة التي نعيشها مدينة فيها كثيراً من الإدارات الحكومية وازدهرت فيها حركة التجارة. تقع على الخط المزدوج المتجه من الجنوب إلى الشمال ويتفرع منها خط فرعي هام يصلها بالمندق وتقع فيها المواقع الآتية :

وادي منحل، جبل السُّود :

أ - **وادي منحل** : وقد تعرض للتصحيف حيث حل الجيم محل الحاء وقد جرى تصحيح ذلك فأصبح البيت يقرأ كالتالي :

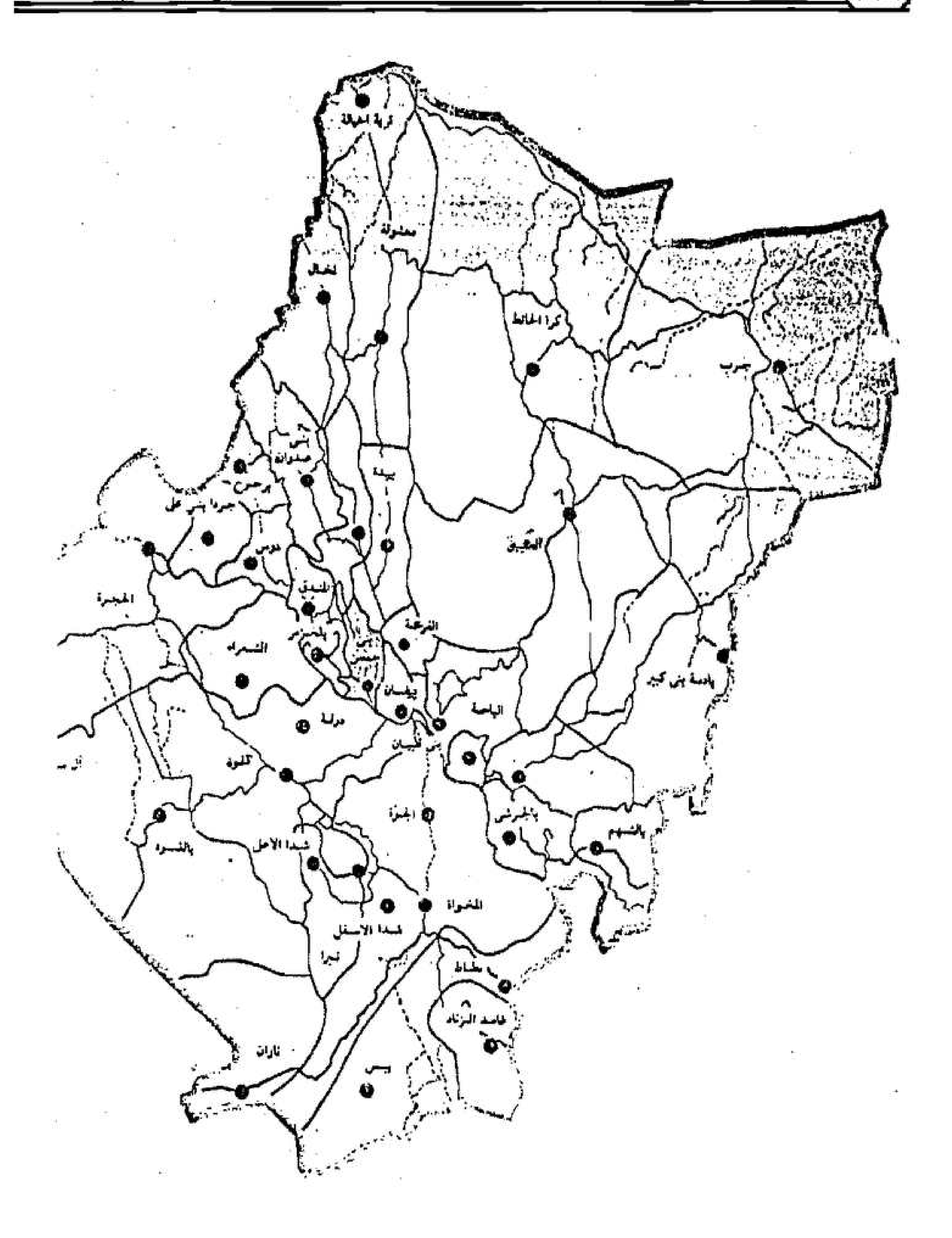
و يوم بذات الرأس أو بطن منحـل هنالـك تلقـى القاصـي المتغـورا

ب- **جبل السود** : وقد تعرض للتصحيف حيث حل الراء محل الواو

وقد جرى تصحيح ذلك فأصبح البيت يقرأ كالتالي :

و أصبح بالعصداء ابغي سـراتهم و اسلك خلا بين أربـاع والـسَّود

و سبق ان ذكرت ذلك كما تقع فيها قرية العدّيه بضم العين وفتح الدال وتشديده. وهي قرية القائد بخروش الزهراني الذي حارب الأتراك ووقف بجيشه لمساندة الدولة السعودية ودعوتها. لذلك نلفت الانتباه فلعلها تضاف لاحقاً لأهميتها. والله اعلم بالصواب.


كرا الحائط
جرب
العقيق
المجيرة
الشمراء
الباحة
يادمة بني كبير
كلوة
الجرة
شدا الأعلى
بالشهم
المخواة
شدا الأسفل
تيرا
عطاط
حامد الزناد
ناوان

شكل رقم (١).

رسائل ذات قيمة تاريخية

أ) رسائل ملكية..

ب) رسائل ذات صله..

" رسائل ملكيـة "

أ-عندما قيض الله جل شأنه لهذه البلاد المملكة العربية السعودية أحد أبنائها البارين الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله لإنقاذها مما كانت فيه من تفكك وتشرذم وعودة إلى الجاهلية الأولى لم يأت إلى بيئة ثابت بن أوس " الشنفرى " محل بحثي هذا كغيرها من أرجاء الوطن غازياً محباً للسيطرة والانتقام أو فاتحاً لبلاد لا تعرف الإسلام. بل جاء مجدداً ومعدلاً للمسارات التي بدأت تنحو نحو الجاهلية والظلال فقد حاد الكثير عن تعاليم القرآن الكريم والهدي النبوي الشريف في فترة عم فيها الجهل أقطار العالم الإسلامي فاتبع في دعوته الأسلوب الأمثل في مخاطبة الخاصة والعامة وكان ديدنه الإحسان في القول والعمل منطلقاً من تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف الذي يأمر بالرفق والتراحم ثم من قول الشاعر العربي :

أحسن إلى الناس تستعبد قلـوبهم فطالمـا استعبد الإنـسان إحـساناً

لذا فقد اتسمت مراسلاته وأبنائه في زمنه ثم بعده باللين والرغبة الصادقة في تأسيس كيان ثابت راسخ المبادئ يستمد قوته من ثوابته الإسلامية. لذا فقد اخترت أربع رسائل ملكية كريمة كنماذج لما أشرت إليه:

أ- **الرسالة الأولى** : أقدم رسالة حصلت عليها تحمل التاريخ ٢٧ / شعبان / ١٣٣٨هـ موجهة من الملك عبد العزيز الى الشيخ / عطية بن خضران شيخ قبيلة دوس نقتطف منها ما يلي نظراً لقدمها وعدم وضوح بعض أجزائها، تقول الرسالة :

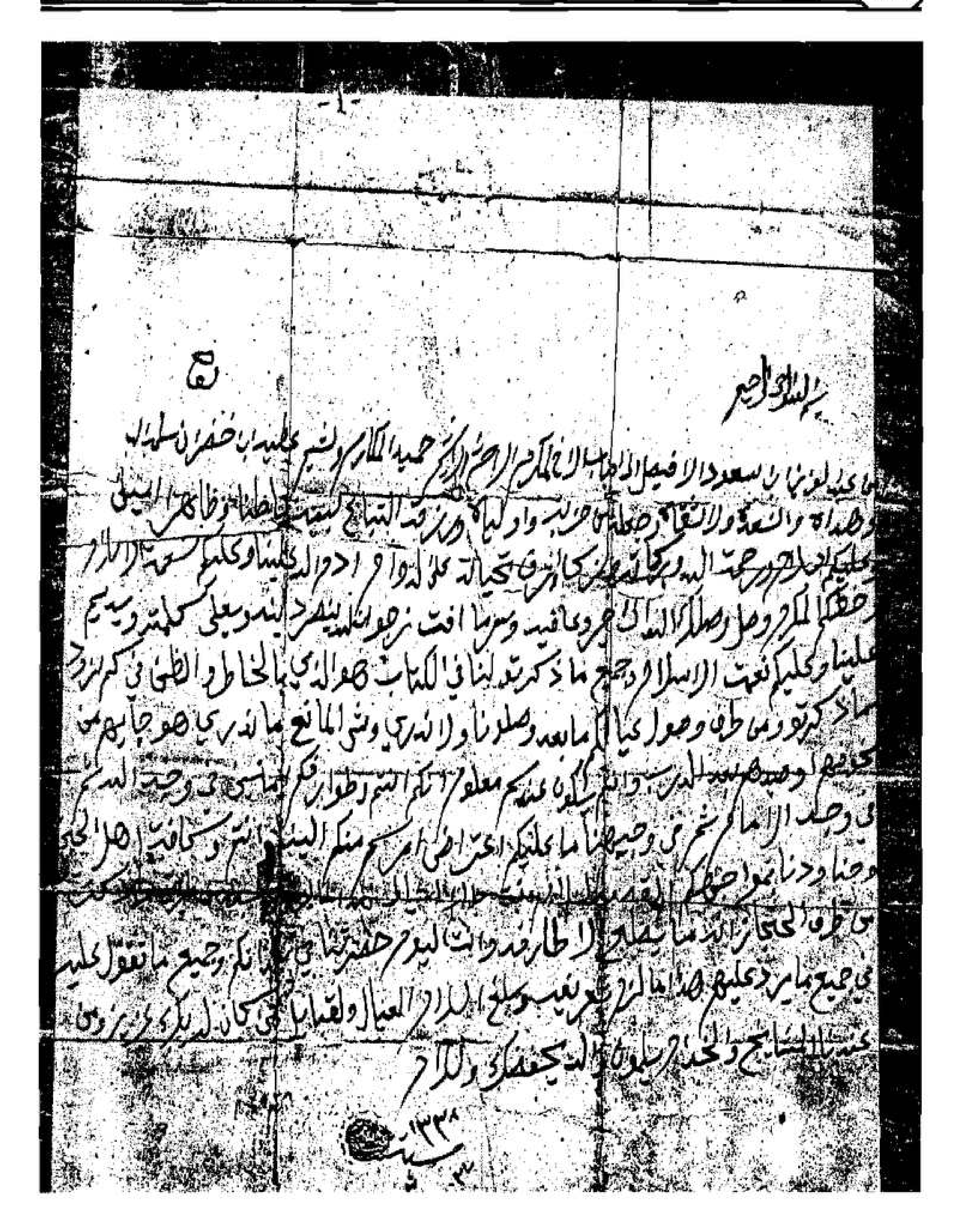
(من عبد العزيز بن سعود آل فيصل إلى جناب الأخ المكرم الأخ الشيخ

حميد المكارم والشيم عطيه بن خضران سلمه الله وهداه وأسعده لتقاه وجعله من حزبه وأولياه ورزقه إتباع نبيه باطناً وظاهراً. آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأزكى وأشرف تحياته على الدوام أدام الله علينا وعليكم نعمة الإسلام. خطكم المكرم وصل وصلك الله خير وعافية..... الخ). ثم تضمنت الرسالة الإرادة الملكية ثم اختتمت بهذه العبارات التي تدل على تواضع جم وخلق رفيع:

(هذا ما لزم تعريفه بلغ السلام العيال والقبائل ومن كان لديك عزيز من عندنا المشايخ والخدام يسلمون والله يحفظكم... والسلام). الختم الملكي..

إن المتابع لهذه الرسالة وما احتوته من عبارات صادقة لا يملك إلا أن يقف إحتراماً وتقديراً لقائد عرف كيف يخاطب أشراف القبائل ومن يجري في فلكهم ويستدنيهم إليه ويقربهم منه وقد حصل ذلك ولله الحمد والمنة.



بسم الله الرحمن الرحيم

١٣٣٨

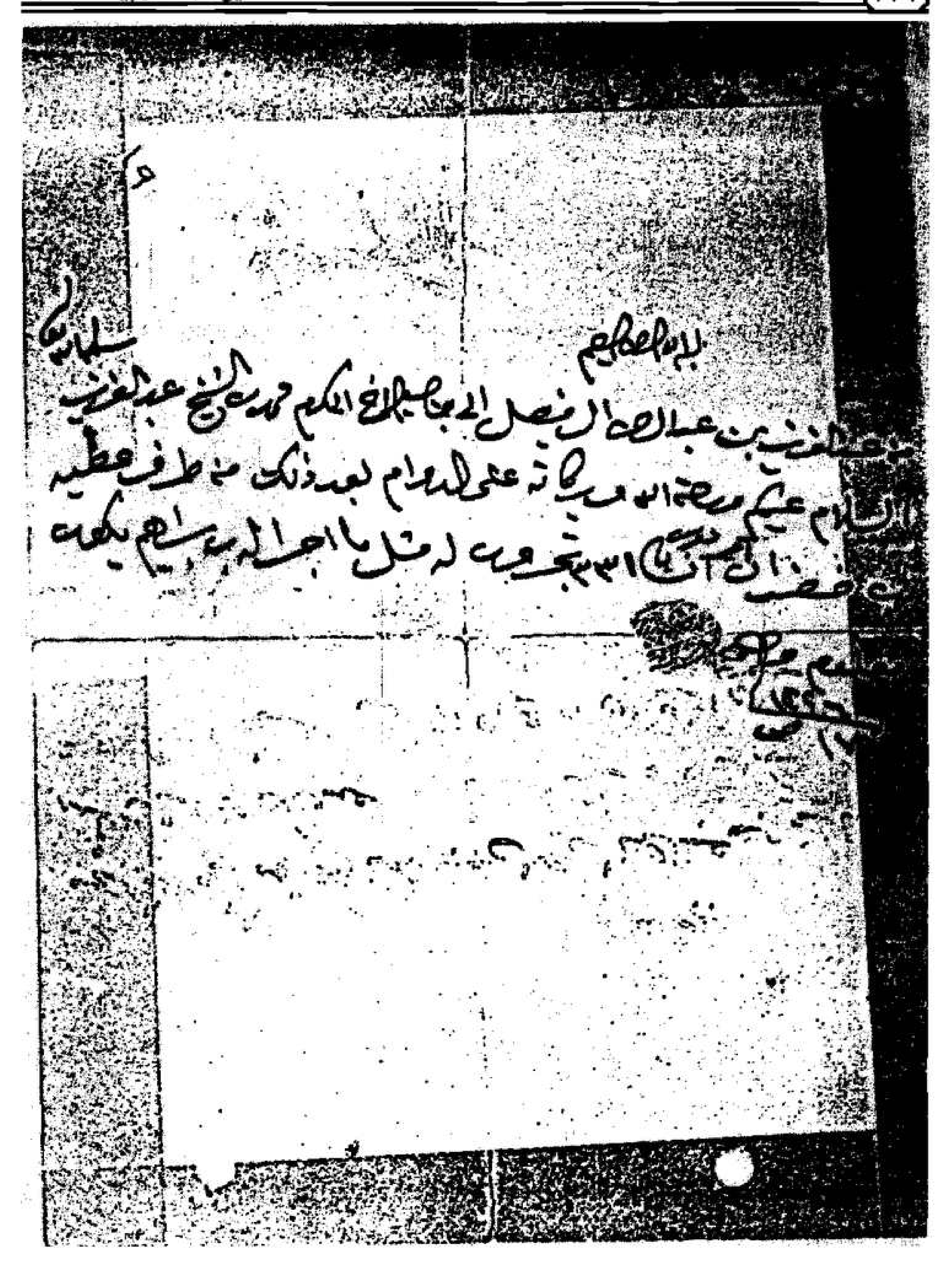
شكل رقم (٢).

ب ـ الرسالة الثانية :

كانت بعد الرسالة الأولى بحوالي ثمانية أعوامٍ تقريباً فقد كانت مؤرخة في ٧ / صفر / ١٣٤٦هـ وكانت مختصرة جداً حيث جاء فيها :

(من عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل فيصل إلى جناب الأخ المكرم / محمد ابن الشيخ / عبد العزيز. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام بعد ذلك من طرف عطية أمير دوس تجرون له مثلما أجرى له ابن إبراهيم يكون لديكم معلوم). الختم الملكي..

و مما يستنتجه القارئ من هذه الرسالة هي أتباعها لهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو إنزال الناس منازلهم فقد تضمنت الرسالة عبارة أمير دوس وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على احترام أمراء القبائل وأشرافهم. وقد انعكس بالتالي على قبائلهم وبعث في نفوسهم الآمن والاطمئنان وقد أدركت القبائل ان هذا الأسلوب الرائع في التخاطب لا يأتي من إنسان يميل إلى العنف وفرض الإرادة بالقوة وإنما هي رغبة صادقة في التقرب إليهم والمشاركة في قيام كيان عربي إسلامي يعتمد في أساسه على تعاليم الدين الحنيف وبناء مجتمع يسوده التعاون للقضاء على الجهل والفقر والمرض وقد حصل ذلك ولله الحمد،،،



شكل رقم (٣).

ت- الرسالة الثالثة :

ولقد حذا أبناء الملك عبد العزيز البررة حذو أبيهم فهذه الرسالة موجهة إلى الشيخ / عطية بن خضران ومن تبعه من زهران مؤرخة في ٢٥ / جمادى الثاني / من عام ١٣٥٠هـ من الملك فيصل بن عبد العزيز في حياة والده يقول فيها :

(من فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل إلى جناب الإخوان الكرام / عطية بن خضران وتابعه من زهران سلمهم الله تعالى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

من خصوص جهادكم السابق كان بالنسبة إلى القبائل من غيركم فهو قليل وبما إنكم من فضل الله أكثر القبائل عدداً وأقواهم فيجب أن تساوون بغيركم وبموجبه صار عليكم زيادة مائة مطية على جهاد العادة يصير الجميع خمسمائة مطية على جميع زهران وهؤلاء خدامنا إبراهيم بن مهيزع وسعد الهايف وأصلينكم إن شاء الله تجتمعون أنتم وجميع كبار زهران وخدامنا في المحل الذي يرضونه الجميع وتوزعون الزيادة على القبائل حسب ما عرفناكم كل على قدرة والحذر من المخالفة ترا كل ما يشاف إلا من فعله الطيب وتساعدون خدامنا في تحصيله وتحرصون في ذلك هذا ما لزم والسلام). الختم الملكي.

من هذه الرسالة يتضح لنا عده أمور :

الأمر الأول : الحرص على العدالة بين القبائل في تحصيل الجهاد.

الأمر الثاني : تفويض الصلاحيات كما نفهمه اليوم في علم الإدارة فلم يفرض عليهم الاجتماع في وقت محدد أو مكان معين بل ترك الأمر

للتشاور بين مشايخ زهران وخدام الأمير.

الأمر الثالث : صرامة التوجيه والتحذير من المخالفة وذلك من اجل تحقيق العدالة.

الأمر الرابع : رفع المعنويات من خلال المخاطبة والإشادة الضمنية في الخطاب بالمخلصين في أقوالهم وأفعالهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل الى جناب الاخوان الكرام عطية بن خضران وتابعه من زهران سلمهم الله تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد من خصوص جهادكم السابق كان بالنسبة الى القبايل غيركم فهو قليل وبما انكم من فضل الله اكثر القبايل عددا واقواهم فيجب ان تساوون بغيركم وبموجب ذلك صار عليكم زيادة مائة مطية على جهاد العادة فيصير الجميع خمسمائة مطية على جميع زهران وهذا ولد ابراهيم بن مهيرع وسعد الهاليه واصلينكم ان شاء الله تجتمعون انتم وجميع كبار زهران ومن خدامنا في المحل الذي يحضره الجميع وتوزعون الزيادة على القبايل حسب ما عرفناكم كلا على قدره يحذر من المخالفة الكل ما يشاف الدين فعله الطيب وتساعدون خدامنا في تحصيلها وتحرصون في ذلك هذا ما لزم والسلام

٢٥ ج ٢ [illegible]

٣٧

شكل رقم (٤).

ث- الرسالة الرابعة :

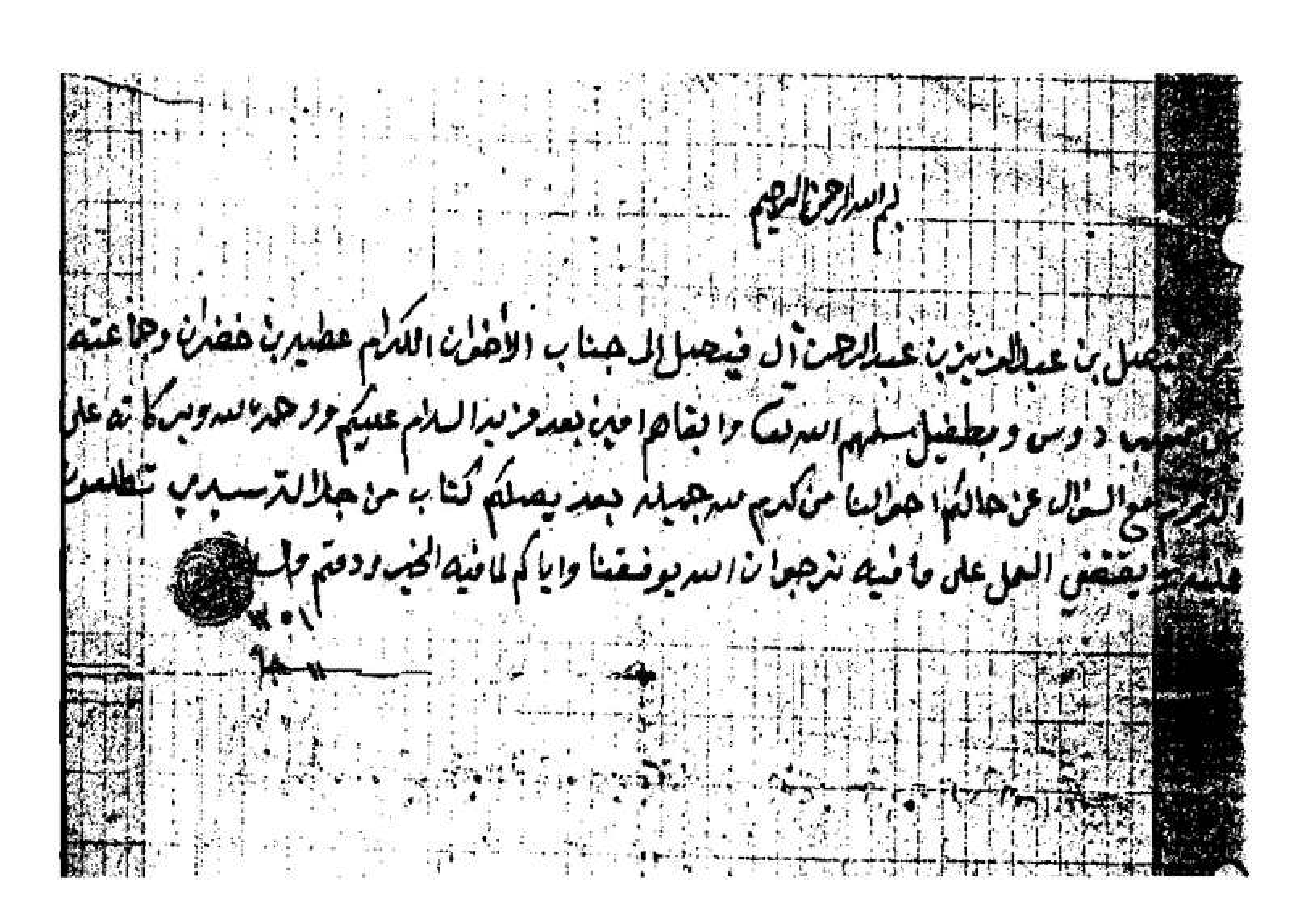
يقال إن الكلمة الطيبة تعمل عمل السحر، وفي هذا القول نصيب من الصحة كبير فإذا خاطب المرء أخاه بقول لين حسن استطاع ان يكسب وده وثقته وان يحصل منه على ما يريد فما بالك إذا جاءت الكلمة الطيبة من ملك حباه الله الملك فهو يستطيع ان يفرض رأيه والجميع عليهم تنفيذ إرادته. لا شك إن التأثير سوف يكون أبلغ.

وقد اتبع الحكام السعوديون خلال فترة حكمهم الأولى ولا زالوا أسلوب اللين في التخاطب انطلاقاً من التوجيه الرباني في قوله تعالى في محكم التنزيل : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [سورة آل عمران الآية (١٥٩)] هذا الأسلوب الفريد في التخاطب تضمنته الرسالة المرفقة والمؤرخة في ١١ / جمادى الأولى / من عام ١٣٥١هـ التي تقول :

(من فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل إلى جناب الإخوان الكرام عطية بن خضران وجماعته بني منهب دوس بالطفيل سلمهم الله وأبقاهم آمين بعد مزيد من السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن حالكم أحوالنا من كرم الله جميله وبعد يصلكم كتاب جلالة سيدي تطلعون عليه ويقتضي العمل على ما فيه نرجو ان الله يوفقنا وإياكم لما فيه الخير ودمتم والسلام). الختم الملكي.

هذه الرسالة اشتملت كما نقرأ على عبارات محببة للنفس فسؤال الملك عن أحوال من يخاطبهم من شعبه وإبلاغهم بالحال الذي هو عليه

أسلوب مميز وفريد لم يدرك أبعاده أولئك الذين قتلوا أبناء شعبهم بالعشرات بمجرد اعتراضهم على بعض تصرفاتهم ونزواتهم الشيطانية. ولقد تم انتقاء هذه الرسائل من بين رسائل أخرى ان هذا الأسلوب بالتأكيد ليس خاصاً ببيئة ثابت بن أوس " الشنفرى " بل أسلوب لكل القبائل في المملكة العربية السعودية يأتي تقديراً لهم واعترافاً بمكانتهم وللمحافظة على حبل الود حتى يبقى موصولاً وعملاً بقوله صلى الله عليه وسلم (انزلوا الناس منازلهم) أو كما قال صلى الله عليه وسلم.



بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل الى جناب الأخوان الكرام عطية بن خضران وجماعته

... دوس وبطفيل سلمهم الله تعالى آمين بعد ذلك السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على

الدوام مع السؤال عن حالكم احوالنا من كرم الله جميله بعد يصلكم كتاب من جلالة ... تطلعون

عليه ... يقتضي العمل على ما فيه نرجوا ان الله يوفقنا واياكم لما فيه الخير ودمتم ...

شكل رقم (٥).

ب- رسائل ذات صله :

سبق أن قلت إن التصحيف مرض إذا حل بمطبوعة ما هز الثقة فيها وجعل القارئ لا يحرص على الاستمرار في قرأتها أو جعلها مصدراً من مصادر بحثه والحقائق التي يود الوصول إليها. ولا شك ان هذا يضاعف من معاناة الكتاب والمحققين الذين يرون إن من واجبهم تقديم الحقيقة للقارئ ولو كلفهم ذلك جهداً إضافياً ومال كثير. و نتيجة لما قرأناه في بعض المطبوعات في تشابه أسماء بل تطابقها أحياناً في بيئة ثابت بن أوس " الشنفرى " وابن عمه حاجز بن عوف الزهراني مع مواقع أخرى ومنها منطقة عسير خاصة ديار الحجر في بني شهر فقد تم الاتصال بالأخ الزميل والصديق والباحث القدير / صالح بن عبد الرحمن الفيصلي أحد أبناء عسير المهتمين بالتراث فأوضح لنا المعلومات الآتية :

١. المسافة بين باشوت ووادي شرى قرابة أربعين كيلاً (٤٠ ك).
٢. المسافة من باشوت إلى تنومه قرابة تسعين كيلاً (٩٠ ك).
٣. المسافة من شرى إلى تباله الفرع موقع ذي الخلصه البائد قرابة (١٢٠ ك).
٤. أما حضوه فهي أسماء لعدة مواقع نعرف منها واد في ديار دوس بزهران فيه مدرسة وقرى.
٥. حضوه قرية صغيرة في منحدرات تهامة المتجهة غرب وادي باشوت هي قرية يتنقل إليها ويقطنها بعض الرعاة في أوقات البرد والشتاء.
٦. أما حضوه الكبيرة فهي سلسلة جبلية بمساحة تقريبية تقدر بـ (٥ ك) تقع في ديار الحجر جنوب وادي تنومه بني شهر بمسافة تقدر بـ (٢٠ ك)

يحد حضوه شمالاً وادي سدوان آل سريع وآل خالد شمال حضوه وتقع قرية نوما من باللسمر كما يحد حضوه من الجهتين الشرقية والجنوبية قبيلة بني قاعد وفي وسط حضوه وجنوبها تقع آل معلم من باللسمر أما الحدود الغربية لجبال ومياه حضوه فهي منحدرات تهامة المتجهة غرباً عبر بلاد الحجر حتى تفضي مياه حضوه إلى مركز ثلوث المنظر المعروف بالشهاريه (من بني شهر) وهو مركز حضرى وأمني قديم جداً إذ قد سلك منه رديف باشـــا الوالي العثماني بحملته العسـكرية ضد امارة آل عايض بن مرعي العسيريه في أبها في منتصف القرن الثاني الهجري (و المقصود الثاني عشر الهجري) عبر عقبة تنومه المعروفة باسم ساقين حتى اخضع الموالين لآل عايض وهم آل الشبيلي شيوخ مشايخ قبائل بني الأثله بني شهر.

القسم الثاني من بني شهر فهم بنو سلامان شيوخ مشايخهم هم العسابله. وفي ديار هاتين القبيلتين تقع أماكن تاريخية وحضرية قديمة قد تصدى لها بعض مثقفيهم وأخرجوها من مصادرها ومراجعها مثلها مثل بقية ديار قبائل المملكة العربية السعودية العريقة وعلى أبناء تلك القبائل تقع مسؤولية إخراج الكنوز التاريخية (مثل بحثكم يا أبو طارق الحالي) المتفق مع التكوين الطبيعي الذي أودعه رب العزة والجلال في خلقه وعبر مسيرة الإسلام العطرة والمحافظ على شذاها الندي من قبل ولاة أمورنا حفظهم الله. توقيع الباحث.[1]

و لا شك إن هذه المعلومات الهامة والدقيقة جهد من الصديق صالح يستحق ان يذكر فيشكر.و ليس بغريب على باحث يهمه تحقيق الرؤى

---

(١) انظر شكل (٦).

الصائبة للحقائق التاريخية في وطننا الكبير المملكة العربية السعودية حفظها الله بصفة عامة والمنطقة الجنوبية التي نبع منها رجال عظماء عبر التاريخ القديم مروراً بعصور الركود حتى عصرنا الحاضر الزاهر في ظل النهضة الشاملة المباركة التي نعيشها هذه الأيام بقيادة حكيمة مكنت الباحثين عن الحقيقة بالتحرك في جميع الاتجاهات بحرية تامة.

من هذه الرسالة نستنتج الأمور الآتية :

١. **حدد الاستاذ /** صالح المسافة بين باشوت ووادي شرى بـ (٩٠ ك) ووادي شرى هذا ورد ذكره في شعر الصعلوك حاجز بن عوف الزهراني محرفاً حيث قال :

و يوم شروم قد تركنا عصابة   لدى جانب الطرفاء حمراً جلودها

و قد صححته سابقاً وهي مدينة تقع إلى الجنوب من مدينة بالجرشي بمسافة تقدر بحوالي (٢٠ - ٣٠ ك) تقريباً وهي ديار خثعميه ذكرها الشيخ / حمد الجاسر في كتابه في سراة غامد وزهران. كما ذكر مواقع أخرى وهي الاراكات، (سراة بني لهبان) ولم نستدل عليها ولعل من يقرأ هذا البحث ويعرفها يوضح ذلك لتكتمل الصورة لدى القارئ والباحث في المقام الأول.

٢. قال إن المسافة من باشوت إلى تنومه قرابة (٩٠ ك) طبعاً في اتجاه الجنوب. وتنومه هذه وردت في شعر حاجز حيث قال :

و نحن صبحنا الحي يوم تنومة   بملمومة يهوى الشجاع وبيدها

٣. ذكر المسافة بين شرى إلى تبالة الفرع فقال إنها قرابة مائة وعشرين كيلاً (١٢٠ ك) وتبالة هذه ذكرها ثابت بن أوس " الشنفرى " في

شعره فقال :

قتــيلا فجــار أنتمــا إن قتلتمــا   بجوف دحـيس أو تبالـة فاسمعــا

٤. ورد في كثير من البحوث اسم الاثله. منها ما ذكره الاستاذ / صالح في رسالته (..... آل الشبيلي شيوخ مشايخ قبائل بني الاثله).

و هذا الإسم الأثله يوجد في تهامة الباحة في موقعين :

الأول : الأثله. قال عنه الاستاذ / علي بن صالح السلوك الزهراني في المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران (الاثله باسم واحدة شجر الأثل. قرية من قرى غامد الزناد بتهامة تقع بوادي (حتي) بضم الحاء وفتح التاء)[(١)].

و **الثاني** : ألأثيله باضافه ياء بعد الثاء قال عنها الأستاذ السلوك في معجمه السابق ذكره (الأثيله تصغير أثله. قرية من قرى قلوه تبعد عنها بثلاثة عشر كيلاً غرباً وسميت باسم الوادي الذي تقع فيه).

وحيث ان الاثيله هذه من قرى قلوه فانني أودأن اشير إلى أن قلوه هذه من بيئة ثابت بن أوس التي جاء اسمها محرفاً ومقترناً ببيضان في بيت شعره الذي يقول فيه :

اذا أصــبحت بــين جبــال قــو   و بيــضان القــرى لم تحــذريني

وقد جرى تصحيح ذلك سابقاً. والله اعلم بالصواب.

---

(١) انظر صفحة ١٣٣ من المعجم المذكور.

بسم ، الرحمن الرحيم

إلى مقام أستاذنا الكريم / أبا طارق، بن زياد، محمد - الزهراني وفقه الله

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته:-

معذرة للتأخير وما ذاك إلا بسبب مهمة شخصية ذهبت لقضائها من مكة المكرمة يوم السبت الماضي، فألم بي عارض فيروسي في البلعوم والصدر وأفضى إلى نزلة برد حادة الزمني الفراش إلى هذه الساعة؛ فهي رحمة من الله والحمد لله.

١- المسافة من باشوت إلى وادي شرى ا قرابة ٤٠كيلا.

٢- من باشوت إلى تنومة قرابة ٩٠كيلا.

٣- من شرى ا إلى تبالة (الفرع) موقع ذالخلصة البلد قرابة ١٢٠كيلا.

٤- أما حضوه فهي إسماً لعدّة مواضع نعرف منها وادي في ديار دوسا بزهران وفيه مدرسة وقرى.

٥- وحضوه، قرية صغيرة في منحدرات تهامة المتجهة غرب وادي باشوت. وهي قرية ينتقل إليها ويقطنها بعض الرعاة في أوقات البرد والشتاء.

٦- أما حضوه الكبيرة فهي سلسة جبلية بمساحة تقريبية تقدر ب٥٠٥كيلو متر وتقع في ديار الحجر جنوب وادي تنومة بني شهر بمسافة تقدر ب٢٠ كيلا ويحد حضوه شمالا وادي سدوان آل سريع وآل خالد شمال حضوه وتقع قرية نوما من باللسمر / كما يحد حضوه من الجهتين الشرقية والجنوبية قبيلة بني قاعد وفي وسط حضوه وجنوبها تقع قرى آل معلم من باللسمر أما الحدود الغربية لجبال ومياه حضوه ، فهي منحدرات تهامة المتجة غربا عبر بلاد الحجر حتى تفضي مياه حضوه إلى مركز ثلوث المنظر المعروف بالشهارية (من بني شهر) وهو مركز حضري وأمني قديم جدا إذ قد سلك عنه رديف باشا الوالي العثماني بحملته العسكرية ضد إمارة آل عايض بن مرعي العسيرية في أبها، في منتصف القرن الثاني الهجري عبر عقبة تنومة المعروفة باسم ساقين حتى أخضع الموالين لآل عائض، وهم آل الشبيلي شيوخ مشائخ قبائل بني الأثلة بني شهر، والقسم الثاني من بني شهر فهم بنو سلامان/ وشيوخ مشائخهم هم العسابلة. وفي ديار هاتين القبيلتين تقع أماكن تاريخية وحضرية قديمة قد تصدى لها بعض مثقفيهم وأخرجوها من مصادرها ومراجعها؛ مثلها مثل بقية ديار قبائل المملكة العربية السعودية العريقة ، وعلى أبناء تلك القبائل تقع مسئولية إخراج الكنوز التاريخية(مثل بحثكم يا أبو طارق الحالي) المتفق مع التكوين الطبيعي الذي أودعه رب العزة والجلال في خلقه، وبعد مسيرة الإسلام العطرة المحافظ عليها بإخلاص الذي من قبل ولاة أمورنا حفظهم الله.

أرجو قبول عذري ولكم عاطر تحياتي!!!

شكل رقم (٦).

في سياق دحض المقولة اليهودية التي تقول ان العرب امة لا تقرأ أورد هذه الرسالة التي وردتني من أخ صديق من الجالية السودانية العاملة في المملكة العربية السعودية تشارك في النهضة الصحية الشاملة في مملكة الإنسانية موطن الإسلام ومنبعه الذي لا يجف إن شاء الله بعد ان تقابلنا ذات يوم في احد ردهات مستشفى الملك فهد في الباحة وقال لي بالحرف الواحد (سمعت اليوم سيدة طاعنة في السن تتكلم بكلام عربي فصيح، رغم أنها لا تجيد القراءة والكتابة بل لا تعرفهما أصلاً وقال لقد أعطاني هذا انطباعاً عن عراقة هذه المنطقة لغوياً). من هذا الحديث المختصر جداً استشفيت انه باحث جيد وقارئ متميز وإلا لماذا لفت انتباهه كليمات من عجوز مريضة غير متعلمة ولم تكن مؤهلة لأن تدخل معه في حوار لشرح هويتها. لذلك دخلت معه في حوار قصير جداً فاتضح لي صحة ما ذهبت إليه وانه متلهف لمعرفة المزيد. نتيجة لذلك رأيت ان أعيره كتاب الشيخ الجليل / حمد الجاسر رحمه الله تعالى - في سراة غامد وزهران - بصفته باحث محايد زار هذه المنطقة خصيصاً لهذا الأمر كما ظهر لي أنه لم يطلع على ما قاله الأصمعي رواية عن أبو عمرو بن العلاء التي قال فيها: (أفصح الناس لساناً وأعربهم أهل السروات وهن ثلاث : وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن فأولها هذيل وهي تلي السهل من تهامة ثم بجيله السراة الوسطى وقد شاركتهم ثقيف من ناحية أخرى ثم سراة الازد ازد شنوءة وهم بنو الحرث بن كعب بن الحرث بن نصر بن الازد).

يقول الاستاذ / عبد العظيم يوسف عمر في رسالته هذه بعد السلام :

(أيها الكريم، كم هي من سياحة مشوقة جديرة بالوقوف ان يجد الإنسان

نفسه بين يديه سفر كامل جغرافياً وطبيعياً وتاريخياً ودينياً وفكرياً لهذه المنطقة الثرية بإمكاناتها وأهلها وتاريخيها وانا اقلب صفحات هذا المرجع القيم، والدسم والشامل وكأنني عشت تلك الأزمان مع أمم وليس أمة واحدة اشتميت تاريخهم التليد وماضيهم المجيد وعطائهم الفريد).(ان إصدار - في سراة غامد وزهران - لنابغة وعرافة الجزيرة العربية الشيخ / حمد الجاسر يمثل مرجعاً هاماً لحضارة سادت ولم تبد بل هي متوارثة ومستزادة بمثلكم. و لعلي قد ابطاءت طويلاً في قراءة هذا الكتاب القيم ولكن مثله يجب أن يكون له ذلك. فمنك العذر للتأخير ولنا هذه المعرفة المؤصلة التي أتمنى ان تملك للأجيال الجديدة القادمة هي بكل المقاييس إرث حضاري متميز جدير بالقراءة والحوار والتجديد). التوقيع[1].

ان هذه الرسالة التي تفيض حباً ورغبة في القراءة لمعرفة المزيد من المعلومات عن وطن الأمجاد والقداسات، لدليل آخر من الأدلة التي تدحض مقولة إن العرب أُمة لا تقرأ.

و الله المستعان،،،،

---

(١) انظر شكل (٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذنا الفاضل

محمد بن زياد بن مسفر -(أبو طارق)

سليل حسب ونسب

زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن عبد الله بن نصر ابن الأزد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وكل عام وأنت ومن معك بخير

وأسعد الله أيامك ولياليك وجميع أوقاتك

الوالد والأخ العزيز وأستاذ الأجيال والأديب ابن زياد **حفظه الله ورعاه**

أيها الكريم ، كم أنا ممنون وشاكر ومقدر لما لقيته والقاه من فضاءات وعمق أدبي وروحي وأنتم تغدقون على شخصي الضعيف بما هو غذاء للروح.

عزيزي الفاضل ... كم هي من سياحة مشوقة وجديرة بالوقوف أن يجد الإنسان نفسه وبين يديه سفر كامل جغرافيا وطبيعيا وتاريخيا ودينيا وفكريا لهذه المنطقة الثرة بإمكاناتها وأهلها وتاريخها .

وأنا أقلب صفحات هذا المرجع ، القيم ، الدسم و الشامل وكأنني عشت تلك الأزمان مع أمم وليس أمة واحدة أشتميت تاريخهم التليد وماضيهم المجيد وعطاءهم الفريد.

إن إصدار -(في سراة غامد وزهران)- لنابغة وعرافة الجزيرة العربية الشيخ حمد الجاسر يمثل مرجع هام لحضارة سادت ولم تبيد بل هي متوارثة ومستزادة بمثلكم .

لعلي قد أبطأت طويلا في قراءة هذا الكتاب القيم ولكن مثله يجب أن يكون له كذلك ، فمنك العذر للتأخير ولنا هذه المعرفة المؤصلة والتي أتمنى أن تملك للأجيال الجديدة والقادمة هي بكل المقاييس ارث حضاري متميز جدير بالقراءة والحوار والتجديد.

الشكر أجزله والتقدير أتمه وصادق الدعاء لشخصكم الكريم المفضال ودمتم ،،،

أخوكم وتلميذكم ...

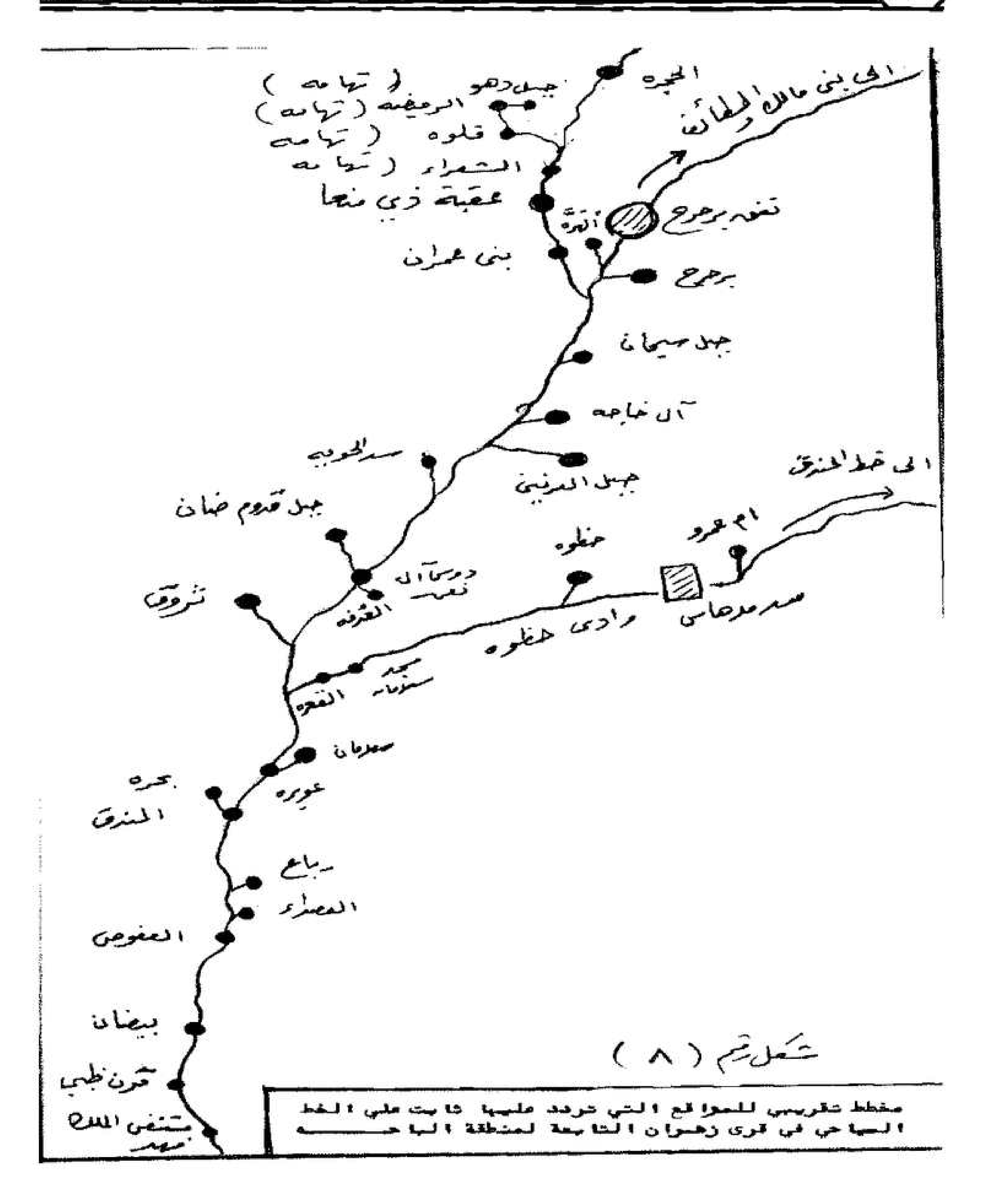
عبد العظيم يوسف عمر

شكل رقم (٧)

٢٨٠   ١٤ شعبان ١٤٢٦هـ الموافق ١٨ سبتمبر ٢٠٠٥م

شكل رقم (٧).

صور و مخطط للقرى التاريخية الواقعة على الخط السياحي في بيئة ثابت بن أوس " الشنفرى ".



شكل رقم (٨).

إعداد المؤلف.

الشكل أدناه :

يمثل منظر عام لقرية "بَعَره" بفتح العين والراء وسكون الهاء حيث جرى إطلاق الإسم الجديد عليها وهي القرية التي ورد إسمها في شعر حاجز بن عوف الزهراني عندما لجاء إليها هرباً من عامر الذين كانوا يطاردونه ليقتصوا منه وقد أوضحت ذلك سابقاً.

هذه الصورة تؤكد أن القرية هذه هي التي عناها في شعره عندما قال:

الا هـل أتـى ذات القلائـد فرتـي عشية بين الجرف والبحر من بعـر

فهي تقع على جرف يفضي مباشرة إلى "اصدار" تهامة السحيقة ومن يقف على الجرف يمكنه عند صفاء الجوأن يرى البحر الأحمر بوضوح، وكلمتي الجرف والبحر وردتا مقترنتين باسم القرية في الشطر الثاني من البيت المذكور أنفاً. والله اعلم.



بعدسـة المـؤلف.

شكل رقم (٩).

تمثل الحصون معالم تراثية وبارزة في بيئة ثابت بن أوس " الشنفرى " وقد أهتم بها إنسان هذه البيئة أيما اهتمام وكان الغرض الأول منها دفاعي عند اشتعال الحروب بين القبائل أو تسلل اللصوص أو عيون القبائل المعادية. و يختار الناس لبنائها قمم الجبال العالية والتي تشرف على أكبر قدر من المساحات المحيطة. و الشكل أدناه واحد من تلك الحصون، يتربع على منطقة مرتفعة ترى القرى خلفه. هذا الحصن الجميل يقع في قرية - بَعَره - بفتح الباء والعين والراء التاريخية التي جرى تغيير اسمها إلى - بحره - بفتح الباء وسكون الحاء.



شكل رقم (١٠).

و مما قلته عن صمود تلك الحصون رغم جفاء الإنسان وجور الزمان تحت عنوان (رموز) :

يـا حـصن سـالت مـن وفـاءك أدمعـي

و تهـــشمت تحـــت المـــدامع أضـــلعي

مـا زلـت رهـن العهـد والبـاني مـضى

كـــم قلَّـــب المـــوت الـــزؤام مـــواجعي

مـا زلـت رهـن العهـد تحكـي للـذي

أغـــواه حـــب الزخـــرف المتواضـــع

إن الرمـــوز بعزمهـــا وصـــمودها

روح الأصـــالة في رفيـــع الموقـــع

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

هذا المنظر لواد من الأودية الجميلة في بيئة ثابت بن أوس " الشنفرى " يقع غرب مدينة المندق وجنوبي وادي ضرك " وادي السيسبان " والذي سبق أن ذكرته والذي يبعد عنه بحوالي ثلاثة أكيال تقريباً. انه منظر خلاب يدخل البهجة والسرور إلى النفس فسبحان من أبدع في خلقه وأحسن في صنعه.



شكل رقم (١١).

اللوحة الإرشادية التي نراها في الصورة التي تشير إلى وادي برحرح الذي ورد اسمه في التاريخ محرفا " يزحزح " وقد جرى تصحيح ذلك سابقاً.



شكل رقم (١٢).

أما الصورة التي تليها فهي لمدخل عقبة ذى منعا التي سلكها الصحابيان الجليلان الطفيل ابن عمرو الدوسي وابن عمه أبو هريرة رضي الله عنهما في رحلتهما من الشرك إلى الإسلام. وهي لا تبعد عن اللوحة الإرشادية سوى بضعة أمتار وتشاهد الطريق في أسفل الصورة قبل النفق.

مدخل عقبة ذى منعا...



شكل رقم (١٣).

و مما يجب التنويه عنه أن الخط السياحي المتجه من الباحة إلى الطائف عبر سلسلة جبال السروات وديار دوس وبني يوس بيئة ثابت بن أوس " الشنفرى " حظي كغيره من الخطوط في منطقة الباحة بعناية الدولة فأنشئت الكباري الضخمة والأنفاق الواسعة لتخترق الجبال مسهلة بذلك حركة المرور والتي أدت بالتالي إلى نهضة شاملة تستحق الشكر والتقدير لحكومتنا الرشيدة وفقها الله.

تظهر في الصورة المقابله عقبة ذي منعا ببرحرح وهي تصل السراة بتهامة

عبر سلسلة جبال السروات الصعبة بحيث يتصل برحرح بالحجرة التي سبق أن ذكرتها. والعقبة الحالية تسلكها السيارات كما نرى في الصورة وتمر من شمالي قرية بني عمران أحد قرى برحرح. وتقع بين سلسلة جبال يصعب النزول منها قبل تمهيدها إلا بشق الأنفس وقد قال الطفيل بن عمرو الدوسي فيها شعراً ذكرته سابقاً.



شكل رقم (١٤).

أما هذه الأيام فقد أصبحت سهلة بعد تمهيدها حتى إن المرء النشيط أو الرحالة يستطيع أن يسلكها مشياً على الأقدام دون صعوبة تذكر.

الشكل أدناه :

لقرية سلامان التي عاش فيها ثابت بن أوس " الشنفرى " وشب وترعرع، ومنها انطلق لمحاربة خصومة وهي أيضا قرية حاجز بن عوف الزهراني أحد أشهر الصعاليك وقد صرح في شعره بانتسابه إليها فقال :

قومي سلامان إذا ما كنت سائلة و في قريش كريم الحلف والحسب

وقد رحل عنها سكانها ونزلوا إلى وادي حظوه بالقرب من مزارعهم هناك. والمدخل إليها من وسط قرية عويره. الواضح موقعها على المخطط العام.



شكل رقم (١٥).

و يقع في الجنوب منها مقبرة قديمة جداً يقول الأهالي ان بها قبر ثابت بن أوس " **الشنفرى** " سبق ان ذكرت ذلك ويقابل المقبرة في المدخل على يمين الداخل إليها ربوة صغيرة يقول أهل سلامان ان إسمها " قزعة النصباء ". أما قرية الغميصاء التي وردت في شعره فأنهم يقولون ان أصل تسميتها العصماء ولكن حرفت إلى الغميصاء كما يقولون إن الشنفرى اتخذها مقراً له يأوي إليها في سكناته. كما ذكروا إنه كان ينزل إلى وادي حظوه ويشرب من مورد ماء يسمى الخرّار. و صححوا لنا القول الذي سبق ان ذكرته والذي كان يرتجز به دوس عند حربهم مع أبناء عمومتهم يوس حيث قلت أنهم كانوا يقولون "**ورده يا دوس على بني يوس** " والذي أصبح يقال عند استنهاض الهمم على القيام بأمر ما. خاصة الذي يحتاج إلى جهد غير عادي. وقالوا ان صحته هي :

" **سعره يا دوس فوق بني يوس** " والذي أراه إن هذا القول الأخير هو الصحيح لأمرين :

الأول : إن من رواه هم أهل دوس أنفسهم وقالوا هذا المعروف لدينا والذي يردده الناس.

الثاني : لأن هذه المنطقة على وجه الخصوص من معاقل الضاد ولازالت لغتهم التي يتخاطبون بها لغة عربية فصيحة حتى اليوم رغم ما يعتري المجتمعات هذه الأيام من هجوم شرس من قبل اللغات الوافدة والتي تحاول أن تحل محل اللغة العربية. ومن ذلك قولهم " غدوت إلى فلان " أي ذهبت إليه لحاجة لي عنده وهكذا. يقول لسان العرب في ترجمته لمعنى كلمة " سعره " وسعر الحرب والنار والحرب يسعرهما سعراً. أو قدهما

وهيجهما. إلى أن قال : تسعرت استوقدت.... الخ[١].

الشكل أدناه :

لمسجد سلامان في وادي حظوه. حيث رحل سكان قرية سلامان من قريتهم القديمة التي تقع في قمة الجبل مقابل عويره إلى أسفل الوادي لقربهم من أملاكهم الزراعية وسهولة الأرض ووقوعها على الخط الذي يؤدي للخط السياحي المتجه إلى الطائف.



شكل رقم (١٦).

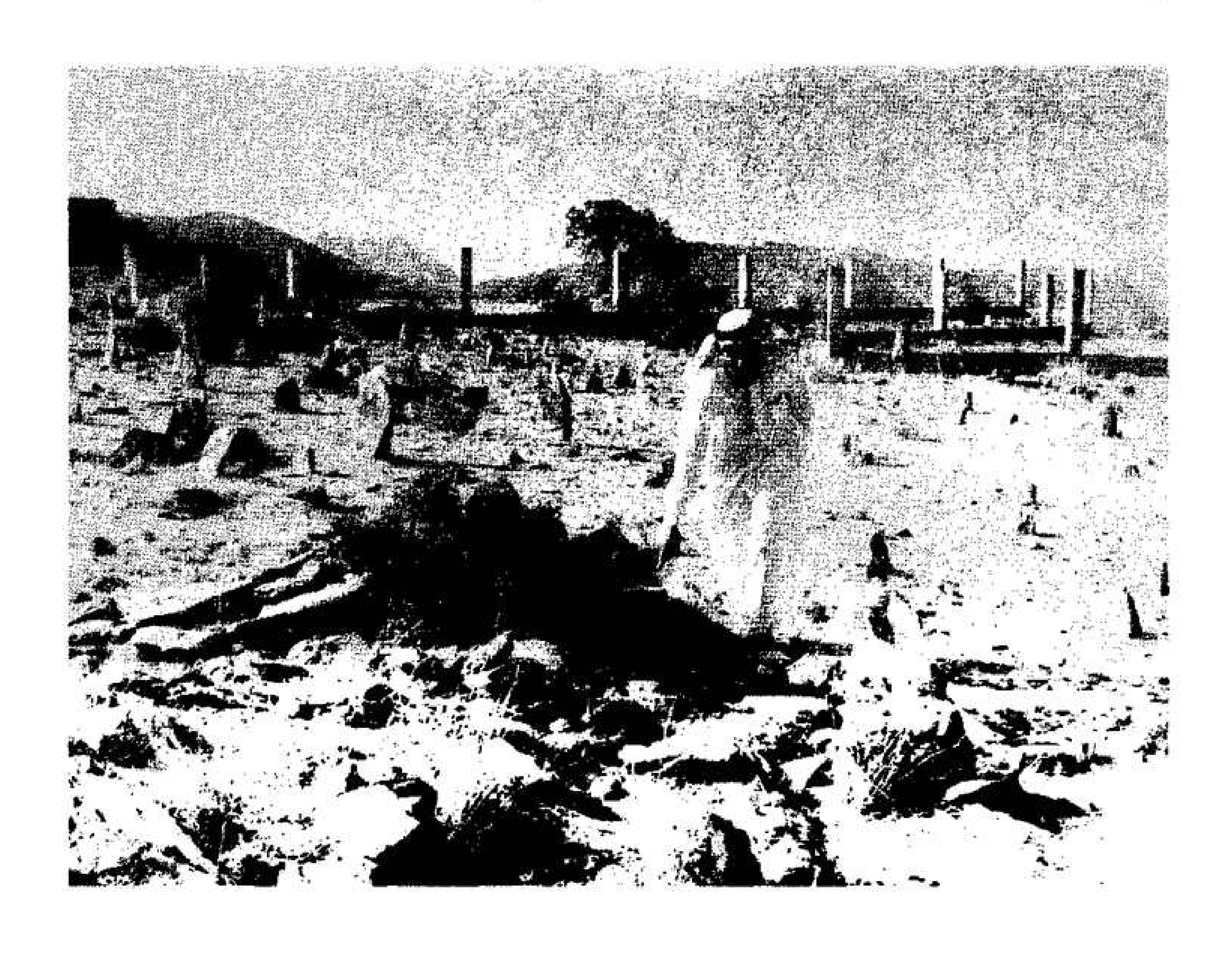
---

(١) راجع فعل "سعر".

الشكل أدناه :

لأحد المواطنين من أهالي سلامان يشير إلى موقع بين أكوام من الحجارة يقال إنه قبر ثابت بن أوس "الشنفرى".

والذي قتل في الناصف ثم جلب وصلب ثم دفن في هذه المقبرة. وتتضح في الصورة المقبرة قبل تسويرها. والله اعلم بالحقيقة.

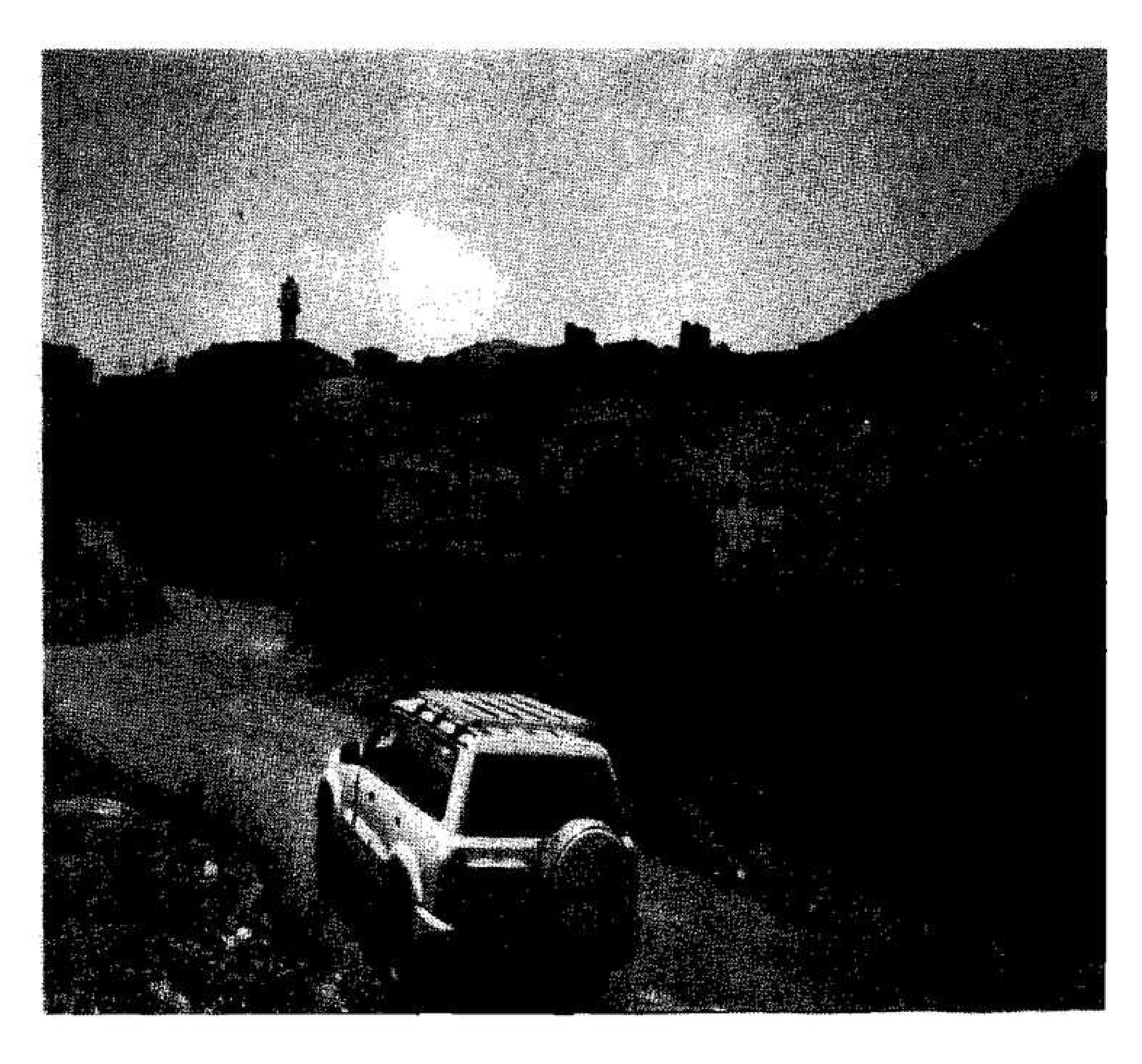


شكل رقم (١٧).

الصورة بعدسة : الصحفي بجريدة المدينة مكتب الباحة الاستاذ / محمد آل ناجم الزهراني.

الشكل أدناه :

لوادي حظوه التاريخي. وتشاهد القرية الأثرية القديمة في أعلى الصورة كما يشاهد على يسار الصورة مظاهر الحضارة في هذا العهد الزاهر فقد رحل المواطنون من القرى القديمة إلى مبان سكنية جديدة تتمتع بكافة مميزات المساكن المريحة.



شكل رقم (١٨).

الشكل أدناه :

لسد وادي مدهاس الذي يقع بين قريتي حظوه في أعلى الوادي وأم عمرو في أسفله.

و يبدو في آخر الصورة قرية أم عمرو وقد شملتها النهضة العمرانية أسوة بغيرها من قرى ومدن المملكة العربية السعودية في هذا العهد الزاهر.



شكل رقم (١٩).

الشكل أدناه :

لقرية أم عمرو القديمة والتي لا تبعد عن قرية حظوه التاريخية الا مسافة قليلة فهما تقعان في وادٍ واحد حيث ان قرية حظوه تحتل أعلى الوادي وقرية أم عمرو أسفله وبينهما يقع سد مدهاس.



شكل رقم (٢٠).

الشكل أدناه :

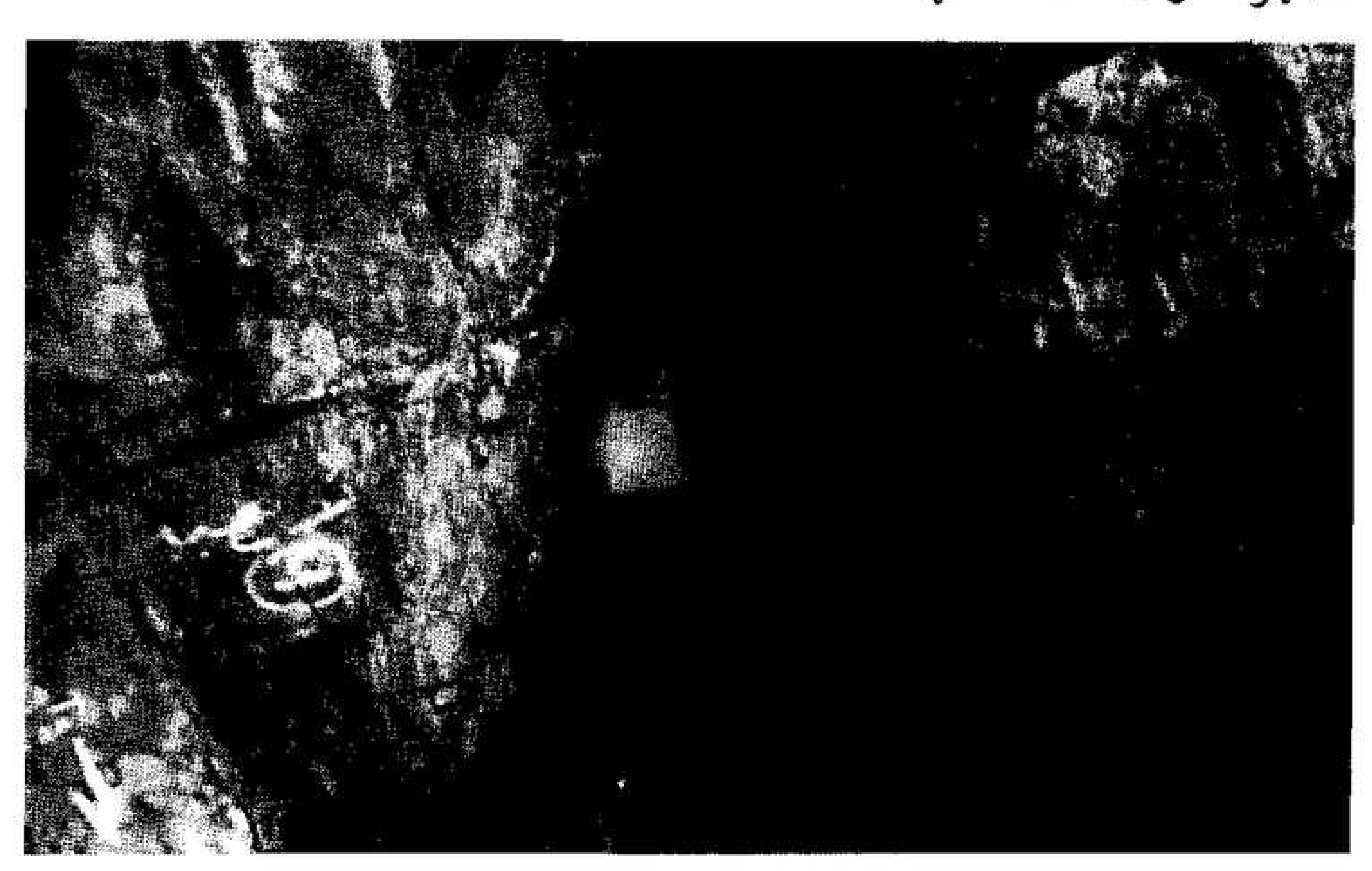
لأحد قصور قرية أم عمرو القديمة وتدل ضخامة هذا القصر القديم على أن هذه القرية عاشت أيام عز وقوة.



الشكل رقم (٢١).

الشكل أدناه :

لمنجم الصفر في قرية المشايعة في وادي الصدر بزهران. وهو موقع يقع في ديار بني يوس أحد الفروع الكبيرة من قبيلة زهران ويطلق الأهالي على الجبل الذي يقع فيه هذا المنجم " معدن الصُّفر " بضم الصاد وتشديدها. ويظهر في الصورة كيف استطاع الباحثون عن هذه الثروة ان يخترقوا الجبل وأن يحصلوا على الصخور التي تحتوي على مادة الصفر. ومما يرويه الأهالي انه عند غزو الأتراك لمنطقة بلاد زهران حوالي ١٣٢١من هجرة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم استطاعوا ان يستدلوا على هذا الجبل فكانوا يحضرون الخيل والبغال والحمير ويحملونها بأكياس تحتوي على هذه المادة ويذهبون بها إلى أمكنة مجهولة لصهرها والاستفادة منها.



شكل رقم (٢٢).

الشكل أدناه :

لقطة أخرى لمنجم الصفر والذي اشرت إليه في المنظر الذي سبقه رقم (٢٢).

ويظهر في هذه اللقطة جزء من الردمية التي نتجت عن الحفر والتي لم يرغب فيها المنقبون وبعد التدقيق في حجارتها وجدران المنجم اتضح أنه يعلو صفحات تلك الصخور لون أخضر تماماً مثل الذي يعلو فوارغ المقذوفات الحربية بعد هجرها وإهمالها مما يدل على أن المادة الصفر الخام التي فيها هي من معدن الصفر فعلاً.



شكل رقم (٢٣).

صور و مخطط للمواقع التاريخية الواقعة على الخط المزدوج من الباحة إلى الطائف لبيــئة ثابت بن أوس " الشنفرى ".

عندما سألت الاستاذ / جمعان بن عايض الزهراني الكاتب الإسلامي الذي سبق ان أوردت اسمه وشيئا من إنتاجه الفكري وهو من قرية الحسن التابعة لمحافظة القرى والتي لا تبعد عن منحل إلا أكيالاً بسيطة جداً وعن جبل السُّود قال إنه يقع في شمالي وادي منحل وفي يوم الثلاثاء ٢٥ / ربيع الثاني / ١٤٢٧هـ الموافق ٢٣ / مايو / ٢٠٠٦م قمت برحلة استطلاعية مع مرافقين وكان في استقبالنا الشيخ / عايض بن سعيد بن مسفر الحميدي الزهراني أحد أبناء منحل والمهتمين بالتراث وقد تفضل باصطحابنا إلى جبل السود والمقصود بالرحلة[1] فظهر لنا أنه عبارة عن جبلان يفصل بينهما وادٍ عميق قال إن فيه عين جارية تسمى " عين أبو زيد " كما ذكر في معرض حديثه انه يقع بجوار الجبل موقع اثري به صخور عليها رسومات ونقوش بلغات غيرعربية وعربية قديمة نقش بعضها قبل الإسلام وبعضها في عصره الأول ويسمى المكان " أم الجنادل ". وبالوقوف عليها وجدناها عبارة عن حرة فيها صخور بركانية متناثرة على ربوة تشرف على جبل السود وملاصقة له قد نقش عليها الآتي :

أولاً : رسومات تمثل جمال، خيول، ووعول، وغزلان، وما يشبه الحيوانات الغير معروفة في عصرنا الحاضر.

ثانياً : الكتابة تنقسم إلى قسمين :

١. كتابات بحروف قديمة وتكثر فيها الحروف والجمل الآتية :

([illegible]).

و لا شك ان خبراء الآثار في المملكة العربية السعودية يستطيعون

---

(١) انظر الشكل رقم (٢٦).

فك رموزها ومعرفة حروفها والمقصود منها وبأي لغة هي.

٢. كتابات بحروف عربية غير منقطة مما يدل على أنها نقشت في صدر الإسلام. أي بداية العصر الإسلامي الأول وقبل أن يقوم نصر بن عاصم بتنقيط الحروف العربية ثم تلاه أبو الأسود الدؤلي بتشكيلها وكما هو الحال عليه اليوم ويظهر ذلك من الشكل رقم (٤١).

ثالثاً : رغم ان المنطقة كانت مسكونة إلى عهد قريب بالنمور والأسود والطيور مثل الصقر، النسر، الرخم. إلا انه لم يلاحظ من خلال ما شاهدناه شيئاً منها.

رابعاً : وبما أن جبل السَّود، وحرة أم الجنادل تقعان بعيداً عن الأحياء السكنية قديماً وحديثاً وهي مناطق رعي فقد تعرض بعض النقوش إلى محاولة ليس للعبث وإنما بقصد التجديد من قبل رعاة غير مهره مما أدى إلى تأثرها، والباحث المتخصص يستطيع ان يميز بين القديم الذي لم يتأثر وهو الغالبية والذي تأثر وهو القليل جداً ويظهر ذلك من الشكلان (٤٢، ٤٣).

لهذا فإننا نهيب بوزارة التربية والتعليم وإدارة الآثار فيها والمحافظة على هذا التراث المهم وتسييج المنطقة أو تعيين حراساً لها من أبناء تلك المنطقة ممن يهمه التراث لان بعض تلك الصخور يمكن نقلها.

خامساً : كان ثابت بن أوس " الشنفرى " يتردد على هذا الجبل ويختبئ فيه عن أعدائه الذين كان يفتك بهم ويغزوهم والذي اعتقده أنَّ حرة أم الجنادل هذه كانت مسرح عمليات حربية شرسة بينه وبين خصومه وأن هذه الكتابات خاصة القديمة منها تؤرخ لذلك خاصة إذا ما عرفنا أن الشنفرى وابن عمه حاجز الزهراني عاشا قبل الإسلام او في أيامه الأولى.

أما تسمية هذا الموقع بأم الجنادل فهو كما أرى تسمية اشتقت من كلمة (جندل، يجندل، جندلة) وهي كلمة لازالت حية في تخاطب أهل السراة هنا في بيئة ثابت على وجه الخصوص وتعني قَطَّع العدو تقطيعاً حيث يقولون (فلان جندل خصمه جندلة) أي مزقه تمزيقاً. قال لسان العرب : الجندل الحجارة، منه سمي الرجل، ابن سيده. الجندل ما يقل الرجل من الحجارة. إلى أن قال : قيل الجندل بفتح الجيم والنون وكسر الدال المكان الغليظ فيه حجارة، ومكان جندل كثير الجندل. ومما أورده في ترجمته لهذا الفعل ينطبق تماماً على هذا الموقع قوله : التهذيب. الجندل صخرة مثل رأس الإنسان وجمعه جنادل. فالموقع فيه فعلاً حجارة بركانية كثيرة متناثرة ولا زالت على طبيعتها لم تتحرك منذ النقش عليها. وقد يقصد أهلها بقولهم أم الجنادل الحجارة الصغيرة. لكن ما يعزز قولي بأنه قد حصلت معارك طاحنة في هذا الموقع ما قاله لسان لعرب في ترجمته لكلمة جندل:

(جندل، غير مصروف بقعة معروفة وقال :

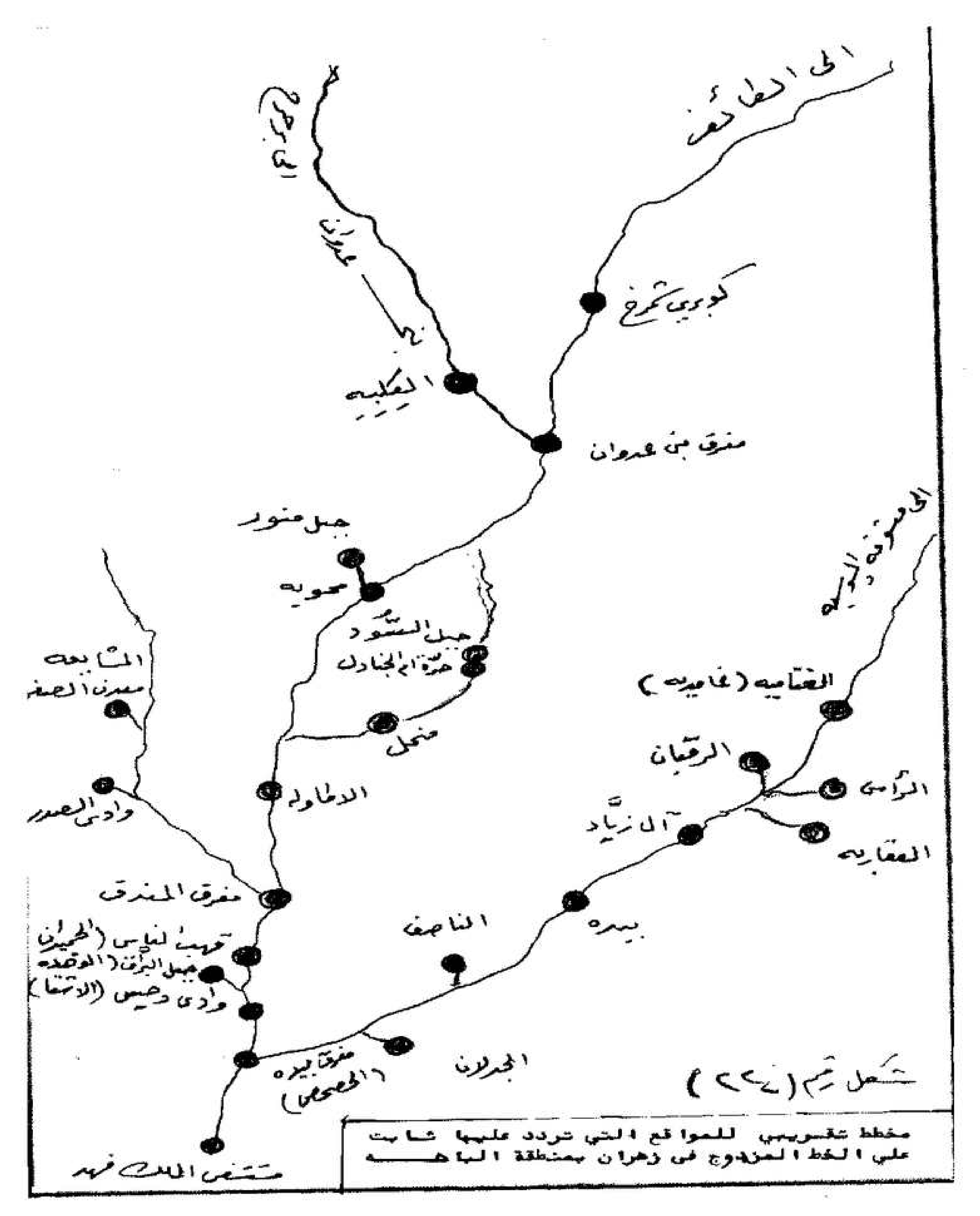
يلحن من جندل ذى معارك

كأن الموضع يسمى بجندل وبذي معارك فأبدل ذي معارك من جندل وأحسن الروايتين من جندل ذي معارك أي من حجارة هذا الموضع) إلى ان قال : الجندل العظيم القوي.

ومما تجدر الإشارة إليه أن أهل السروات في منطقة غامد وزهران يطلقون كلمة (أم) على المواقع الكبيرة الضخمة من المزارع وغيرها حيث يقولون عن القطعة الكبيرة والتي فيها شجرة سدرة مثلاً (أم السدرة) والتي فيها شجرة حماط (أم الحماطه) والتي فيها رضم كثيرة من الحصا (أم

الحصا) ونحو ذلك وأهل منحل يطلقون على هذا الموقع الذي فيه حجارة كثيرة (أم الجنادل) وهذا الأسم يحتمل واحداً من المعنيين فإما أنهم يقصدون أم المعارك لأنه حدث فيه معارك شرسة مع ثابت بن أوس وعصابته من الصعاليك خاصة انه كان يختبئ في جبل السود الملاصق لهذا الموقع وأما أنهم يقصدون الأرض كثيرة الحجارة والذي أراه هو الرأي الأول. أي أن المقصود هو أم المعارك لأنهم بكتابتهم على هذه الصخور على مر العصور لا يؤرخون على أن بها حجارة وإنما يؤرخون لما كان بين الناس من أحداث في السلم والحرب.

وعليه فانني أرى إضافة كلمة (حرة) أمام عبارة أم الجنادل ليصبح الاسم (حرة أم الجنادل) فهي الحرة الوحيدة التي في بيئة الشنفرى والتي فيها حجارة بركانية صلبة احتفظت بالنقوش منذ أكثر من ألفي عام. والله اعلم.



شكل رقم (٢٤)

إعداد : المؤلف.

الشكل أدناه

معلم طبيعي من بيئة ثابت بن أوس "الشنفرى".



شكل رقم (٢٥).

قَهب ألفَاس : أحد معالم المنطقة الطبيعية يقع على خط الجنوب على يمين الذاهب للطائف مقابل قرية الحميدان القريبة من مفرق المندق وهذه المنطقة هي وادي دحيس التاريخي.(سبق ذكره):

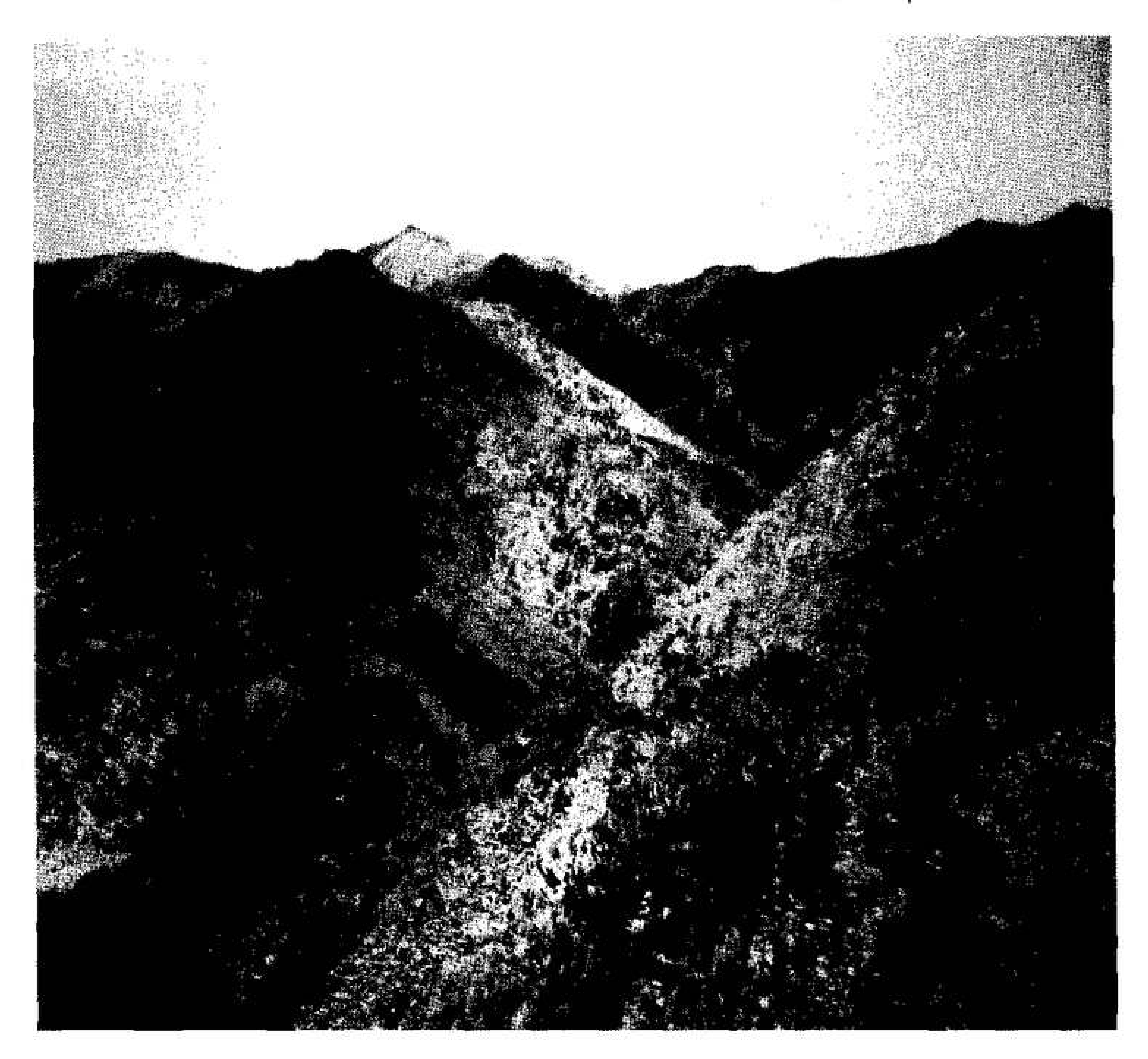
والقهب هو العظيم. يقول لسان العرب: (القهب العظيم وقيل الطويل من الجبال) إنه يمثل ثابت في قوته وجبروته وتمثل الصخور المنبطحة حوله قتلاه الأبرياء. ولله في خلقه شؤون.

منــــحل

جبل السَّود، حرة أم الجنادل.

الشكل أدناه :

منظر عام لجبل السود .



شكل رقم (٢٦).

والذي لم يسلم من التحريف فقد ورد في شعر ثابت على النحو الآتي :

و أصبح بالعصداء ابغي سـراتهم   و اسلك خلا بين اربـاع والـسرد

حيث حل حرف الراء محل حرف الواو. وقد جرى تصحيح ذلك سابقاً.

الشكل أدناه :

لصخر بركاني في حرة أم الجنادل في وادي منحل بجوار جبل السود المشار إليه سابقاً وتطل عليه من الناحية الجنوبية. بحيث ان الذي يقف عليها يظهر أمامه جبل السود وواديه واضحان تماماً ويتضح من الرسوم والنقوش عليه رسم حرف [رمز] في أعلاه وعلى اليمين رسم جمل صـــغير (قعود) مما يدل على براعة ودقة الرسام.

كما يظهر أن الرسوم قديمة ولم تتعرض للعبث أو محاولة التجديد.



شكل رقم (٢٧).

الشكل أدناه :

لصخر بركاني في حرة أم الجنادل في وادي منحل بجوار جبل السُّود المذكور آنفاً ويتضح عليه ما يلي :

١. نقش من جهة اليمين لحرف (⅃).

٢. نقش على يسار الحرف صورة حصان.

٣. هذه الرسوم والنقوش عليه تعتبر قديمة جداً ولم تتعرض للعبث كما نرى.



شكل رقم (٢٨).

الشكل أدناه :

لصخر بركاني في حرة أم الجنادل في وادي منحل والتي تقع بجوار جبـل السود في الناحية الجنوبية منه وتطل عليه وقـد رسـم عليه الحرف ( ).

و هو قديم جداً ولم يتعرض للعبث.



شكل رقم (٢٩).

الشكل أدناه :

من الصخور الموجودة في حرة أم الجنادل في وادي منحل وقد كتب عليها كتابات ورسم عليها الحرف ( ) والذي شوهد على أكثر من صخرة وربما تكون عبارة أو رسم لحيوان. ولا شك إن الخبر اليقين عند خبراء الآثار. هذه الكتابة من الكتابات الأصلية التي لم تتغير ولم تتعرض للتجديد أو العبث.



شكل رقم (٣٠).

الشكل أدناه :

من الصخور الموجودة في حرة أم الجنادل بوادي منحل وقد رسم عليها كلمات عبارة عن خطوط متقاطعة وغير منتظمة وهي من الصخور التي تعرضت للتجديد من قبل شخص غير متخصص حيث أعاد الرسمة ثانية مما أدى إلى وضوح التعديل.



شكل رقم (٣١).

الشكل أدناه :

صخر من الصخور المتواجدة في حرة أم الجنادل بوادي منحل وقد رسم عليه حيوان له عدة أرجل ورقبة طويلة ويعتقد انه من الحيوانات التي كانت موجودة عند رسمه وقد انقرضت. وهو من الرسومات الأصلية التي لم تتعرض للتجديد وهو يشبه إلى حد كبير الديناصور.



شكل رقم (٣٢).

الشكل أدناه :

صخر من الصخور الموجودة في حرة أم الجنادل في وادي منحل وقد رسم عليه شكل يشبه الجمل المحمل بحمل كبير. وهو من النقوش التي لم تتأثر وبقيت على حالها كما رسمها الرسام الأول .



شكل رقم (٣٣).

الشكل أدناه :

لصخرة موجوده في حرة أم الجنادل في وادي منحل وقد نقشت عليه صورة حيوان أو حرف من الحروف القديمة والغير معروفة حالياً. والذي اعتقدة انه حرف رغم ان الشكل يغلب عليه مظهر الحيوان وذلك بسبب تعدد أرجله ففي الشكل يظهر ان له خمسة أرجل. وهذا بلا شك غير عادي. والله اعلم.



شكل رقم (٣٤).

الشكل أدناه :

لأحد الصخور في حرة أم الجنادل في منحل وقد رسم عليه كتابات عدة لكن كان أبرزها الحرفان أو الكلمتان :

( ) على اليمين من أعلى ( ) على اليسار.

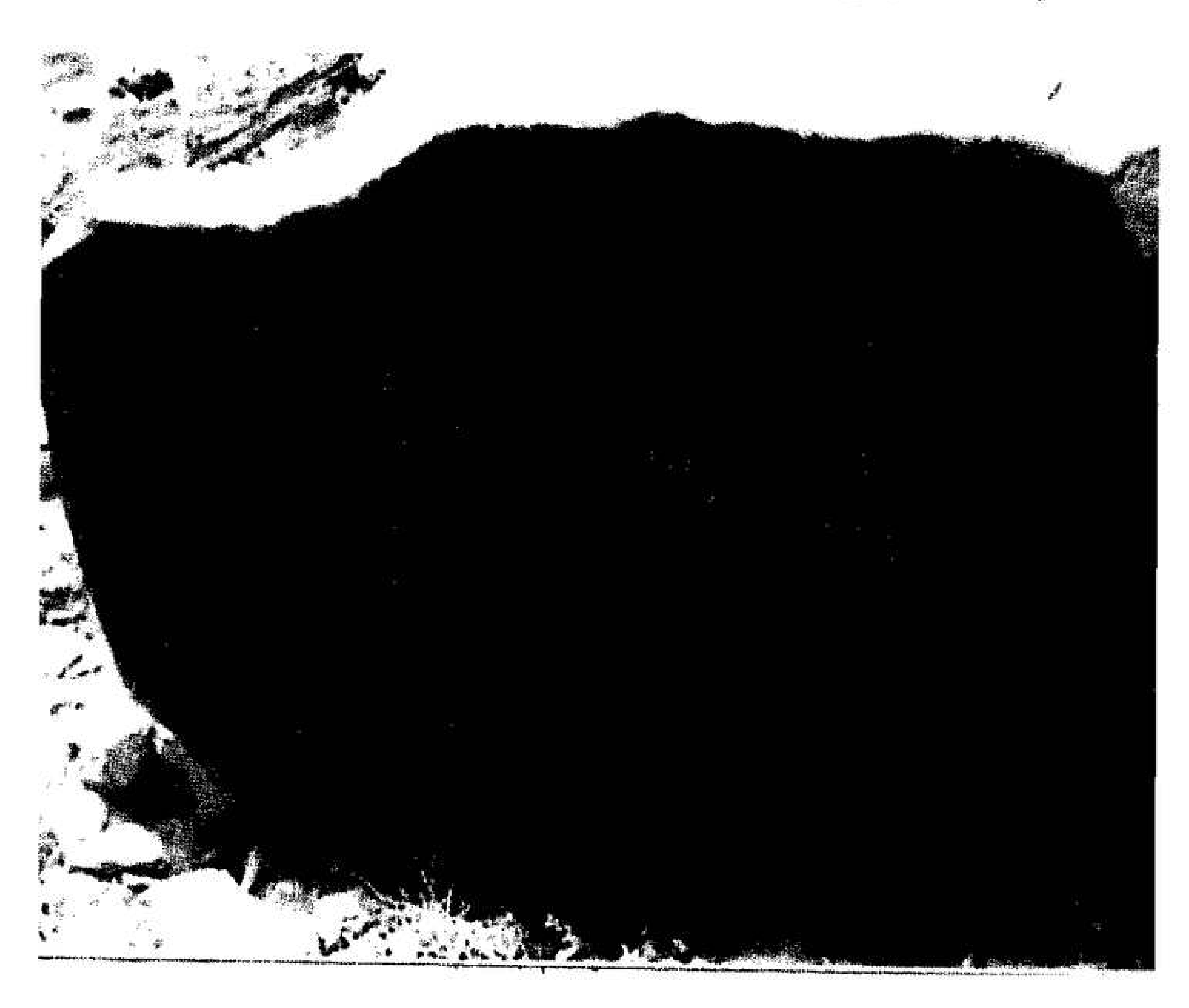
كما يبدو أن الكتابات تعرضت للتجديد لكنها لم تخرج عن الكتابة الأصلية مما يدل على حرص أهل تلك المنطقة على التراث. وكانت الرغبة لتأصيله هي الهدف من عملية التجديد. وهذا عبارة عن نموذج فقط. وهناك اعداد كثيره عند تدقيقها وتمحيصها من قبل إدارة الآثار تتضح الحقيقة.



شكل رقم (٣٥).

الشكل أدناه :

لأحد الصخور في حرة أم الجنادل في منحل وقد رسم عليه حصان مغير ويمتطي صهوته فارس يمسك لجام الحصان بيساره ويرفع بيمينه سيف أو رمح. وتدل براعة الرسام على فن أصيل وحضارة عظيمة سادت تلك المنطقة في ذلك الزمن البعيد.



شكل رقم (٣٦).

الشكل أدناه :

لأحد الصخور في حرة أم الجنادل في منحل وقد رسم عليه صورة وعل كبير في السن يتضح ذلك من قرنيه المعكوفين خلف رأسه ويمتدان إلى قرب مؤخرته.

و هو من الصخور التي لم تتعرض للتجديد.

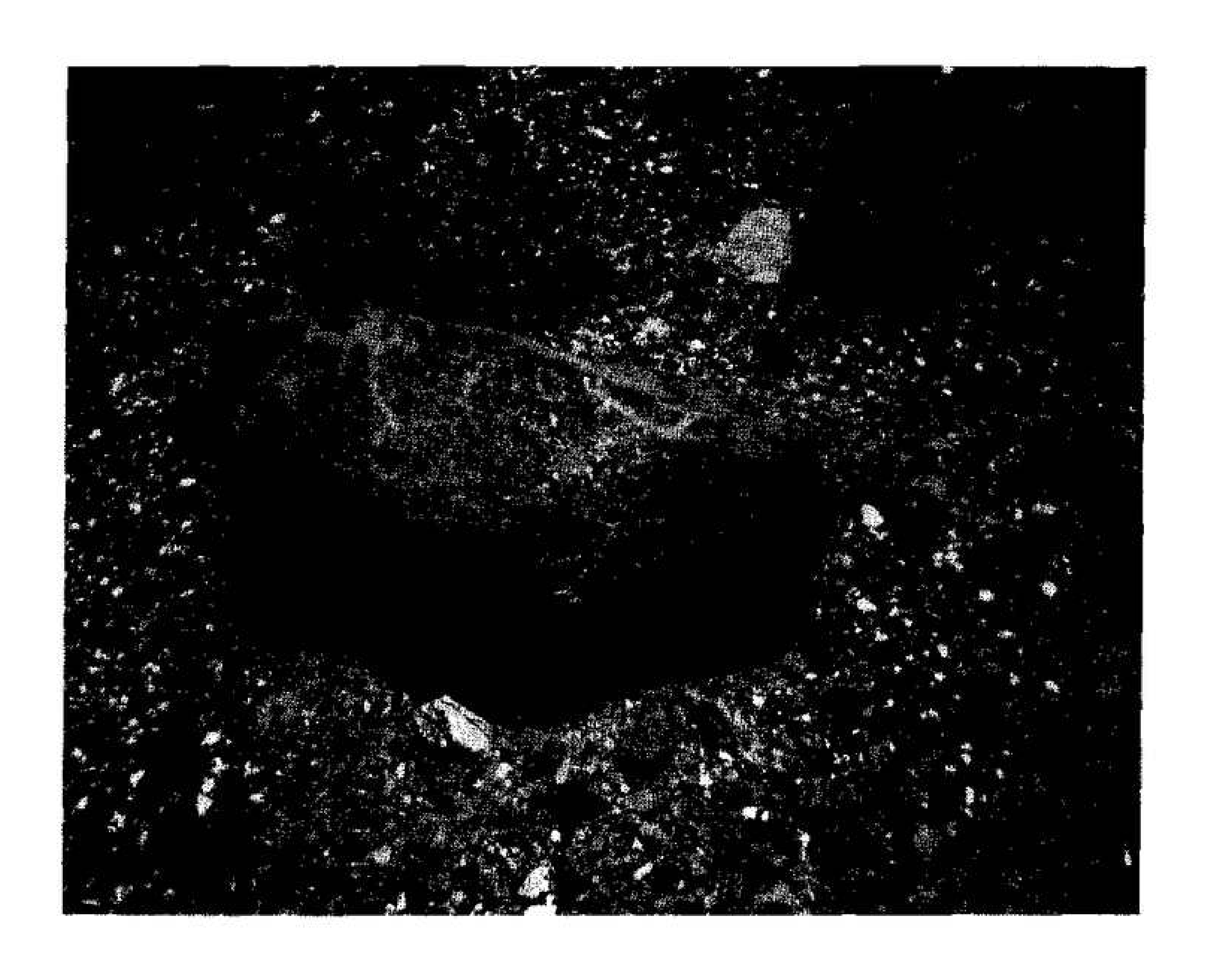


شكل رقم (٣٧).

الشكل أدناه :

لأحد الصخور في حرة أم الجنادل في منحل وقد نقش عليه في الناحية اليسرى صورة جمل.

و هو من الصخور التي لم تتعرض للتجديد.



شكل رقم (٣٨).

الشكل أدناه :

الصخر الواضح في هذا الشكل هو لأحد الصخور الموجودة في حرة أم الجنادل في منحل وقد رسم عليه حصان وهو من الصخور التي لم تتعرض للتجديد كما سبق ان ذكرت.



شكل رقم (٣٩).

الشكل أدناه :

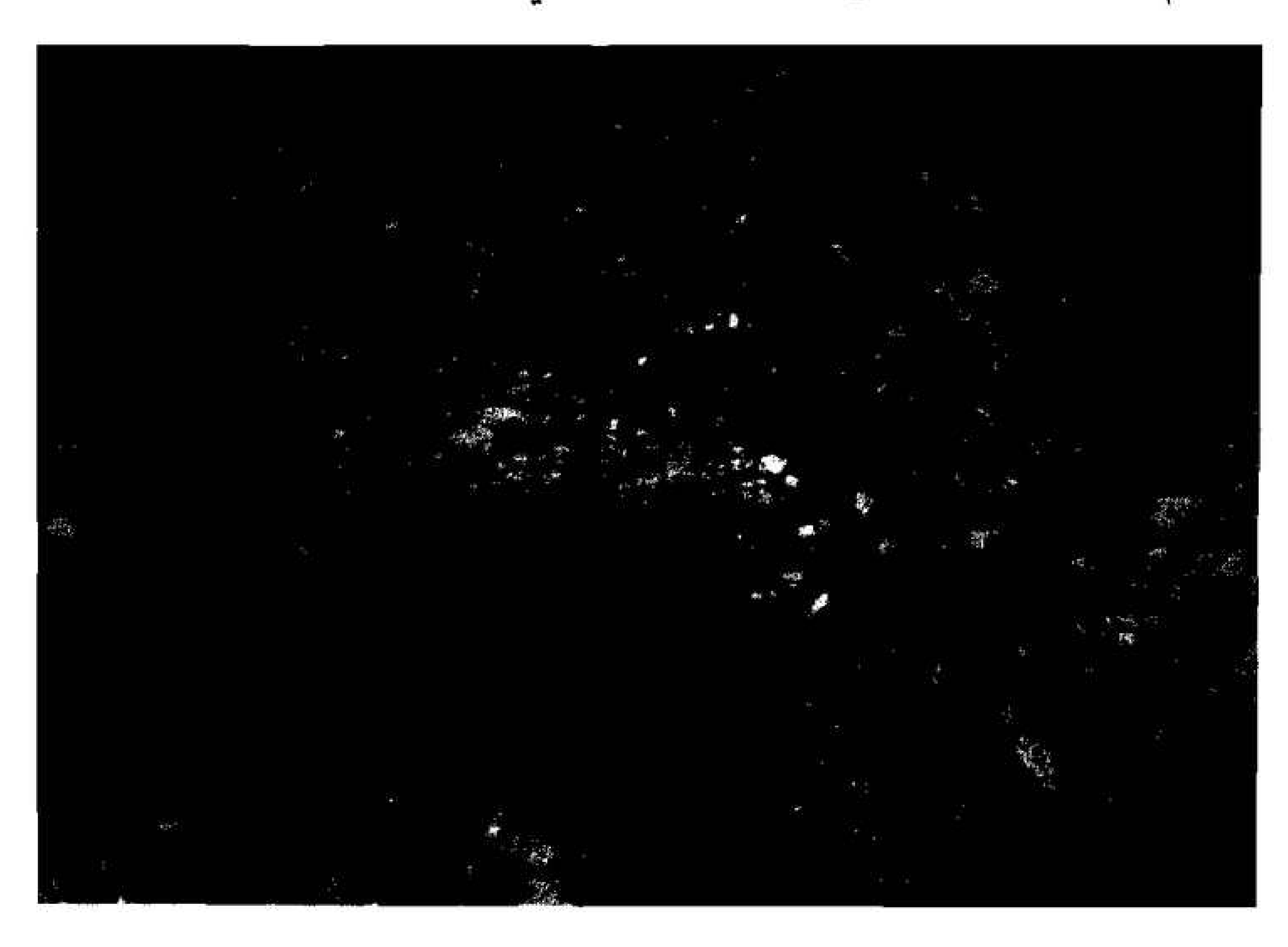
صخـرة من حرة أم الجنادل في منحـل وقد نقش عليها الحرف أو الكلمة (   ) والتي اشرت إلى كثرتها على هذه الصخور كما يتضح في أعلى الصخر رسم لفرس لكنه غير واضح كثيراً. هذا الصخر من الصخور التي لم تتعرض للعبث أو محاولة التجديد إذا اعتبرنا حسن النية هو الدافع لذلك كما حصل لغيره.



شكل رقم (٤٠).

الشكل أدناه :

صخر عثر عليه في حرة أم الجنادل بوادي منحل بمحافظة القرى وقد نقش عليه عبارات باللغة العربية قبل تنقيط حروفها من قبل نصر بن عاصم وتشكيلها من قبل أبو الأسود الدولي رحمهما الله تعالى.



شكل رقم (٤١).

وعند التمعن في هذه الكتابة نجد الكاتب يدعو الله ويقول :

(يرحم الله علي عمر بو سلما ووالداه وجمعان بن علي ومن قراه آمين) ثم أنهى نقشه بالصلاة على المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال (و صلى الله على محمد) من هذه الكتابة الأثرية نستخلص عدة أمور :

الأول : الكتابة عربية فصيحة غير منقَّطة مما يدل على إنها كتبت في القرن الأول الإسلامي وقبل أن يقوم نصر بن عاصم بتنقيط الحروف العربية ويقوم أبو الأسود الدولي بتشكيلها.

الثاني : أنها تدل على ان أهل هذه المنطقة التي عثر فيها على الحجر كانوا يكتبون باللغة العربية قبل بزوغ فجر الإسلام. ثم كانوا من السباقين للإسلام وهاتين النقطتين تدل على إنهم كانوا يعيشون حضارة عربية أصيلة وان قلوبهم كانت عامرة بالإيمان وهو أمر يحسب لهم تاريخياً.

الثالث : فيما يتعلق بالكتابة نجد الأمور الآتية :

أ- كتب الميم في الكلمة الأولى (يرحم) بهذا الشكل (مـ) أي أن عصاتها ممدودة خلافاً لما نكتبه هذه الأيام (م) وهذا وضع سليم وهو يتفق مع كتابة كثير من الآيات في القرآن الكريم (طباعة مجمع الملك فهد) ومثال ذلك الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [سورة التوبة الآية (١٢٦)] كما كتب الوضع الثاني (م) والذي عصاة الميم فيه إلى أسفل في نفس الآية ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ و هذين الوضعين نجدهما في كثير من آيات القرآن الكريم.

ب- مما يمكن ملاحظته اسم (علي) حيث جاء حرف اللام في السطر الأول مفترشاً الياء (علي) وهذا أسلوب في الكتابة العربية معروف وقد كنا في نهاية السبعينات بالتقويم الهجري نستخدم هذا الوضع

من الكتابة ولا يزال الخطاطون العرب يستخدمونه هذه الأيام عند التفنن في الخط العربي لإبراز جمالياته. وقد كرر استخدامه عند الصلاة والسلام على رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذا الوضع موجود في مواضع الوقوف في القرآن الكريم مثل (قلى).
أما الوضع الذي نستخدمه هذه الأيام وهو (علي) فقد استخدمه أيضا في النص الأول عند قوله وعلى من قراه.

ت- في النص الأول نجد الكاتب أورد اسم جمعان وقلب النون على الألف هكذا (...)

وهو وضع مألوف في الفترة التي سبق أن ذكرتها حتى إننا كنا نكتبها بهذا الشكل (...) وقد جعلها هو في منتصف الألف لضيق المكان.

و هذا الأسلوب لا يستخدمه هذه الأيام الا الخطاطون العرب من قبيل إبراز جمالياته.

ث- يدل النقش بهذا الوضع وهذا الجمال والتفنن في الكتابة على مهارة عالية وقدرة فائقة في التحكم في الحروف خاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار حجم المساحة التي كتبت عليها هذه العبارات وهذا الدعاء الجميل.

ج- تدل هذه الكتابة على أنهم كانوا أهل حضارة وعلم وأدب ولو لم يكونوا كذلك لما ولدت من رحم هذه البيئة رائعة ثابت بن أوس لامية العرب التي سبق الإشارة إليها. ولما قال هو وابن عمه شعراً رزيناً ذكرا فيه كثيراً من المواقع في بيئته التي أصبحت بفضل الله ثم

بشعرهم مواقع تاريخية ينظر إليها باحترام وتبجيل وتعطي بصمودها خلال تلك الحقبة من الزمن درساً تتوارثه الأجيال على مر العصور في حب الوطن والصبر والحرص على بلوغ الذرا ورقي سلالم المجد بسمو الأخلاق والحرص على العلم والأدب.

ح- نستدل من هذا النص على إنهم كانوا رجالاً مؤمنون أمنوا بالله وعندما جاء محمد صلى الله عليه وسلم برسالة الإسلام الخالدة كانوا أول من آزره ونصره وهذا دليل آخر يدحض قول كل ناعق بفرية ظالمة مفادها ان بيئة الشنفرى لا خير فيها ولا صلاح.

خ- إن حالة ثابت بن أوس وابن عمه حاجز ومن شايعهم شاذه وان الشواذ في الأمم لا يتعد بها إلا لمن يريد ان يصطاد في الماء العكر ولذا فانه سوف يسقط فيه في يوم من الأيام ويصبح صيداً لغيره كما صيد ثابت وابن عمه ويلاقي نفس مصيرهما والله المستعان،،

الشكل أدناه :

لأحد الصخور المنقوش عليها بخط عربي غير منقط وقد تعرض للإعادة مما أدى إلى تأثره كثيراً ولم يعد يعرف من الكتابة الأصلية الا قول الكاتب اللهم اغفر لي.



الشكل رقم (٤٢).

الشكل أدناه :

كتابة عربية على صخر عثر عليه في حرة أم الجنادل في وادي منحل وقد نقشت في صدر الإسلام وقبل قيام نصر بن عاصم بوضع النقاط على الحروف والتي تم تشكيلها فيما بعد من قبل أبو الأسود الدولي وقد تعرضت لضرر كبير من قبل بعض الذين لا يقدرون قيمة التراث فقد أساءوا من حيث أرادوا أن يحسنوا والمدقق في الصورة لا يجد واضحاً من الكتابة إلا إسم الله ثم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله أعلم.



شكل رقم (٤٣).

الشكل أدناه :

للوحة إرشادية تقع في آل زياد في بيده بمحافظة القرى تشير إلى قرية الرأس التاريخية التي ذكرها الصعلوك ثابت بن أوس " الشنفرى " عندما قال :

ويوما بذات الرأس أو بطن منجل هنا لـك تلقـى القاصـي المتغـورا

ومنجل الوارد ذكرها في بيت الشعر المذكور هي منحل وقد صححته سابقاً. هذه القرية لم يعد من آثارها إلا القليل فقد هدم كثيراً من مبانيها القديمة بما في ذلك المسجد الأثري وبني على موقعها بيوتاً حديثة. لكنها احتفظت باسمها على مر العصور.



شكل رقم (٤٤).

في الشكل (٤٥) نموذج للعمارة القديمة في بيئة ثابت بن أوس "الشنفرى" وابن عمه حاجز الزهراني ويرى الباب القديم المصنوع من الخشب والمنقوش بنقوش جميلة وقد غل مصراعيه بسلسة وقفل بعد أن رحل عنه أهله ولكنهم لم ينسوه فلقد كان يمثل حقبة من الزمن عانى فيها أهل هذه البيئة الآمرين من قسوة الجبال وضنك العيش ورغم ذلك حافظوا على ديارهم وعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم أيضا، وخلفوا حضارة ماثلة للعيان يتشرف المرء ان ينتسب إليها ويسلمها لأولاده من بعده ويوصيهم بالمحافظة عليها. ولقد أحسن الشاعر الدكتور / عبد الرزاق بن حمود الزهراني عندما خصص واحد من دواوينه الشعرية للحديث عن هذا الهجرة تحت عنوان - الوادي المهجور - كان يفيض آلما وحسرة على الهجرة الجماعية وخوفاً منه ان تطغى حضارة هذه الأيام فتمتد إلى التراث القائم فتغتاله. حيث قال :

هجروك يا وادي الرضا وغدوا ... كفراشة تسعى إلى القبر
مرت عليك نوائب الدهر ... يا وادي الأشباح والقفر
مرت عليك وأنت في عجب ... من عالم الأهواء والغدر



شكل رقم (٤٥).

فهرس المواضيع

مصادر البحث

❖ القران الكريم.
❖ أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري.
❖ مختصر تفسير ابن كثير للصابوني.
❖ ديوان الشنفرى للدكتور/ اميل بديع يعقوب.
❖ الشنفرى الازدي لمصطفى عيد الصياصنه.
❖ الشعر الإسلامي في العصر العباسي لمؤلفه/ عبد الله عبد الرحمن الجعيثن (الغلاف الأخير).
❖ عصر الصحابة لعبد المنعم الهاشمي.
❖ في سراة غامد وزهران لعلامة الجزيرة العربية/ حمد الجاسر.
❖ معجم رواة الحديث الاماجد من علماء زهران وغامد للشيخ/ عبد العزيز عبد الله الزهراني.
❖ تاريخ الموصل للشيخ/ أبي زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم الازدي.
❖ ديوان عنترة للخطيب التبريزي.
❖ قبيلة من زهران لصاحبه/ قينان بن جمعان الزهراني.
❖ كتاب الأغاني لأبي فرج الاصبهاني.
❖ لسان العرب .
❖ المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران لصاحبه الأستاذ/ علي بن صالح السلوك الزهراني.
❖ بيت من زهران لصاحبه/ قينان بن جمعان الزهراني.
❖ مجلة العربي الكويتية.
❖ منتهى النقول في سيرة أعظم رسول لصاحبه/ حامد محمود بن محمد بن منصور ليمود.

- جريدة المدينة.
- الماسونية والمرأة لصاحبه/ جمعان بن عايض الزهراني.
- المملكة العربية السعودية بعيون فرنسية للدكتور/ معجب سعيد الزهراني.
- مجلة تجارة الباحة.
- ديوان تراتيل حارس الكلاء المباح للدكتور/ صالح بن سعيد الزهراني.
- ملحق الرسالة بجريدة المدينة.
- جريدة الندوة.
- ديوان قبلة في جبين القبلة لصاحبه الشاعر/ حسن بن محمد حسن الزهراني.
- ديوان صدى الأشجان للشاعر/ حسن بن محمد الزهراني.
- ديوان الوادي المهجور للدكتور الشاعر/ عبد الرزاق بن حمود الزهراني.
- ديوان الضمائر الغائبة للدكتور الشاعر/ عبد الرزاق بن حمود الزهراني.
- ديوان دماء الثلج للشاعر/ احمد بن محمد آل قران الزهراني.
- ديوان امرأة في حلم للشاعر / احمد بن محمد آل قران الزهراني.
- التبيان في تاريخ انساب زهران لصاحبه/ علي محمد بن سدران الزهراني.
- القصائد الحسان لبعض شعراء غامد وزهران في العصرين الجاهلي والإسلامي لصاحبه/ علي بن محمد سدران الزهراني.
- المورثات الشعبية لغامد وزهران للأستاذ / علي بن صالح السلوك الزهراني.
- كتاب من الأدب الشعبي في منطقة الباحة لصاحبه/ عبد الله المالحي الزهراني.
- جريدة الوطن.

" فهرس الملحق "

الموضوع **رقم الصفحة**

الموضوع	رقم الصفحة

يلاحظ : ان جميع الصخور المنقوش عليها رسومات أو كتابات من شكل (٢٧) إلى (٤٣) موجودة في حرة أم الجنادل بوادي منحل بمحافظة القرى بزهران.

قَهْــب الفـأس



معلم طبيعي في وادي دحيس بمحافظة القرى بزهران - منطقة الباحة

ردمك : ٩٧٨ - ٩٩٦٠ - ٥٨ - ٣٠٦ - ٨

مطابع الحميضي ت: ٤٥٨١٠٠٠ ف: ٤٥٩٢٢١٧ الرياض